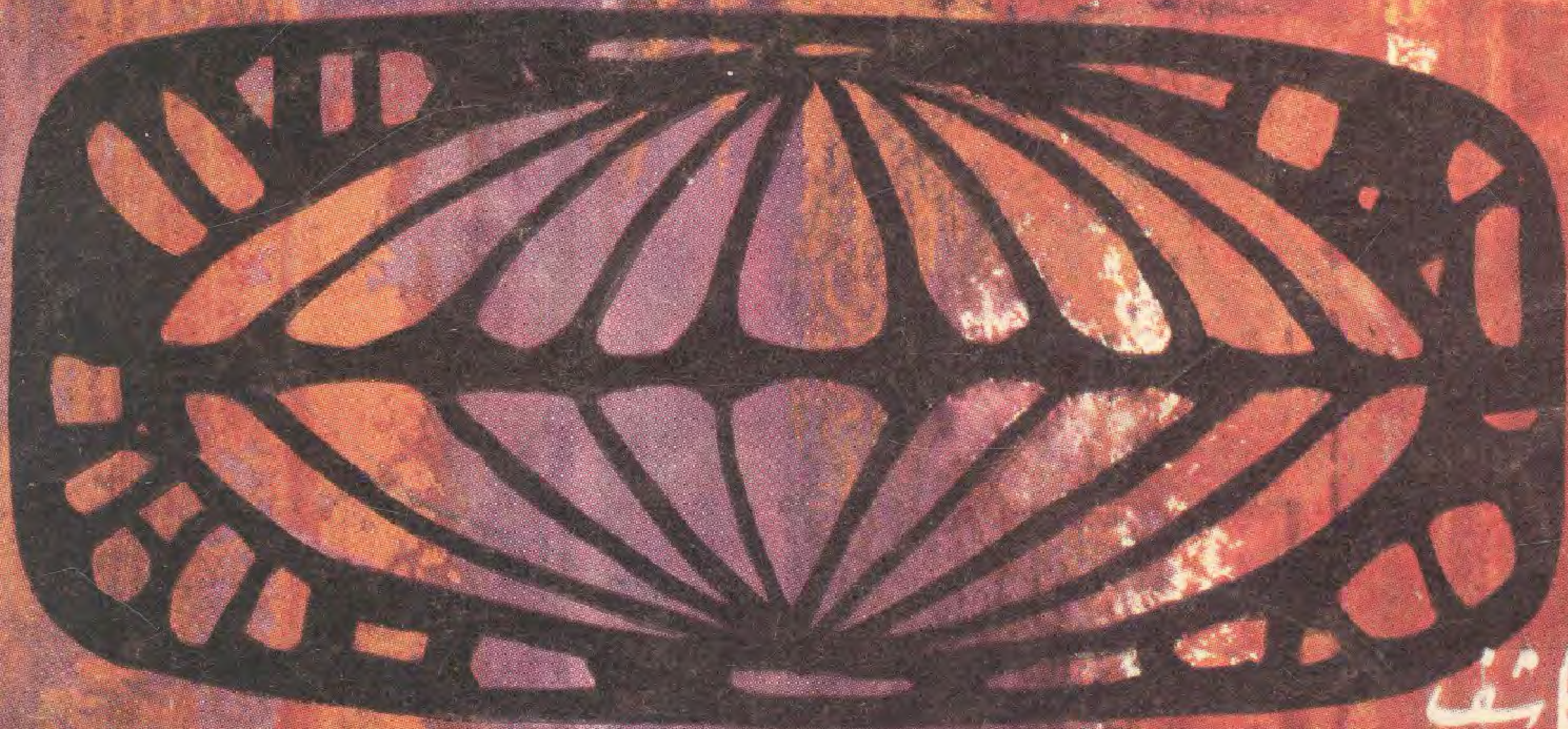
كتب قومية





أضواء
على طريق الدعاة الاشتراكيين



بقلم
أحمد جمال الدين الكاشف





أضواء

على طريق الدعاة الاشتراكيين

بقلم أحمد جمال الدين الكاشف

مُقدّمة

ديمقراطيتنا السليمة ترفض أن تكون القوة الغاشمة وسيلة للحكم، وترفض أن تقوم قيادة الجماهير على الخداع والتضليل والهاب حواسهم ومخاطبة عواطفهم دون عقولهم كما كان الحال فى عهود الديمقراطية الزائفة فيما قبل الثورة ·

ان ثورتنا تؤمن بأن الحكم الديمقراطى السليم يستند أولا وأخيرا على قاعدة صلبة عريضة من رأى عام موحد واع متماسك ، يؤمن بمبادئها وأهدافها عن دراسة واقتناع، واطمئنان الى سلامة خططها وسداد خطواتها، لتلتف جماهير الشعب سياجا منيعا تحمى ثورتها ، وتنطلق فى صناعة التقدم مهما بلغ الجهد ،ومهما عظمت التضحيات ·

لقد ظل عبء خلق رأى عام موحد واع منذ قامت الثورة الى أن صدر ميثاق العمل الوطنى فى يونية سنة ١٩٦٢ – مرتبطا أشد الارتباط بخطب الرئيس جمال عبد الناصر وبياناته ،كذلك الصفوة الممتازة من رفاقه ، ثم أجهزة الاعلام والصحافة ·· فلما صدر الميثاق أصبح وعاء لوحدة فكر، ودليلا للعمل والسلوك ، ومرجعا للنظرية السياسية الجديدة ·

ولكن الثابت علميا أن وسائل الاعلام والمطبوعات لا تغطى سياسيا جميع الأفراد ، ولا تصل الى العمق الذى تصل اليه عملية الدعوة الشخصية المباشرة وجها لوجه ، أى أنها لا تؤدى الى تجنيد أو تعبئة فكرية مثلى ·· فالأفراد القياديون الدعاة هم حجر الزاوية فى خلق الرأى العام وقيادته وتوجيهه وتعديله ·· وعملية الدعوة ترتكز على مجموعة العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية ، وتحتاج الى تدريب ومران وممارسة، وتعتمد على قياس اتجاهات الرأى العام لمعرفة اهتمامات الجماهير لبدء

الدعوة من حيث يهتمون ، وعلى اكتشاف التيـارات المضادة لاقتلاعهـا من جذورها وتنقية تربة الرأى العام منها •

لهذا أنشئت المعاهد الاشتراكية ، ثم أقامت لجنة الاتحاد الاشتراكى العربى بمحافظة القاهرة دورتها التدريبية الأولى للقياديين فى يوليو سنة ١٩٦٥ •• وكان لى شرف عضوية هذه الدورة والتزود من عذب مناهلها •• وهأنذا أحاول أن أفى بمثقـال ذرة من دينى نحو وطنى وثورتى واخوانى الدعاة معـدما الجزء الأول من « أضـواء على طـريق الدعاة الاشتراكيين » والفضل كل الفضل للدورة التدريبية ولأساتذتهـا الأكرمين ، ولأصحاب المراجع التى استعنت بها •

هذا الـكتاب ينقسم قسمين : يتعلق الجزء الأول منـه بأمور الدعاة والدعوة عمليا وفنيا ، أما الموضوعات الأخيرة فهى الخطوط العريضة التى يجب أن تتركز عليها الدعوة ، ومنها تتشعب فى هذه المرحلة ••• مرحلة الانطلاق الى مجتمع أفضل ، وآفاق أمتع وأكمل حرية واشتراكية ووحدة، آملا أن أكون قد وفقت الى زيادة فى تحديد معالم طريق الدعاة ولو زيادة طفيفة •

والله ولى التوفيق •

المؤلف
أحمد جمال الدين الكاشف

• الدعوة والدعاة:

ان لفظ «توعية» يتضمن استخفافا مقدما بمقومات الجماهير وينطوى على فرض عدم ادراكهم للحقيقة ، لذلك فان استخدام لفظ « دعوة » أفضل فى هذا المقام ، لأنه يتضمن احتراما لآراء الجماهير وتصوراتهم ، وينطوى على اقرار بالفوارق الفردية ، واختلاف حوافز التجمع التى ينشأ عنها تكوين الجماعات المختلفة .

فضلا على ذلك فان لفظ « الدعوة » يحمل من العمومية والشمول ما يغطى كل معانى التوعية ، والارشاد ، والتعبئة ، والتثقيف ، والتبصير والتوضيح .

تعريف الدعوة :

مما تقدم يتضح لنا أن « الدعوة » عملية جماهيرية قوامها الاتصال بالأفراد والجماعات والتأثير عليهم ، وتعبئتهم فى اتجاه معين ، عن طريق الاقناع ، وباستخدام وسائل الايضاح التى تختلف باختلاف البيئات ، والفئات ، والمستويات الجماهيرية من حيث أنماطها الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، كما تختلف أساليب الدعوة أيضا باختلاف موضوعاتها .

أهداف الدعوة الاشتراكية :

تتلخص بصفة عامة فى انجاز عملية تغيير ثقافى فكرى عقائدى ، يرفع من مستوى الرأى العام الشعبى ، ليصبح فى خط مواز لعملية التغيير المادى والاقتصادى والاجتماعى والتشريعى .. تلك العملية المعجزة التى شملت مختلف القطاعات فى قفزات وثابة وخلال فترة وجيزة .. مما أوجد بعدا شاسعا بين الكيان الفكرى العام وبين المنجزات الثورية المتفوقة فى مختلف المجالات .

ولايجاد هذا التوازى كان هدف الدعوة هو تدعيم كل من الفكر والسلوك فى المجتمع ، وتعبئة قوى الشعب العاملة ــ بجد واستمرار ــ لمضاعفة الجهد ، وحث المسير فى طريق تحقيق خطط التنمية ، بجهد مزدوج .. وفى سبيل ذلك لا بد من تطهير طريق العمل الثورى التقدمى من أعداء الاشتراكية ، وكشف أساليبهم المعوقة ، والاحتراس منها ومن آثارها الضارة . وعلى هذا الأساس تتركز مهمة الدعاة فيما يلى :

١ ــ خلق وحدة فكر ، ورأى عام مستنير ، عن طريق تنمية المستوى الفكرى والاشتراكى والانتاجى للجماهير .

٢ ـ تربية القدرة على حسن تفسير الأحداث وادراك الحقائق وتمييز المفاهيم المدسوسة واستبعادها ٠

٣ ـ تنمية امكانيات تحقيق أهداف خطط التنمية ومضاعفة الانتاج من أجل مضاعفة الدخل القومى ومن ثم مضاعفة الدخل الفردى ٠

٤ ـ القضاء على آثار ورواسب الفكر الاستعمارى والاقطاعى والرأسمالى والرجعى ٠

٥ ـ ايجاد التفاعل الكامل ، وتبادل التأثير والتأثر التام بين الجماهير والقيادة ٠

٦ ـ تعبئة قوى الشعب العاملة لمؤازرة الثورة وحماية ما أثمرته من مكاسب فى الداخل والخارج ، والقضاء على أسباب الانحراف ٠

٧ ـ كشف القوى الرجعية المعادية للاشتراكية ، وأوكارها ، وأساليبها ، وشل نشاطها ووقف فاعليتها ٠

٨ ـ الاحتفاظ المستمر بمستوى حماسة الجماهير وتجاوبهم مع المبادىء الاشتراكية ، والتزام العمل بمقتضاها ٠

التطور المرحلى للدعوة :

وعملية الدعوة ـ كما نص الميثاق ـ تختلف من مرحلة الى أخرى ٠٠ ولقد ميز السيد / كمال الدين الحناوى بين المرحلتين الآتيتين : ـ

١ ـ **مرحلة التبشير :** وقد اجتزناها عند قيام الثورة ، وفيها يعتمد الداعية على عمليتين أساسيتين :

(أ) الادانة : أى ابراز المفاسد والمظالم والمباذل التى سادت المجتمع ، ونشرت الجوع والدموع والذل والمهانة وأهدرت حقوق الانسان وآدميته ٠

(ب) التبشير : وهو أن نتبع ابراز الصورة الماضية المظلمة الداكنة العفنة ، بابراز صورة وضاءة ناصعة فياحة ، لعالم أفضل تسوده العدالة الاجتماعية والحرية والرخاء والعزة ٠٠٠ مجتمع قادر على التغيير الجذرى ٠٠ وذلك باستخدام شعارات رنانة ملتهبة مثيرة تؤدى الى جمع الناس والتفافهم حولها وحول المنادين بها ٠٠ والواقع أنها عملية سهلة ، لأنها تجتذب نفوس الشباب المغامر ، وحماسة الجماهير المغلوبة على أمرها ورضا دعاة الاصلاح ٠

٢ ـ **مرحلة البناء :** وتبدأ بعد نجاح الثورة ، واستيلاء الثوار على السلطة ، وتحقيق التحرر والاستقلال ·· حينئذ تستنفد الشعارات البراقة أغراضها ، وتفقد صلاحيتها لشحذ الهمم وازكاء الحماسة · فلا يمكن أية قوى أن تحرك الجماهير وتجمعهم فى اطار معين ، سوى الاقناع··· الاقناع بالحقائق · اذن تبدأ عملية الدعوة فى مرحلة البناء بعملية أساسية ضرورية هى جمع أوفر محصول من الحقائق والمعلومات والا أصبح الداعية وسط الجماهير أشبه بجندى ألقى فى ميدان بلا سلاح ·· ذلك أن عمل الداعية يتبلور فى ثلاث حركات يكمل بعضها بعضا وهى : ـ

(أ) بناء وربط (ب) تسليح بالقيم (جـ) دفاع

(أ) **عملية البناء والربط :** ويقصد بها تجمع الأفراد والجماعات ، بوصفهم لبنات فى بناء المجتمع ، وربطهم بعضهم ببعض بعلاقات بناءة عجينتها خليط منسجم من اهتماماتهم ومن المفاهيم الثورية ، ثم ربطهم جملة بالنظرية السياسية الجديدة ، وجعلهم جزءا لا يتجزأ من البناء التنظيمى السياسى ، يتبادل معه تيارات التأثير والتأثر والالتزام ·

(ب) **عملية التسليح بالقيم :** وتلك عملية طويلة معقدة ، تحتاج الى مزيد من الصبر والأناة ، والى طاقة فياضة من قوة الاقناع : فهى تبدأ أولا بازالة ما يمكن أن يكون عالقا فى أذهان الجماهير ونفوسهم من مفاهيم وأنماط سلوكية أو ثقافية قديمة بالية أوجدها الاكتساب بفعل الثقافة أو التعود أو قابلية الايحاء · ويستتبع الداعية عملية الازالة والتطهير بعملية تسليح الجماهير بالقيم والمفاهيم والمبادىء الحديثة التقدمية ·

وهيهات أن يستطيع الداعية القيام بذلك ما لم يدرس النظرية السياسية الجديدة بعمق ووضوح ، وما لم يعتبرها ركيزة العمل السياسى وفلسفته ، والأداة الحقيقية لاتمام التغيير السياسى والاجتماعى والاقتصادى

ودراسة النظرية السياسية الاشتراكية العربية ـ فى حد ذاتها ـ أمر يسير ، لا يتطلب من الداعية العادى أن يتفقه فى السياسة ومذاهبها وتاريخها ، ويحسن أن يبدأ باستيعاب المراجع الآتية : ـ

١ ـ **الميثــاق :** مع الاحتراس من التأويل ، وادراك أن بعض الخبثاء يتحينون فرص شدنا عن طريقه الى نظم لا ندين بها ولا يمكن أن نؤمن بمبادئها ·

٢ ـ خطب الرئيس عبد الناصر وبياناته فى مجلس الأمة ·

٣ ـ بيانات رئيس مجلس الوزراء ٠

٤ ـ البيانات الرسمية والاحصاءات المتتالية ٠

٥ ـ دراسة نظريتنا الاشتراكية العربية من واقع استقراء تاريخنا ، وقيمنا الروحية وتقاليدنا ، وتطورات مجتمعنا فى مختلف مراحله : فى الماضى والحاضر ، وما نأمل أن يكون عليه مستقبلا ، والالمام بقوانيننا ، وتحليل الطبقات الاجتماعية وموقف كل منها تجاه الأخرى من حيث التفاعل والتكامل أو التمايز والتفاضل ٠

بغير ذلك لا يستطيع الداعية ربط الجماهير بالنظرية السياسية ربطا وثيقا ، ولا دفعهم نحو تحقيق الاهداف الثورية ٠ بدون ذلك يعجز عن اقناعهم بما سوف يعود عليهم به ولاؤهم للتنظيم السياسى ـ من خير ورخاء ومجد ٠٠ بدون ذلك يعجز عن أداء العمل السياسى ، بل قد يتورط فى نشر مفاهيم خاطئة وتفسيرات مضللة ٠٠ تقود الجماهير الى متاهات فتضر بالخطة ٠

(ج) **عملية الدفاع** : من الطبيعى أن العناصر المضادة : الرجعية والاستعمارية ، فى الداخل والخارج ، لا تقف موقف الرضا من عمليات البناء المادى والفكرى فى المجتمع الجديد المتقدم ولا من عمليات الربط العقائدى ، ولا من عمليات التسلح الاقتصادى والحربى والمذهبى ٠٠ انها تقابل البناء بالهدم ، والربط بالتفكيك ، والتسليح بالتجريد ، والتأكيد بالتشكيك ٠٠٠ محاولات تترى متتابعة كتتابع الأمواج المتهالكة عند أقدام الجبل الصلد الأشم ٠٠ فالمعركة معركة حياة أو موت بالنسبة للرجعية وللاستعمار ومن ورائهما التبع الانتهازيون ٠٠٠ ومن مجموعهم تتكون قوى مبعثرة محيطة أو مندسة متسترة ، تحاول بأخبث أساليب الاثارة تشكيك الجماهير فى مبادئها وقيادتها لأن تستعيد مواقعها الطبقية الاجتماعية ، والاقتصادية الاقطاعية الرأسمالية ، والسياسية الاستبدادية الاحتكارية ـ تلك المواقع الاستراتيجية ـ للتحكم فى أقوات وحريات وحياة الشعب ـ التى فقدتها وانحسرت عنها مرغمة أمام جحافل الزحف الثورى المقدس ، وانتصاراته المظفرة المتتالية ٠

فهم لا يسكتون ٠٠ سلاحهم التقليدى الاذاعات الأجنبية ، والصحف العالمية المأجورة ، وفلول الجواسيس ، وطغمة من المخربين يملئون جراب حياتهم ، بسموم أحقاد ينفثونها فى شرايين الرأى العام ، مدفوعين بنزعات طبقية أو توترات رجعية ، أو عملات أجنبية ٠

فهم بين موتور ومسعور ومأجور ، يقضون الساعات الطوال ـ أينما كانوا فى الأندية والصالونات ـ يتبادلون الشائعات والتوقعات ·· كل منهم يشير الى نفسه بأنه عليم ببواطن الأمور ومن عداه واهم مغرق فى التفاؤل أو مغرور ·· ينكرون شمس التقدم برغم أنها تبهر أعينهم ، ينتقدون كل شيء متظاهرين بالحرص على الثورة ، ويعوقون كل عمل باسم « الروتين » ، وماهم فى الواقع الا مخربون هدامون : للاشاعات مروجون، ولدعوى الفشل فى المشروعات مرددون ، ولنار التشكيك مشعلون ، ولتفتيت وحدة الشعب والأمة والاتحاد محاولون · هدفهم الحقيقى بلبلة الأفكار ، ونهيج الخواطر ، والنيل من ايمان جماهير الشعب العاملة أصحاب المصلحة الحقيقيين فى الاشتراكية والديمقراطية · انهم من فصيلة الطابور النازى الخامس ، وانهم أشد خطرا من جيش مهاجم فى معركة مكشوفة · فلكى تتكسر أمواجهم عند قدمى الجبل الشعبى الأشم ، لابد ألا يكون الجبل أجوف وانما أصم ، يحقق الدعاة عناصر تكوينه من أفراد وجماعات بالمصل المذهبى الواقى ·· ويزودونها بالأسلحة الفكرية ، ويقودونها فى معركة التصدى لمحاولات الاستعمار والرجعية ·

دعائم عملية الدعوة :

عملية الدعوة جزء من العمل اليومى للدعاة ، تماما كالعمل الأصلى المعتاد ، سواء من حيث الالتزامات ، أو من حيث الاستعداد الذاتى ، والمواهب ، والمهارات التى ينبغى اكتسابها بالاطلاع والبحث والتدريب ، أو من حيث الموضوعات والأساليب ·· وبهذا الشكل يمكن الوصول الى أن عملية الدعوة ترتكز على الدعائم الآتية : ـ

١ ـ داعية　　　٢ ـ موضوع

٣ ـ الأسلوب　　　٤ ـ وسيلة

أولا ـ خصائص الداعية : الداعية نجم لامع فى محيط جماعة ، يتصدى لقيادتهم فكريا · وهو فى موقفه هذا يحتاج الى ركيزتين هما : ثقة الجماعة والقيادة ، والقدرة على الاقناع ، وكل منهما مقدمة للأخرى ونتيجة لها فى الوقت نفسه ·

١ ـ **اكتساب الثقة** : لن يستطيع الداعية اقناع الجماهير الا اذا حاز ثقتها حتى يسود العلاقات بينه وبينها جو من تبادل التأثير والتأثر ، والفاعلية والاستجابة ، والتبيان والقبول يؤدى الى رسوخ ما ينقله اليها

من وجهات نظر ، وقرارات ، والثقة المطلوب اكتساب الداعية لها هي : ــ

(١) ثقة رأسية يودعها فيه جميع من يعاملهم على السلم القيادى فى التنظيم السياسى تجاه القمة أو القاعدة ، أينمـــا كان وضعه كحلقة من حلقات الاتصال بين مستويين ·· ويزداد تراكم هذه الثقة من أعلى كلما توخى الصدق والأمانة والحماسة والسرعة فى نقل قرارات القيادة وشرحها للجماهير بأقصى قدر من التأييد والمساندة وتجميع الناس حولها ·· كما تتضاعف ثقة الجماهير فيه كلمـــا ترجم بنفس الروح مشاعر الجماهير واحساساتهم وآرائهم فى هذه القرارات ، ونقل صورا حقيقية عن مشاكلهم اليومية والعلمية وحتى العائلية منها ــ الى القيادة فى نفس المستوى ، وفى القطاعات التى يتنقل فيهـا ويفرز بين جماهيرها دعوته وقرارات التنظيم السياسى · فثقة الزملاء تسهل عمله وتوفر جهده ، وتضـــفى على عملية الدعوة فوائد التعاون ·

أما عوامل الثقة فهى : ــ

١ ــ المخالطة الواسعة العميقة ، والارتباط بالناس فى العمل والحى بعلاقات وثيقة ، يؤكدها ويدعمهـا ويقويها الاتصال المســـتمر المتكرر الطويل ، والاهتمام بمشاكل الناس ومتاعبهم وظروف عملهم ·

٢ ــ القدوة فى العمل والسلوك ، وتقديم المصلحة العامة على الخاصة والتمسك بالقيم الروحية والدينية دون التظاهر ·· فان الدين ليس مجرد فرائض وطقوس ، وانما الدين المعاملة والقدوة الحسنة ·

٣ ــ الصـــدق فى القول والعمل ، وبسـط الحقائق بلا تضـليل أو مداورة أو تهويش بقصد التشويق والاغراء ، والصدق هنا لا يعنى فقط مجرد الصدق الأخلاقى كفضيلة دينية وانسانية ، ولـكن يعنى الصـدق العملى المبنى على الحقائق والأرقام والأساليب والمعلومات العلمية الاحصائية والنظرية والتجريبية التى يجب على الداعية اللجوء اليها والتوجيه الى اتباعها فى كل عمل ·

٤ ــ عدم التعالى على الجماهير ·· ودعوتهم بالحكمة ، والموعظة الحسنة ، والمشـــاورة فى الأمر ، وذكر قوله تعـالى : « ولو كنت فظـا غليظ القلب لانفضوا من حولك » ·

٥ ــ النأى عن الجدل فى المسائل الدينية الا لمن هم على درجة عالية من التمكن والتخصص فى العلوم الدينية ، وعلى غيرهم أن يستفتوا أهل

الكتاب فيما يواجهون به من تساؤلات .. هذا مع ضرورة التأكيد بأننا حماة الدين ، مؤمنون به كل الايمان ، ولن نكون ماديين أبدا .

٦ ـ الاهتمام بالتثقيف المحلى أو المعاونة عليه سواء فى مكافحة الأمية أو التدريب والتأهيل المهنى وغيرها،دون الاقتصار على مجال الثقافة السياسية .

٧ ـ عدم ارتباط الداعية فى أذهان الجماهير بروابط سياسية منبوذة ، أو روابط عنصرية أو مذهبية ذات سمعة سيئة ، أو جماعة أو شلة مكروهة أو مشبوهة .

٢ ـ **مقومات الاقناع** : ان الحصول على الثقة حصول على نصف اقناع، أما الاقناع الكامل فيحتاج الى دراية ومعرفة ودراسات وتجاريب وتحاليل لنفسية الجماهير والبيئة الاجتماعية وظروفها الثقافية والاقتصادية والطبقية والمهنية .

الاقناع يحتاج الى عملية مسح اجتماعى للبيئة ، وعملية استعلام مبنية على الحصول على أصدق البيانات والمعلومات والحقائق من أوثق المصادر ـ لا من حيث النظرية السياسية الجديدة وحدها كما سبق ذكرنا ـ ولكن أيضا عن خصائص البيئة موضوع النشاط من حيث مشاكلها واتجاهات جماعاتها ، ومراكز التجمع والتخلخل بها ، وطبيعة معوقات عملية الدعوة فيها معنوية كانت أو بشرية .. وفيما عدا ذلك فهناك عدة مقومات لزيادة القدرة على الاقناع يمكن تلخيصها فيما يلى : ـ

(أ) دراسة البيئة المحلية اجتماعيا وفكريا وأيديولوجيا وعمليا ، ومن حيث المشاكل واتجاهات الرأى العام المحلى لامكان وضع خطة عمل ناجحة .

(ب) الالتزام بمبادىء النظرية السياسية الأصلية كمبدأ القضاء على الاستغلال والنفعية والانحراف ، ومبدأ محاربة البيروقراطية ، ومبدأ سيطرة الشعب على وسائل الانتاج ، ومبدأ الصراع السلمى بين الطبقات ، ومبدأ تذويب الفوارق بين الطبقات وعدم سيطرة طبقة على غيرها ... الخ .

(ج) الايمان بأن الدعوة هى الوقود المحرك لهذا المجتمع الجماهيرى الضخم ، والعمل على حشد أكبر عدد من العناصر القيادية المحلية المتعاونة، المسلحة بالوعى والصلابة والطموح ، حتى يتيسر تغطية الشعب كله بجهودهم ، وتسليحه وتحصينه ضد العناصر المضادة ، ونبنى بالوضوح

الفكرى حصنا منيعا يقى الرأى العام من أباطيل العناصر الرجعية أصحاب الحزب المستتر غير المرخص ، ويظل زمام المبادرة فى الأيدى الاشتراكية النظيفة ، وتسود الكلمة الاشتراكية العربية سباقة مدوية ترد على تساؤلات الجماهير دون أن تترك فرصة لغيرها أن يبادر بالرد ناشرا الشكوك والتعويق محاولا الاستيلاء على الأرض الشرعية للاتحاد الاشتراكى العربى .

ان توسيع قاعدة الدعاة القادة لحراسة الثورة وجماهيرها ومكاسبها أمر أدركته الدول المتقدمة فأصبح عدد الدعاة فى بعضها يتردد بين ١ : ٣٠ مواطنا و ١ : ١٠٠ مواطن .

(د) استمرار التحلى بالصدق الثورى مع نفس القائد الداعية ، ومع مبادئه ، ومع الجماهير .

(هـ) عدم اخفاء أى جزء من الحقيقة مهما بلغ ، والا فان الشعب يدفع ثمن الجزء من نضاله الطويل فلا ينبغى أن يلجأ الداعية الى الاخفاء تحت تأثير المجاملة أو الرياء أو الخضوع لنوع من المؤثرات .

(و) العمل على ضمان ولاء الجماهير ، واستمرار هذا الولاء ، علما بأنها لا تطيع التنظيم السياسى أو تنقاد له وتربط مصيرها به الا اذا نجح الدعاة فى كسب ثقتها واقناعها .

ثانيا ــ موضوع الدعوة :

مهما كانت طرافة الموضوعات التى يلقى بها الداعية الى الجماهير ، ومهما كانت حلاوة ايقاعها ، فانها لن تجد صدى حسنا ، واستقرارا فى نفوسهم ــ ما لم ترتكز على قضايا تهمهم مناقشتها ومتابعتها ، ويجدون أنها تمحو علامات الاستفهام المتواترة فى مخيلتهم .

ان المدخل الحقيقى الناجح الموصل لعقول الجماهير وأفئدتهم ونفوسهم هو موضوع اهتماماتهم الذى يمس حياتهم الخاصة وتطلعاتهم العامة .

واستكمالا لعملية الدعوة الناجحة ، ينبغى بالضرورة استخدام أساليب متغيرة فعالة أساسها اتاحة الفرص للاحتكاكات الذهنية بالمناقشة والجدل والنقد حول الموضوعات الهامة وفى منظمات التنظيم السياسى .

ومن ذاك المدخل ، وبهذا الأسلوب ، يمكن توصيل الموضوعات الآتية التى تتناولها الدعوة فى مرحلة البناء :

١ ـ موضوعات عامة لها صفة الثبات والاستمرار :

مثل المبادىء الاشتراكية ، والديمقراطية ، وسياستنا فى الداخل والخارج ، وقواعد النقد ... الخ .

٢ ـ موضوعات عامة مرحلية مؤقتة :

مثل مشاكل التموين الطارئة ، ومشاكل الانتاج والاستهلاك ، والادخار والاستثمار ، وقواتنا فى اليمن ... الخ .

٣ ـ موضوعات نوعية :

تختلف باختلاف القطاعات بين عمال وفلاحين ورأسمالية وطنية وجنود ومثقفين ... الخ .

٤ ـ موضوعات خاصة :

تختلف باختلاف البيئات والوحدات الأساسية ، والمستويات الثقافية ، والفئات المهنية .

ثالثا ـ الأسلوب :

يجب أن يكون الأسلوب مناسبا للجو الثقافى السائد من حيث مستوى اللغة ولهجاتها .. وذلك من حيث المبنى .. أما من حيث المعنى فبعد أن يصبح الداعية على ادراك شامل للظروف المحلية والدولية ، وكل العوامل المؤدية الى نشوء حالة ما ـ تتضاعف قدراته على النجاح بقدر ما يستطيع أن يجعل من نفسه بين جماهيره هدفا لعلامات الاستفهام ، ومنهلا عذبا مشبعا لكل متسائل ، وبنفس القدر يصبح فاشلا مهجورا اذا ما انطبع فى أذهان الناس باللجوء الى انكار حقائق موجودة يلمسونها كنقص حقيقى فى سلعة ما ، أو مشكلة عمالية قائمة ، حينئذ يسحبون منه ثقتهم وتنعدم فاعليته وتأثيره ، ويفقد القدرة على القيادة والتوجيه ، فالدعوة لم تعد كما كانت قبل الثورة مغالطة ولا خداعا بالمنى مصوغة فى الفاظ منمقة وعبارات مزوقة ، وانما هى أضواء توضح الحقائق ليرى الناس صورة كاملة لمسئوليتهم فى عملية البناء وخطط التنمية من أجل تحقيق آمالهم وضمان مستقبل الأجيال القادمة من أبنائهم .. فان كل تضحية تطلب منهم لابد أن يبررها الداعية على أساس من صدق الأسباب، فاذا اعوزته استمدها من الدراسة أو من القيادة .

والواقع أن مهمة الداعية تكون صعبة حينما تصدر قرارات تلقى على أكتاف العاملين بالتزامات جديدة ، وعنـدما تشغل أذهانهم مشكلة معينة وخاصة ما يتعلق بالعمل ولقمة العيش ، في مثل هذه الحالة يواجه الداعية بنوع من الصد الناشيء عن القلق ، ويصبح اقناعهم بمفهوم ما من أصعب الأمور .. وحينئذ يتعين عليه دراسة آثار القرارات الملزمة ونتائجها ، ثم يوضح للجمـاهير في صبر وأناة ـ مدى ما سـوف يترتب عليها من نفع عاجل أو آجل ، ومدى ما يعود على المجتمع ثم على الأفراد من ثم ـ بوصفهم أعضاء مجتمع اشتراكي متكامل ـ من هذا النفع ، ويبين لهم ضخامة هذه المنافع اذا قيست بالتضحيات المطلوبة ـ ومن ناحية أخرى عليه أن يدرس المشاكل التى تعطل استجابة الجماهير للدعوة ، ويعمل على حلها بمختلف الاتصالاتالشخصية الحميدة، فان لم يستطع فبالطرق القانونية المشروعة. فان لم يستطع فيرفعها مشفوعة ببحثه الى المستويات العليا ، وهذا أضعف الايمان .

رابعا ـ وسائل الدعوة :

يستخدم الداعية في أداء رسالته نوعين من الوسائل :

(أ) وسائل مباشرة .

(ب) وسائل غير مباشرة .

(أ) الوسائل المباشرة :

طرق يختارها الداعية مع علمـه أن الجماهير تدرك أن ما تسمعه أو تقرؤه يقصد به اقناعها برأى معين ، أو ابلاغها حقائق معينة مثل :

١ ـ التوعية الفردية .

٢ ـ حلقات المناقشة .

٣ ـ الندوات .

٤ ـ المحاضرات والمناظرات .

٥ ـ الاجتماعات والمؤتمرات والحفلات .

٦ ـ المقالات .

٧ ـ المنشورات .

٨ ـ جريدة الحائط .

٩ ــ الشعارات ٠

١٠ــ المكتبات ٠

وتسمى الوسائل الخمس الأولى بالوسائل الانصالية وهى أعمق أثرا من باقى الوسائل ويطلق عليها وسائل اعلامية : فالأولى تعتمد على لقاء الداعيه شخصيا وجها لوجه مع الافراد والمجموعات ٠٠ غير أن الوسائل الاعلامية الأخيرة تتميز بخاصية احتفاظ الأفراد ببعضها لامكان الرجوع الى تفاصيلها وقت الحاجة ٠

(ب) الوسائل غير المباشرة :

وهى طرق يختارها الرواد أو القادة أو الدعاة ، ولا يعلم الجماهير أنهم طرف فى عملية الدعوة مثل :

١ ــ العمل الأمثل : أى أن يؤدى الداعية عمله بنجاح يعود عليه بالنفع ، فيصبح قدوة لغيره ، وخاصة فى مجال زيادة الانتاج وجودته وسرعة أدائه وقلة نفقته ٠٠ كالفلاح الذى يبتكر طريقة تزيد غلة الفدان ، أو يصل الى انبات صنف جديد من المحصولات ٠ والعامل الذى يدخل تعديلا بسيطا على الآلة، أو يختصر عدة حركات من طريقة العمل ، أو يقلل جزءا ملحوظا من المادة الخام ٠

هذا نوع من وسائل الدعوة العملية يخدم نشر الفكرة الاشتراكية دون شك ٠

٢ ــ الآداب : من شعر ونثر وزجل وقصص ٠

٣ ــ الفنون : المسرحية والسينمائية والموسيقية والتليفزيون والرسم والنحت والتصوير ٠٠ الخ ٠

٤ ــ زيارة معالم التغيير الثورى ٠

٥ ــ المعارض ٠

٦ ــ المناقشات الحرة الفردية ٠

وكلها أساليب تدخل فى نطاق واجبات الداعية الاشتراكى ٠٠ ومن صميم رسالة الاتحاد الاشتراكى العربى ٠

ومن الحقائق الهامة أن الدعوة العابرة أثرها عابر أيضا لا يستديم أثره ٠ ٠ولذا فان الداعية المقيم أعمق أثرا فيمن يخاطبهم ، لأنه أقدر على

مخاطبتهم بلهجتهم المحلية ، وأدرى بمشاكلهم الخاصة والنوعية ، وحظه من ثقتهم أكثر لارتباطه بهم بالعمل والاقامة والصداقة والعشرة ، وقد يكون مرتبطا بهم عن طريق القرابة كما هو طابع المجتمع الريفى ٠

ولذلك فالداعية المقيم ذو تأثير عميق مستمر ، وهو أيضا أدق فى تصوير حقائق مشاكل واتجاهات البيئة المحلية التى ينقلها الى القيادة ٠

لأجل هذا تسند بعض البلاد الاشتراكية هذا العمل السياسى الى المديرين الذين يعينهم التنظيم السياسى بوصفهم أعضاء الكادر السياسى، ولهم على العمال سلطات ، وهم يحيطون بتفاصيل مشاكلهم وأعمالهم اليومية ٠

وهكذا نرى أن الدعوة علم وفن وقدرة على الحركة والاقناع ، وهى قبل ذلك خلق ، وبعد ذلك ضرورة ملحة لربط الفرد بالمجتمع المحلى والدولى ٠٠ وهى أيضا ضرورة الحق القيادات المتجددة المتعددة التى قال عنها الرئيس جمال عبد الناصر :

« اننا دائما فى حاجة ملحة الى توعية الجماهير المعبأة، توعية مستمرة وعميقة تكفل قيادات متعددة للنضال الشعبى ، وقواعد تمتد الى كل مركز من الوطن » ٠

***

٠٠٠ ان الأمل الحقيقى هو فى استمرار النضال ، وتأكيد الاستمرار حين يكون هناك فى كل وقت جيل جديد على أتم استعداد للقيادة وحمل الأمانة ومواصلة التقدم بها :

أكثر وعيا من جيل سبق ٠٠

أكثر صلابة من جيل سبق ٠٠

أكثر طموحا من جيل سبق ٠٠

***

ان حرية القيادات يجب أن تستمد حقها من حرية القواعد الشعبية٠

***

ان ممارسة الحرية تخلق القيادات المتجددة للعمل الثورى ، وتدفعها

دائما الى الأمام .. وتخلق قيادة من التفكير الجماعى القادر على صد نزعات التحكم ، وتوفر للعمل الوطنى ضمانات بعيدة المدى .

***

القيادة الحقيقية هى الاحساس بمطالب الشعب ، والتعبير عنها ، وايجاد الوسائل لتحقيقها ، وتجميع قوى الشعب وراء الجهود المحققة لها.

***

ان اخلاص الشعب المصرى لقضية الثورة ، ووضوح الرؤية أمامه ، واستمراره الدائم فى مصارعة جميع أنواع التحديات ، قد مكنه دون أدنى شك من تحقيق نموذج رائع للثورة الوطنية ، وهى الاستمرار المعاصر لنضال الانسان الحر عبر التاريخ من أجل حياة أفضل .

***

القيادات الجديدة المتصدية لتحريك التطوير الوطنى قوة هائلة لا بد من حمايتها لتؤدى رسالتها الوطنية بالنجاح المطلوب .

***

ان أية محاولة لاخفاء الحقيقة أو تجاهلها ، يدفع ثمنها فى النهاية نضال الشعب وجهده للوصول الى التقدم .

◆ الجماهير
تجميعها تجمعاتها اجتماعاتها

اختلفت أغراض تجميع الناس · فمن هذه الاغراض الكثيرة · ماهو مهنى ، أو حربى ، أو تربوى ، أو علمى ، أو عقائدى ، أو ترفيهى ، أو دينى ، أو نقابى ، أو تعـــاونى ، أو تجـــارى ، وغير ذلك من الاغراض الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ·

وقد تكون هذه التجمعات ارادية أو تلقائية ، منظمة أو عشوائية ، ولكنها فى كل حالة تلتف حول فكرة أو هدف ، مهما كان هذا الهدف وهذه الفكرة ذاتية أو عامة ·

ومن صميم عمل الدعاة دراسة وسائل تجميع الجمــاهير ، وركائز تجمعاتهم ، وقواعد توجيه اجتماعاتهم وتنبثق أهمية ذلك أصلا من أن روح الاشتراكية تقضى باحلال العمل الوطنى المشترك الجماعى ، محل الجهد الفردى الأنانى الوصولى أو الاستبدادى ، فهذه واحدة من أهم القيم التى تقضى بها الديمقراطية العربية · ومن ناحية أخرى فان طبيعة التحديات التى تواجهها تجربتنا الثورية التقدمية تستدعى حشد الجموع الشعبية للتحفز ضد ما يراد لنا من انتكاس ، وما يلقى فى الطريق من صـــخور التعويق ·

ان القوى الرجعية فى الداخل ، والقوى الاستعمارية والصهيونية فى الخارج تســـتغل فى حربها النفسية ، كل ما بقى مترسبا فى قاع المجتمع من رواسب الاستعمار الثقافى ، والاقطاع الفـــكرى ، والتخلف العلمى والتربوى ، وأنماط السلوك النفعى ، وغير ذلك من أنواع القصور والاعوجاج التى كافحتها الثورة ــ وما زالت ــ منذ قيامهـــا ــ بمختلف الوسائل المعروفة ·

فتجميع الجماهير اذن هو جوهر عمل الدعاة · وهو على نوعين :ــ

١ ــ تجميع معنوى :

أى خلق التقاء فى الرأى بين الناس ، حول فكرة أو هدف معين ، بوسائل الاعلام المرئية والمسموعة ، برغم تفرق وجودهم المكانى ·

٢ ــ تجميع عادى :

أى تكتيل وجمع الافراد فى تجمعات أواجتماعات لمختلف الاغراض ، واستخدام الاتصال المباشر لتوضيح الرؤية على حسب المستوى الثقــافى

والعلمي السائد في الجماعة ، وسواء كان التجميع معنويا أو ماديا ، فان قصد الدعاية منه هو تعبئتهم عقائديا ·· فالتعبئة العقائدية هي الاساس الصلب الذى لا بد منه لاتمام بناء الطوابق العليا للمجتمع الاشتراكى : بمفاهيمه ، وأيديولوجياته ، وأخلاقياته ، وتطبيقاته ، وتنفيذ خططه، وكذا حماية الثورة فى الداخل والخارج ·· وبقدر ما ينجح الداعية فى أداء رسالته ، وفى اقناع أكبر قدر من الجماهير ـ بقدر ما يجعل منهم ـ تلقائيا ـ قلعة آدمية ، وبنيانا بشريا مرصوصا يلتف حولها ، ويفتديها ، عن ايمان بأنها ليست مجرد «حرية واشتراكية ووحدة» ، بل على انها الحياة ذاتها ·· حياة هذا الجيل والاجيال المتعاقبة من الابناء ·

ويعتمد تجميع الجماهير على تنظيم الجهود ، وحسن استخدام الطاقات البشرية ، لضمان الخروج من الخطة بأكبر عدد من الناس ، وأعمق غور من الاقناع ، دون أن يفلت زمام السيطرة على الجموع أو يتعذر تقويم أى شطط · ويحتاج هذا العمل ـ بالاضافة الى ما سبق الحديث به عن الدعوة والدعاة ـ الى دراية واستخدام لبعض العلوم الانسانية كعلم النفس السياسى ، والعلاقات العامة ، والاجتماع التربوى والمورفولوجيا المحلية لمعرفة مناطق ومواسم كثافة وضخامة عدد السكان، وأيديولوجية المدينة أو القرية أو الحى لمعرفة مراكز التجمع ومواقع نركز واتصال الجماهير ·

كل ذلك أو بعضه يفيد القادة فى استنباط الوسائل الأكيدة لتشويق الجماهير وجذبها عن طريق أنواع اهتماماتها فى حينها ، وفى مواقعها المحددة بدقة وبتوقيت وبفاعلية تتوافر لها أكبر قدر من احتمالات النجاح فى بلوغ القصد ·

ومن المهم أن يتذكر الداعية أن هناك عدة عوامل تتدخل سلبا أو ايجابا فى عملية تجميع الجماهير وأهمها : ـ

١ ـ أن تضخم المشاكل من حيث الكم والكيف يتناسب تناسبا عكسيا مع التعبئة الفكرية للجماهير ، ذلك انه كلما ازداد الحاح المشاكل وثقلها عليهم ، تضاءل اقبالهم على التجمعات السياسية المباشرة أو متابعة ما يلقى اليهم فيها من مفاهيم ·· وقد يصل الامر الى صد مستتر أو مكشوف لما يراد اقراره فى أذهانهم ·

ولذا فان من عمل الداعية أن يدرس هذه المشاكل الملحة ، ويعاون الجماهير على حلها على حسب أولويات ثقلها على الاعداد الكبيرة من الناس، وأن يقدم لهم الايضاحات الحقيقية عنها ·

٢ ـ ان عامل الخدمة الاجتماعية عامل جاذب للجماهير ، دافع الى تجمعهم ·· وفى هذا المجال يستطيع الدعاة والقادة الجمع بين فائدتى التجميع والانعاش الاجتماعى بفصول محو الامية ، ومراكز العلاج المحلية، والخدمات التربوية والترفيهية والرياضية والمعسكرات والرحلات والخدمات التعاونية ·

٣ ـ ان لكل بيئة قادة رأى ثقاة من طراز معين ، ينبغى اكتشافهم والاستعانة بالصالحين منهم كدعاة مقيمين ·· وهؤلاء تختلف نماذجهم من بيئة الى أخرى وهم :ـ

(أ) **فى الريف :** الأئمة ، والمأذونون الشرعيون ، وعمداء العائلات ، وأبناء القرية المثقفون ، والمدرسون ، والتعاونيون الشرفاء ·

(ب) **فى المدن :** المدرب فى ناديه ، والنقيب فى نقابته ، والاخصائى الاجتماعى فى مجاله ، ورجل الدين فى معبده ، والطبيب مع مرضاه ، ورجل العلاقات فى مؤسسته ··· الخ ·

٤ ـ ان القدرة على التجميع تتأثر بعوامل معينة منها :ـ

(أ) تزداد فى الاعياد والمواسم الدينية والقومية والشعبية ·

(ب) تقل حيث تسوء أو تتعذر المواصلات وتتبعثر وتتباعد أماكن اقامة الاعضاء ، والعكس بالعكس ·

(جـ) تضعف حينما تسوء الاحوال الجوية ، وتتضاعف فى الجو الصحو ·

(د) تزداد حينما يتأكد للجمهور أنهم سيتزودون بالجديد النافع ، وفى حالات الاحساس بالخطر ، وأهمية الاجتماعات ·

كل هذه العوامل وغيرها ، لا بد أن يضعها القادة فى الحسبان عند تجميع الجماهير ·

تجمع الجماهير

رأينا كيف أن تجميع الجماهير عملية ارادية ، يؤديها الدعاة ، ويهيئون لها مقدما مكانا لالتقائهم أما تجمع الجماهير فيتم تلقائيا دون تدخل الداعية ، وغالبا ما يتكون التجمع من أفراد متجانسين ، يربطهم هدف مشترك نقابى أو مهنى أو سياسى أو رياضى أو اجتماعى أو ثقافى أو ترفيهى ··· الخ ·

فمراكز التجمع بهذه الصورة ميدان جاهز لعمل الدعاة يوفر عليهم جهودا كثيرة أهمها : —

(أ) دفع أو جذب الجمهور نحو التجمع .

(ب) توفير وتهيئة مكان التجمع .

وبذلك يستبدل الداعية هاتين العمليتين وما يشتق منهما ، بأن ينتقل بنفسه الى مراكز هذه التجمعات ، ليتصل بالجماهير ، ويؤدى رسالته الفكرية أو الثقافية .

واذا نظرنا الى الاتحاد الاشتراكى العربى ككل ، وجسدناه تجمعا جماهيريا هائلا — من الناحية المعنوية — يضم من قوى الشعب العاملة ما يبلغ ٤٫٨٨٥٫٩٣٢ عضوا بين فلاحين وعمال ، ومثقفين ، ورأسمالية وطنية ، وجنود : ينتشرون فى ٣١٤ مدينة ، و ٢١٣٩ قرية فى الريف والحضر والمدر .

ومن ناحية التجمع الجغرافى نجد ان قوى الشعب العاملة موزعة على النحو الآتى : —

١ — الريف :

حيث أغلب الفلاحين ، تشاركهم قطاعات محدودة أخرى . وفيما عدا منظمات الاتحاد الاشتراكى المختلفة بين مؤتمرات الوحدات الأساسية ولجانها ، ومؤتمرات المراكز ولجانه ، ومؤتمرات المحافظات ولجانها — فان هناك تجمعات مادية بشرية أخرى فى الريف ذات طابع اقتصادى كالجمعيات التعاونية ، أو اجتماعى كالنقابات والنوادى الريفية .. أو دينى يتمثل فى تجميعات العبادات وحلقات الذكر ، أو تجمعات شعبية كالأفراح وأعياد الحصاد ، وتجمعات المنادر والأدورة والمصاطب .

٢ — الحضر :

حيث يعيش أغلب العمال والمثقفين والرأسمالية الوطنية .. وفيما عدا منظمات الاتحاد الاشتراكى وتجمعاته على النحو السابق ذكره ، فان بالحضر تجمعات نقابية تتمثل فى ٢٨ نقابة عامة تشرف على عدد هائل من تجمعات اللجان النقابية التى تضم ٢٫٥٠ ألف عضو من العاملين فى الصناعة والتجارة والخدمات .. وهناك تجمعات الجمعيات التعاونية ، والنقابات المهنية ، والجمعيات الخيرية ، والاتحادات الثقافية التى تضم المثقفين ، وهناك تجمعات هيئات التدريس ، والموظفين على اختلاف نحلهم

أو مواقفهم ، وتجمعات الطلاب ، والمدارس ، والمستشفيات ، والمصانع ، والمنشآت ــ سواء فى المؤسسات الجماهيرية أو فى روابطهم وجمعياتهم الخاصة .. أما الرأسمالية الوطنية فمراكز تجمعها الغرف التجارية والصناعية .. هذا خلاف المعابد ومراكز الخدمة الاجتماعية والنوادى الرياضية والثقافية والفنية ، وتجمعات الترفيه وشغل أوقات الفراغ ، وغيرها مما يمكن استغلاله والانتفاع به فى رسالة الدعوة .

٣ ــ المدر :

حيث يعيش جماعات من البدو ثابتين أو رحلا فى الصحارى وعلى الحدود ، وجماعات من عمال مشروعات الاصلاح الزراعى ، وآخرون يعملون فى الصناعات الاستخراجية .

ان النجاح فى توصيل الدعوة وترسيخها ونشرها يعتمد أساسا على تحديد مواقع التجمع فى القطاع المحيط بالداعية مجال نشاطه ، حتى يستطيع فى يسر وبسرعة استخدامها فى تنفيذ الخط السياسى الصادر اليه ليوصله الى قطاع معين من القوة العاملة .. ولذا فان من أهم الأمور أن يبدأ القيادى عمله بعملية اكتشاف تحليلية واسعة النطاق عن مواقع الاتصال المحلى فى منطقته ، وتصنيفها ، وتبويبها على حسب فئات التجمع وكثافة الأعداد البشرية المرتبطة بكل مركز تجمع وغير ذلك من البيانات والحقائق التى لاغنى مطلقا للرجل القيادى عنها التى يحضرنا منها : ــ

١ ــ عمل خريطة لركائز الاتصال أو مواقع التجمع الدائمة .

٢ ــ تحديد مواقع الاتصال الدائمة ، والدورية ، والموسمية ، والمؤقته .

٣ ــ تحديد طبيعة نشاط كل تجمع .

٤ ــ المستوى الثقافى والاقتصادى والروحى لكل موقع .

٥ ــ عمل دليل بالأفراد القياديين من نجوم الجماعة المحليين ، ومراتبهم ، وأيسر وسائل الاتصال بهم أى عناوينهم وتليفوناتهم وأماكن وجودهم المعتادة فى أوقات الفراغ .

٦ ــ دليل بالمؤسسات والمنظمات والجمعيات والهيئات ، ومواعيد اجتماعاتها الدورية .

٧ ــ دليل بأماكن التجمع العامة للأعداد الكثيرة كالحدائق والمقاهى والنوادى ومراكز الخدمة الاجتماعية والمعارض .

٨ ـ دليل بتواريخ وأماكن عقد التجمعات الدينية والقومية والشعبية فى الأعياد والمواسم والمناسبات ٠

٩ ـ تحديد الجماعات النشيطة ـ أو الشللية ـ الموجودة فى كل موقع ، واتجاهاتها سلبا أو ايجابا ٠

١٠ ـ مراجعة البيانات باستمرار ، وتعديلها على حسب ما يستحد من ظروف ٠

١١ ـ مداومة الاتصال بالنجوم المحليين ، وعقد العلاقات الوثيقة معهم ٠

١٢ ـ الالتجاء الى الهيئات المختصة للتزود بالمعلومات العلمية والاحصائية اللازمة لزيادة الايضاح ٠

الاجتماعات :

ان تجميع الجماهير أو تجمعها ـ اذا اتخذ صورة منظمة ـ ينتهى الى اجتماعات ٠٠ والاجتماعات وسيلة جماعية لاتصال الدعاة والقادة بالجماهير ، وتحقيق المواجهة والنقد بينهما ٠

والاجتماعات بحق فصول الديمقراطية داخل مدرسة التنظيم السياسى ٠٠ لأنها توفر فرص الحوار والمناقشة وتأمين عناصر النظرية السياسية وتطبيقاتها ، واتاحة النقد الشجاع البناء ، فضلا عن أن الاجتماعات تعتبر أهم وسائل بحث الخطة السياسية ، ووضعها ، وشرحها ، وتنفيذها ، تنازليا على درجات التنظيم السياسى فى اجتماعات مستوياته على الترتيب من أعلى الى أسفل ٠ والاجتماعات كذلك احدى وسائل كشف المتناقضات بين القوى والاتجاهات الفكرية ، وحلها سلميا ٠

أهداف الاجتماعات التنظيمية :

وأهم أهداف الاجتماعات فى التنظيم السياسى هى : ـ

١ ـ وقاية الوحدة الوطنية من التفكك فى صراعها مع العناصر المضادة ٠

٢ ـ ابراز قيمنا الروحية ، وتراثنا الحضارى ، وجوانب نظريتنا السياسية ٠

٣ ـ استخدام هذه القوى كطاقات دافعة للجماهير نحو التكتل والتقدم ٠

٤ ـ القضاء على النزعات السلبية والتواكلية والانعزالية والمنحرفة ٠

٥ ــ تحويل هذه الآفات الى ايجابية وفاعلية وترابط واستقامة ٠

٦ ــ ممارسة القيادة الجماعية الديمقراطية ، والتدريب على استبعاد التسلط الفردى والانحراف المذهبى ٠

٧ ــ تصحيح الأخطاء التى تنشأ فى عملية التطبيق والتنفيذ ٠

أنواع الاجتماعات :

١ ــ اجتماعات داخل هيكل التنظيم لا يشترك فيها سوى أعضائه وهى محددة أصلا من حيث : ــ

(أ) مراتبها

(ب) عدد أعضائها

(جـ) مواعيد انعقادها

(د) صلاحيتها

(هـ) مدى فاعلية قراراتها ٠

٢ ــ اجتماعات خارج هيكل التنظيم ،مفتوحة لغير أعضائه ،وأهمها:ــ

ا ــ اجتماعات التكوين أو النضال الفكرى ، كالمحاضرات ، والمناظرات ، والمؤتمرات ، والمناقشات . والحلقات الدراسية ٠

(ب) اجتماعات التعبئة الجماهيرية العامة ٠

قواعد وآداب الاجتماعات :

ومهما تنوعت أشكال الاجتماعات وأهدافها ، فانها جميعا تخضع لقواعد وآداب معينة ، ينبغى على جميع أعضاء التنظيم معرفتها ،واحترامها، والالتزام بها ٠٠ وقد نبتت هذه القواعد مع ولادة الاجتماع الانسانى ونمت بنموه ، وتأثرت بتراثه وبالاعراف والتقاليد والسنن والشرائع ، وفى مراحل نموها التقت بالنظم والأسس الديمقراطية ، وانفعلت بها ، واتحدت معها ، حتى صارت قواعد الآداب ، والديمقراطية ، وجهين لعملة واحدة ٠٠ ولقد بلغت من الأهمية مبلغا جعلها تسمى بالقواعد البرلمانية ٠

فقواعد وآداب الاجتماعات هى الضمان الأول للديمقراطية ، لأنها الديمقراطية بعينها ٠٠ ذلك أن أهم أسس الاجتماعات هو أن نهيىء أنسب تربة وأصلح مناخ لنمو النقد البناء الشجاع ، ولأن يعبر الفرد بحرية

تامة عن أفكاره : تصقلها المناقشة والحوار ، فتلتحم الأفكار ، وتتصارع الآراء ، ويتفاعل خليطها فى عجينة مستساغة تقبلها الأغلبية ، ويلتزم بقرارها المجموع ، فتنحل التناقضات الفكرية وتتقارب الاتجاهات المتباينة .

لهذا تهتم التنظيمات الديمقراطية بتثبيت قواعد الاجتماعات فى سلوك أعضائها ، عن طريق التدريب والممارسة والرقابة والنقد والتوجيه.

ومن أهم مبادىء هذه الآداب ما يلى : ــ

أولا ــ الاجتماعات لاتعقد بالصدفة :

فلا بد لها من اخطار سابق ، يحسن أن يكون مكتوبا يتضمن بيان الآتى :

(أ) **المكان :** ويحسن أن يكون متوسطا بالنسبة لأماكن الأعضاء ما لم يكن محددا ثابتا .

(ب) **الموعد :** ويراعى فى تحديده ظروف أغلب الأعضاء ضمانا لحضورهم .

(ج) **جدول الأعمال :** وهو خطة العمل ، وبيان الأغراض التى يرمى الاجتماع الى تحقيقها .. ومن أهم الأمور أن يصل جدول الأعمال الى الأعضاء قبل موعد الاجتماع بوقت يكفى لدراسة موضوعاته والاستعداد التام لمناقشتها .

وأهم شروط جدول الأعمال هى : ــ

(ا) وضوح الصيغة .

(ب) أن يجعل من الاجتماع اللاحق امتدادا للاجتماعات السابقة . عن طريق ربط موضوعاتها .

(ج) أن يلتزم بقرارات الاجتماعات السابقة .

(د) أن تتناسب محتوياته من الموضوعات مع الزمن المقدر للاجتماع .

وفيما يلى نموذج لجدول أعمال من تصميم الأستاذ أمين عز الدين :ــ

جدول أعمال

اجتماع لجنة • • • • • يوم •• / •• / ١٩٦٠

١ ـ افتتاح الجلسة أو الاجتماع •

٢ ـ تلاوة محضر الاجتماع السابق •

٣ ـ المسائل المنبثقة عن قراءة المحضر •

٤ ـ المراسلات •

٥ ـ تقارير اللجان الفرعية •

٦ ـ المسائل الجديدة (مرتبة على حسب أهميتها) •

(أ) ... ...

(ب) ... ...

٧ ـ مسائل أخرى •

توقيع

ثانيا ـ مسئولية الاجتماع :

يقضى مبدأ القيادة الجماعية بأن كل عضو مسئول عن نجاح الاجتماع ، وأن مسئوليات المقرر والسكرتير محددة على الوجه التالى : ـ

١ ـ مسئولية المقرر :

(أ) بدء الاجتماع فى موعده المحدد بالضبط •

(ب) حصر الحاضرين والتيقن من صحة الانعقاد •

(جـ) اعلان استمرار الانعقاد اذا كان صحيحا •

(د) تكليف السكرتير بقراءة جدول الأعمال •

(هـ) **ادارة الاجتماع طبقا « لقواعد المناقشة » التى سيأتى الحديث عنها** بعد ، والزامه بآدابها ، وحرصه على أخلاقياتها ، دون طغيان، أو اغفال ، أو اهدار لأية من دعاماتها •

(و) الاستخدام التام لقواعد الاجتماعات وقواعد المناقشات فى حسم الخلاف بين الأعضاء •

(ز) الاستعداد الكامل للاجتماع بدراسة عميقة لموضوعاته •

(ح) ضرورة الرجوع الى هذه القواعد بين حين وآخر ، دون الاعتماد على الخبرة المتراكمة من تكرار ممارسة ادارة الاجتماعات •

٢ ـ مسئولية السكرتير :

(أ) تسجيل ما يجرى فى الاجتماع بالتفصيل ·

(ب) تسجيل القرارات ·

(جـ) مباشرة المراسلات ·

(د) كتابة محضر الاجتماع على حسب النموذج التالى :

محضر اجتماع

لجنة ··· بتاريخ ··· / ··· / ١٩٦٠

١ ـ نوع الاجتماع (عادى ، غير عادى) ·

٢ ـ المكان ·

٣ ـ الوقت ·

٤ ـ التاريخ ·

٥ ـ اسم المقرر ، والسكرتير ، والأعضاء الحاضرين ، والمتغيبين ، والمعتذرين ومدى قبول اعتذارهم من عدمه ·

٦ ـ الاجراءات المترتبة على تلاوة المحضر السابق ·

٧ ـ خلاصة تقارير اللجان الفرعية ، وما اتخذ حيالها من قرارات

٨ ـ نص القرارات ، وأسماء مقدميها ، ونتيجة التصويت عليها ، مع عرض الآراء التى أبديت فى المناقشة ·

٩ ـ موعد انتهاء الاجتماع ، وتحديد الاجتماع القادم ·

آداب المناقشة :

المناقشة شكل منظم لتبادل الحديث بين جماعة تهدف الى تبادل الأفكار والتجارب والخبرات والآراء لتصل فى النهاية الى قرار موحد ناضج أكثر تكاملا ·

والمناقشة تنقلب الى شبه محاضرة اذا انفرد واحد بين المجموعة بالكلام طول الوقت أو أغلبه · ومن ثم لا يمكن الوصول الى قرار ، وان

تم فهو قرار غير ناضج ، لأن نضـــج القرار يتأتى بالاحتكاكات الذهنية التى ترصع الرأى الفردى بجواهر خبرات الجماعة ليصبح عالى القيمة ٠

والمناقشة تختلف أيضا عن المناظرة ، لأن المناظرة تتم بين جانبين يختلفان على رأى معين ، وكل منهما يؤكد وجهة نظره بكل ما أوتى من فنون الجدل ، ولو أخفى فى سبيل ذلك بعض الحقائق التى يخدم ابرازها وجهة النظر المضادة ٠

فالمحاضرة عمل فردى ٠

والمناظرة عمل جدلى شخصى ذاتى يتجاهل الموضوعية أحيانا ٠

والمناقشة عمل جماعى مشترك ، ومجهود انسانى متعاون لكشف الحقائق ، وتوحيد الفكر ، وتحديد عمل موضوعى ٠٠ فهى لذلك جديرة بالعناية وبضرورة ممارسة الأسس الديمقراطية فى كل مراحلهـا على حسب القواعد الأساسية الآتية : ــ

١ ــ احترام حق الآخرين فى حرية التعبير الكامل عن آرائهم ٠

٢ ــ اعطاء الفرصة لمؤيد واحد على الأقل للرأى المطروح لابراز جوانب التأييد ٠

٣ ــ اعطاء الفرصة لمعارض واحد على الأقل لتقـــديم أســـباب التفنيد ٠

٤ ــ محاولة تعديل الرأى بما يصقله أو يقرب وجهتى النظر ٠ للوصول الى رأى جامع أكثر اكتمالا وأقل احتمالا لمواطن الضعف ٠

٥ ــ التصويت على الرأى أو القرار قبل كل تعديل ٠

٦ ــ التصويت على التعديل قبل تعديل التعديل ٠٠٠ وهكذا ٠

٧ ــ اتخاذ القرار على حسب الأغلبية ٠

مسئولية مقرر الاجتماع عن المناقشة :

١ ــ تنظيم حق الكلام على حسب ترتيب طلب الكلمة ٠

٢ ــ منع المقاطعة الا فى حالات طلب الكلمة فى نقطة نظـام حول احدى الحالات الآتية : ــ

(أ) طلب تصحيح ٠

(ب) طلب زيادة ايضاح أو تفسير أو ضرب مثل ٠

(ج) الزام المتحدث بالعودة الى الموضوع وعدم الخروج عنه ٠

٣ ـ تشجيع صاحب الاقتراح على توضيح رأيه وتدعيمه بالأسانيد والحجج ٠

٤ ـ فتح باب المناقشة حول الاقتراح باعطاء الكلمة لمؤيد ٠

٥ ـ اتباع ذلك بمعارض ٠

٦ ـ تكرار البندين السابقين ان أمكن ٠

٧ ـ السماح بتعديل القرار الأصلي ٠

٨ ـ التصويت عليه ٠

٩ ـ السماح بتعديل التعديل حتى يتكامل الاقتراح ٠

١٠ـ التصويت على تعديل التعديل ٠

١١ـ صياغة القرار على أساس آخر تعديل مقبول ٠

١٢ـ التصويت عليه ٠

بهذا ، وبهـــذا وحده ، تتوافر أرقى ضـــمانات الصراع الفكرى الديمقراطى ، الذى يســـتخدم طاقات خلاقة مجددة مبدعة ، من ذكاء الأعضاء ، وآرائهم النامية ، وخبراتهم المتراكمة ، وتجـاربهم المتنوعة ـ فتتضح الرؤية وتبدو الحقائق شفافة نقية خالصة ، وتثمر الاجتماعات أثمن القرارات من أجل انجاز أنفع الأعمال التى تخدم الفكرة الاشتراكية العربية ، والشعب الاشتراكى العربى العظيم ٠

العمل السياسى
بين أمس واليوم

العمل السياسى هو الوسيلة الايجابية ، عقلية كانت أو حركية ـ لتحقيق المبادىء السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التى تحتويها تفاصيل الخطة ، ويقتضيها بلوغ الأهداف العامة ٠

والعمل السياسى هو مادة نشاط أعضاء الاتحاد الاشتراكى العربى على مختلف مراتبهم فى التنظيم من أعضاء عاملين ،وقادة ، ودعاة ، ورواد، وموجهين ، ومراقبين ، يمثلون ارادة الشعب وسيادته ويتعمقون فى ميثاق الأمة ومبادئه ، فتنعكس سماته على سجاياهم وسلوكهم وأعمالهم اليومية ، فى أى مستوى ، كانوا ٠٠ ومن هنا كانت دراسة موضوع « العمل السياسى » أمرا ضروريا وهاما ٠

تعريفه :

لعل أدق تعريف للعمل السياسى ، بما قل ودل ، هو ما عرفه الدكتور حسين خلاف اذ قال : العمل السياسى هو الاشتغال بالشئون العامة للبلد ٠

ولذا فان اشتغال امرىء بأمور خاصة به وبوظيفته وحياته ومعيشته، لا تعتبر أعمالا سياسية ، مهما كانت علاقتها بالمجتمع ٠

وللعمل السياسى مفهوم تقليدى ضيق ينحبس فى سياج تصريف شئون الحكم وممارسة السلطة بطريقة مباشرة ٠٠ لكن هذا المعنى الضيق حال وبهت ٠ وأصبح للعمل السياسى مفهوم كريم يتسع رحابه لكل من يمارس أعمالا اقتصادية وثقافية وعقائدية واجتماعية طالما هى أعمال وطنية وعامة ٠٠ بل ان هذا المفهوم الجديد يتسع لمن يحتلون كراسى المعارضة ، ويحملون أقلامها ، ولو لم يكونوا فى الحكم ٠

وبمعنى آخر ، فان العمل السياسى لم يعد مرتبطا بالسلطة أو الدولة وحدهما كما كان شائعا ، ولكنه أضحى يغطى كل الأمور العامة المتعلقة بكلتيها ، والتى تخدم أهدافهما سواء من حيث تنظيم وتدبير احتياجات المجتمع ، أو من حيث تنظيم العلاقات بين الافراد وحماية مصالحهم ، أو تنظيم العلاقات بينهم وبين الدولة ، أو بين المنظمات والجماعات المحلية ، أو بين الدولة وغيرها فى الخارج ، وما يتعلق بذلك كله من دراسات علمية نظرية وتطبيقية ٠

لمحة تاريخية :

لقد ظل العمل السياسى منذ فجر التاريخ الشغل الشاغل للمفكرين

والمصلحين والحكام والمحكومين ·· فخلف لنا أعلام الفكر السياسى عبر ٢٥ قرنا من الزمان تراثا من الآراء والتجارب تستقى من النظريات السياسية عناصرها ، ومن الأعمال السياسية نماذجها ·· ولكن أفضل عمل سياسى هو ما التزم بحقيقة هامة جدا تقيه الخلل والعجز والشطط والجمود ·· وهى أن لكل أمة رأيا عاما مميزا وملامح شخصية ذاتية تتكون من تفاعل مجموعة من العناصر أهمها : ـ

١ ـ حصيلة تجاربها السياسية الخاصة ، وتأثراتها التاريخية ·

٢ ـ تراثها الاجتماعى والأخلاقى ، وقيمها الروحية والدينية ·

٣ ـ تكوينها المورفولوجى وموقعها الجغرافى ·

٤ ـ خصائصها السكانية والأنثربولوجية ·

٥ ـ ظروفها الاقتصادية ·

فمن الطبيعى أن تختلف أمزجة الأمم وتذوقاتها للمذاهب السياسية، ومن ثم تختلف درجات حماسها لأداء العمل الوطنى السياسى تبعا لمقدار تجاوبها مع النظرية السياسية السائدة ، وظروف الحكم القائم ، ونسب تركيب هذه الظروف ، ودرجة الحاح وضغط الأحداث السياسية ·· كما يختلف نشاط العمل السياسى وانتشاره تبعا لنفس العوامل على مدار التاريخ فى الأمة الواحدة ·

ولقد اقتصر العمل السياسى فى الجماعات الصغرى ـ أول الأمر ـ على رب العائلة ، وفى المجتمعات البدائية ، على رؤساء العشائر ، ثم رؤساء القبائل والكهنة ، مما لا يمكن اعتباره عملا سياسيا بالمفهوم الحديث ، ولكن ما يهمنا ملاحظته أن العمل السياسى بدأ فرديا استبداديا خلال العهود الموغلة فى التأخر والجهل والظلام ·

ثم يطالعنا التاريخ بأن أول عمل سياسى منظم تام متطور عرفه العالم هو ما مارسته مصر الفرعونية منذ ٢٥٠٠ سنة ، بوساطة «الحورس» أى الملك ، الذى التزم بفكرة سياسية اسمها « الماعت » ومعناها الحكم بالأمانة والنظام والعدل والحق ·

وبدأ منذ ذلك الحين ـ العمل السياسى ـ ينساب من قبضة الفرد الى حد ما ، اذ كان الفرعون يستعين فى الحكم بحامل أختامه ، وطبقة من الوزراء ، ثم رؤساء المدن ، فرؤساء القرى ، فمشايخ البلاد ·· وهكذا اتسعت دائرة العمل السياسى وان لم يكن لأفراد الشعب حق فى مزاولته·

لكن حدثا هاما فى تاريخ مصر القـــديم ، قد أكدت نتائجه حقيقة سياسية بارزة وهى أن الشعب المصرى المعلم تتفجر طاقاته السياسية الكامنة ، ويستل سيوف العمل السياسى من غمدها حينما تشتد الوطأة على كرامته ، وحينما يشعر بالخطر ، ذلك أنه انتفض انتفاضة شعبية غاضبة عندما تعرضت البلاد لغزو الهكسوس ، فانتقدوا احتكار العمل السياسى لفئة خاصة ، وكان للشعب ما أراد ، فانتعش العمل السياسى واتسعت قاعدته الجماهيرية ، لكن لفترة قصيرة ، انتهت بدحر الغزاة ·· ثم عاد النظام الطبقى الجامد سيرته الأولى ، وتقلص العمل السياسى من جديد ، فصار وقفا على الفرعون ، والكهنة ، ونواب الملك على أطراف امبراطوريته الواسعة فى أثيوبيا وآسيا ، وخاصة فى عهد الرعامسة ·

وحرم الاغريق العمل السياسى على العبيد والأجانب ·· كان العبيد يمثلون نصف سكان المدينة ، وكانوا يقومون مقام الآلة والدواب والخدم فى حمل عبء الأعمال الحرفية والانتاجية اليدوية والجر والنقل والخدمات حتى لا يبقى للمواطنين الأحرار من عمل يعملونه الا السياسة ·· أمـــا التجارة والصناعة فقد اختص بها الأجانب النازحين من المدن المجـــاورة المقيمين بصفة دائمة ، وهؤلاء أيضا محرومون من العمل السياسى ·

ان سقراط نادى بأن يتفرغ المواطنون الأحرار للعمل السـيـــاسى تاركين ما عداه من أعمال للرقيق ··

وأكد تلميذه أفلاطون أن العلماء الفلاســـفة هم الفئة التى تعرف الأعمال الفاضلة وتجيد وسائل تحقيقهـــا ، ومن ثم ينبغى قصر العمل السياسى عليهم ·· بل انه قد خطط نظاما تربويا أوصى به لتخريج هذه الطبقة فى مشروع مدينته الفاضلة ·

وأرسطو تلميذ أفلاطون ، نادى أيضا بتفرغ الفلاسفة ورجـــال المعرفة دون غيرهم لمزاولة العمل السياسى ، فلا يتصدى له السطحيون لانه يحتاج الى ثقافة ودراية ومعرفة وقدرة على تفســـير الأحداث وتحريك الحوادث ·

ومما تقدم نخرج بالنتائج المستنبطة الآتية : ـ

١ ـ ان فكرة التفرغ للعمل السياسى قديمة وليست حديثة ·

٢ ـ ان هناك فئات كانت تحرم وتعزل عن العمل السياسى لعـــدم توافر صلاحيات معينة فيها ·· منها ما هو عقلى ، ومنها ما يتعلق بضمان سلامة الوطن والاخلاص له ·

٣ ـ ان توسيع دائرة العمل السياسى بين الجماهير على مر الزمن هى القاعدة المنطقية الطبيعية التطورية المناسبة لروح الديمقراطية ٠

٤ ـ ان تسلسل التاريخ السـياسى ينبىء بأن البقـاء والنمو ، والازدهار للديمقراطية السليمة ٠

٥ ـ ان ارتفاع المستوى الثقافى والعلمى ، وكذا الشعور بالخطر من أهم عوامل انتشار العمل السياسى ٠

٦ ـ ان العمل السياسى بدأ فى خدمة ذوى السلطان ولكنه اتجه بصفة عامة ـ فى العصور الوسطى والعصر الحديث ـ نحو خدمة الشعوب التى تجعله من عملها اليومى وتهتم به ولا تطلقه لدخيل أو مسـتبد أو منحرف ٠

ونعود الى تسلسل التاريخ مع العمل السياسى فى ايجاز ٠٠ فنرى أنه كان حقا لكل مسلم من رعايا الدولة الاسلامية التى امتدت من أقاصى الصين الى أعالى جبال البرانس ٠٠ ذلك أن المثالية الاسلامية جعلت الفرد حجر الزاوية فى بناء الدولة ٠٠ فى الحكم والادارة والقضـاء وجميع الأمور العامة ٠٠ ينقد ويتساءل ويطالب ويصحح ويعظ ما شاء متى شاء لمن شاء من الحكام والمحكومين دون أن يخشى فى الحق لومة لائم ٠

وفى العصور الوسطى تقلص العمل السياسى فى أوربا ، وانكمش أمـام نظرية الحق المقدس للملوك فاقتصر عليهم وعلى نفر من النبـلاء والأمراء ٠ ٠وكذلك احتكره رجال الكنيسة من أصحاب صكوك الغفران٠ ولم ينشط العمل السياسى بعد ذلك الا بتأثير عدة عوامل : ـ

١ ـ تعبئة الخواطر والبشر لتجريد الحملات الصليبية فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، واستخدام الصحافة لأول مرة فى فرنسا ٠

٢ ـ اختراع الطباعة فى القرن الخامس عشر فتطورت بذلك الحركات الفكرية ، وحركات الاصلاح الدينى ، والثورات ٠

٣ ـ انتشار وتحسن المواصلات والبريد فى القرن السادس عشر ٠

٤ ـ قيام الثورة الفرنسية وانتشار أفكار أعلامها فى أوربا فى القرن الثامن عشر ٠

وننتقل الى العمل السـياسى فى مصر ، بعد هذه الجولة فى أجزاء العالم المتحضر الأخرى وهذه الفرصة فى لجج التاريخ ٠٠ الواقع أن عبارة

« الشعب المعلم » التى وردت فى الميثاق تمتد دلالاتها الى فجر الحضـــارة البشرية التى نشأت على ضفاف النيل ٠٠ انهـــا تحمل من بين معانيهـــا البعيدة ٠٠ أن شعبنا هذا هو أول شعب سياسى على وجه البسيطة ٠٠ وهو بهذا ، وبحضارته العريقة ٠٠ وثقافته الموغلة فى الأزل يحمل من قدم حضارته وثقافته وتجاربه : كل مقومات الرأى العام المستنير والوعى القوى ٠٠ ولقد حلت به كوارث الغزو الواحدة تلو الأخرى ٠ فكانت تفقـــده مقومات القدرة على العمل السياسى ٠٠ ولكنها لم تستطع بحديدها ونارها وسنابك خيولها وجحافل جيوشها ــ أن تجرده من تفكيره السياسى الدائم المستمر ٠

وهذه مقدمة لابد منها لتدرك أن الرأى العام السياسى كان قائما برغم جبروت السلطان سليم الأول وطغيانه حينما غزا مصر وأجهز على طومان باى عام ١٥١٧ ٠٠ فقد ظهرت زعامة شـــعبية أزهرية مستنيرة ، تستثير الناس ضد الخلافة العثمانية حتى أجلتها ٠٠ وحتما كان بين الشعب أفراد قادة فى عون هذه الزعامات من الوعاظ ٠

وفى عهد المماليك تجاذب هؤلاء المشايخ حبال العمل السياسى مع الأمراء فى اصرار وعناد جهرا ، وكان لهم عند الحكام مهابة ، وعند المحكومين تقدير ٠

وفى عهد الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨ قام الشعب كله بعمل سياسى متصديا لبونابرت وكليبر ومينو يقــودهم بعض رجال الدين والسياسة أبرزهم عمر مكرم ٠٠ وسجلوا صفحات من البطولة والمقاومة الشعبية حتى أجلوا الفرنسيين عام ١٨٠٢ ، وردوا الانجليز الى البحر فى رشيد عام ١٨٠٧ ٠

وكان محمد على كابوسا على العمل السياسى فى مصر ٠٠ اســتأثر الحاكم الدخيل به بعد أن نجح فى القضاء على الرأى العام المصرى ، وسيطر على الأعمال العامة بيد من حديد مستعينا بالفرنسيين الذين أطلق يدهم فى البلاد ٠

واقتدى به أبناؤه وأحفاده ، ففتحوا للصوص أوروبا وأفاقيها أبواب الديار ، وأولوهم مراكزها الحيوية وأحلوا لهم ما حرموه على الشعب من حقوق ٠

وكانت ثورة عرابى أول زأرة سياسية بعد هذا الثبات العميق الذى ظل حتى عام ١٨٨٢ ، وكانت زيارة جمال الدين الافغـــانى لمصر عامل

تنشيط للعمل السياسى بين تلاميذه ومريديه ، فتعرضوا للعنف والسجن والتشريد والفقر ·· ويبدأ التاريخ الحديث فى ذكر محمد فريد ، ومصطفى كامل ، وسعد زغلول وثورة ١٩١٩ ··· الخ · ويذكر أسماء لهيئات وأحزاب ومنظمات ·· منها السياسية والعمالية والدينية ·· ولكن الطابع الغالب عليها هو السياسة من أجل الوثوب الى كراسى الحكم ، ولو كان الثمن تفتيت وحدة الأمة وتنازع أفرادها وجماعاتها وتقاتلهم ·· ولو كان بمهادنة المستعمر ومحالفته ·

وكانت قلة ضئيلة من الشعب تعمل بالسياسة حتى فى مجال الأحزاب ·· وكان العمل السياسى الوحيد الذى تقوم به التكتلات الشعبية على أوسع نطاق هو : الهيئات فى شكل مظاهرات أو ثورات وطنية تنتهى دائما الى تسوية وزارية بين أحد أقطاب تجار السياسة مع الرأسمالية والاقطاع والرجعية والاستعمار ·· وفيما عدا ذلك فان الشعب فى الأوقات العادية لم يكن يعمل من الأعمال السياسية الا الوقوف فى موسم الانتخابات دقيقة واحدة ، صندوق الانتخابات أمامه ، وذل لقمة العيش خلفه ·· فيعطى صوته لنازف دمه ·· آمره وآسره ·· فالسادة أطراف الحلف غير المقدس كانوا يعتبرون السياسة مهنة وحرفة يحتكرونها ويورثونها لأبنائهم ويمنحون بعضها لأذنابهم ، لأنهم كانوا يهتمون بتسيير دفة الحكم نحو تحقيق مصالح ذاتية متحالفة متقاسمة ، هى مصالح القصر والاستعمار ، ثم الاقطاع والرأسمالية المستغلة التى تتكون منها أغلبية المجالس النيابية ·

لكن كان لابد لهذه الأحزاب من لوائح ، وكانت كل برامجها تحتوى بين الأغراض على : الاستقلال ووحدة وادى النيل ، والاصلاح الداخلى ، ورفع مستوى الفلاح والعامل ·· كان ذلك هو القاسم المشترك الأعظم فى برامج كل الأحزاب التى كانت قائمة فى مصر بدرجة توضح أن تعدد الأحزاب برغم تطابق برامجها انما يدل على أنها لم تؤسس بدافع الوطنية، وانما بدافع التصارع على الانفراد بالسلطة عن طريق تضليل الجماهير وتسخيرها وخصوصا أن هدفا واحدا مما سجلوه فى برامجهم لم يتحقق·

وفيما عدا ذلك فلم تنص برامجهم على أية رغبة فى تغيير اجتماعى أو سياسى أو اقتصادى أو فكرى مما كان يتسبب فى أن يزداد الفقير فقرا والغنى ثراء ·

ومن واجبنا ونحن عمال سياسيون أن نتتبع أبعاد العمل السياسى فى تلك التنظيمات ، فنجد أنها جميعا : وفدا وكتلة ودستوريين وسعديين

وغيرها – لم يمتد نشاطها الى القرى ، واقتصر على المدن وبعض المراكز ، فيما عدا الاخوان المسلمين ٠

ولم يكن يهتم منهم بتوســـيع قاعدة العضوية النظـــامية أيضا الا الاخوان المسلمون ، وما عداهم كان يعتمـــد فى التمويل على تبرعات طلاب الحظوة والجاه ، الى جانب الاشتراكات ، وكانت العاطفية نحو الحزب هى حلقة ترابط الأعضاء ، أما الحزب نفسه الممثل فى محترفى السياســة وكان مدار بحثه عن أى الطرق أقرب الى الوزارة ٠٠ عابدين أو قصر الدوباره ؟

وعلى أى حال فان العمل السياسى فى هذه الحقبة من الزمن قد تمخض بصفة عامة عن بعض نتائج ايجابية وكثير من النتائج السلبية ٠

أولا : النتائج الايجابية : يمكن حصرها فيما يلى بايجاز : –

١ – الاتجاه تحت تأثير الرأى العام نحو التخلص من الاحتلال ٠

٢ – استخلاص بعض الحقوق الشعبية البسيطة ٠

٣ – وضع بعض حدود للطغيان الملكى ٠

٤ – بعض الخدمات فى مجالات التعليم والصحة ٠

٥ – ايجاد الرأسمالية المصرية التى برغم جوهرها الاستغلالى أدت الى بعض الفوائد من حيث زيادة الدخل القومى واستغلال الموارد وتشغيل بعض الأيدى العاملة ٠

ثانيا : النتائج السلبية :

١ – أهملت الاحزاب والمنظمات خلق وحدة فكرية أو ايديولوجية .

٢ – تجاهلت واجبها فى القيام بخلق وحدة عمل ووحدة مصالح ٠

٣ – أدت الى ايجاد الفرقة والتفكك والأحقاد والمنازعات بين أبنـــاء الأمة الواحدة بل وبين أبناء القرية والعائلة الواحدة ٠

٤ – صبغت العمل السياسى بأخلاقيات ميكيافيلية تسودها المناورة والمداورة والغدر من أجل المصلحة والمنفعة الذاتية ٠

٥ – أدت الى سيادة التفكير السياسى الرجعى أو المحافظة وتجاهل فكرة التغيير التقدمى ٠

العمل السياسي منذ قيام الثورة :

وحينمـــــا قامت الثورة كان من الطبيعى أن يحدث تغيير كبير فى السياسة والاقتصاد والاجتماع وجميع المجالات • فالثورة معنـــاها تغيير أوضاع قديمة فاسدة وابدالها بأوضاع جديدة فاضلة •• وكان طبيعيـا لذلك ان تتولى قيـــادة ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ـ وحدها زمام العمل السياسى ممثلة فى جمـــال عبد النـــاصر ورفاقه ، وذلك لضمان انجاز التغييرات الاصلاحية •• وهاك الأسباب : ـ

١ ـ ان الوسائل الديمقراطية كانت ستعطل حتما تنفيذ الاصلاحات الضرورية والخطوات الثورية مثل قانون الاصلاح الزراعي وتأميم قنـاة السويس •

٢ ـ ان الرواسب الفكرية الحزبية والرجعية والاقطاعية والرأسمالية كانت تثير المخاوف من امكانيات ممارسة الديمقراطية السليمة •

٣ ـ ان البرنامج الانشائى للثورة كان أكثر من الفترة الزمنية ، وان الانجازات الجبارة من جهة ، والتصدى للمؤامرات الداخلية والخارجيـة من العناصر المضادة كانت لابد أن تمنح الأولوية فى المواجهة •

وبدأ العمل السياسى ينطلق بعد صـــدور القوانين الاشتراكية عام ١٩٦١ ، فانتشر بشكل لم يسبق له مثيل حتى أصبح فى كل قرية تنظيم سياسى هو الاتحاد الاشتراكى العربى ، وتنظيم نقـــابى للعمال الزاعيين كذلك فى كل حى ومؤسسة بالمدينة ، ولم يعد العمل السياسى مقصورا على فئة معينة من قلائل الرجال ، كما اشتركت فيه النساء •

وتغير نطاق العمل السياسى فاتسع من مجرد تصريف أمور الحـكم كما كان قبل الثورة ، الى الاشتغال بكل الأمور • واختفت عبارة حـكام ومحكومين ، فالكل سواء تربطهم أخلاقيـــات جديدة قوامهـــا التضامن والتعاون ، والتكافل والاحترام بين الصغير والكبير « والساعي والوزير » ، والعمل من أجل المجموع •• العمل من أجل الضعيف حتى يشفي والجاهل حتى يتعلم ، والفقير حتى يغنى •• العمل من أجل الرخاء والسعادة العامة والمساواة بين الناس فى الحقوق •• العمل فى تآلف ومحبة من أجل الخير العام ، والتكاتف لمواجهة التحديات الداخلية والخارجية فى عزم وصـلابة وشجاعة وفاعلية واصرار •

وعلينا أن نذكر أن العمل السياسى عمل وطنى من أهم خصائصه :ـ

أنه شعبى يهدف الى صالح الجماهير ٠

أنه عام لا يحتكره أحد ٠

أنه دائم مستمر يمارسه العـــامل الســـياسى فى البيت والمصنع والمكتب والمسجد والمركبة ٠٠ فى كل مكان وفى كل وقت ٠

أنه متطور بعمق الدراسة ٠

أنه أخلاقى يتسم بالشرف والنظام والاخلاص والولاء لأفضل المبادىء وأكمل القيم ٠٠ قيمنا الاشتراكية العربية ٠

● العلاقة بين الدين والاشتراكية

يعتبر هذا الموضوع من أهم الموضوعات التى ينبغى على الدعاة أن يلموا بها جملة وتفصيلا ، لاشباع غرضين لا تقل ـ فى رأيى ـ أهمية احدهما عن الآخر وهما : ـ

١ ـ الحرص على الدين :

فنحن قوم نؤمن أعمق الايمان بالله ورسله ، ونتمسك برسالات السماء ، وندرك تمام الادراك « أن الطاقات الروحية ٠٠ قادرة على صنع المعجزات » و « أن الطاقات الروحية للشعوب تستطيع أن تمنح آمالها الكبرى أعظم القوى الدافعة ، كما أنها تسلحها بدروع من الصبر والشجاعة ، تواجه بهما جميع الاحتمالات وتقهر بهما مختلف المصاعب والعقبات » و « أن الحوافز الروحية والمعنوية هى وحدها القادرة على منح التقدم المادى أنبل المثل العليا وأشرف الغايات والمقاصد » وعلى هذا نص الميثاق ٠

ونحن من ناحية أخرى ، نؤمن بأن الاشتراكية هى المخرج الوحيد لهذا المجتمع من تخلفه الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ٠٠ من الفقر والجهل والمرض ٠٠ من الظلم والذل والأنانية ٠٠ من التحكم والتسلط والاستبداد ٠٠ من استرقاق الانسان واستعباده لأخيه الانسان ٠

وهذا يضعنا فى موقف نحن فيه حريصون على ديننا ومقدساتنا حرصا ما بعده حرص ، ونحن كذلك على يقين بحتمية الاشتراكية وضرورتها للقضاء على المتناقضات والفروق الحادة التى أوجدها الاقطاع والاحتكار والرأسمالية المستغلة ، وكل ما كان يسود المجتمع من أثرة وأنانية وقيم غير أخلاقية ٠٠ نحن نؤمن اذن أن الاشتراكية هى المصعد الى مستوى أفضل من الحياة الانسانية الرخية ، وآفاق أعز وأكمل من الآمال القومية والعلاقات الدولية ٠

فمن الطبيعى ونحن فى هذا الموقف بين الدين الأصيل الأزلى الأبدى، وبين النظرية الاشتراكية الحتمية ـ أن نتساءل عن موقف كل منهما نحو الآخر ، وأن العلاقة بينهما وطيدة لتطمئن قلوبنا ، ونتيقن سلامة الخط الذى نسير فيه وشرعيته ، فنزداد يقينا وايمانا ، ونزداد قدرة على العمل وعلى الاقناع والدفاع ٠

٢ ـ التصدى لأعداء الاشتراكية :

ما من حركة اصلاح نشأت عبر التاريخ ، وعلى مر العصور ، منذ

عهد آدم الى اليوم ، فى أية بقعة من بقاع المعمورة ـ قد خلا الميدان أمامها من عناصر مضادة معادية لتقدمها الثورى ٠٠ ولقد كانت وما زالت وسوف تظل العناصر المعادية لحركات الاصلاح فى كل مكان وزمان ـ تستخدم ما استطاعت من أسلحة مهما كانت دناءتها لتستعيد مواقعها المفقودة أو لتثب الى مستقر أحلامها وضالة غرامها فى الحكم ٠٠ ومن بين أسلحتها التقليدية : المغالطة والتجنى على المفاهيم التقدمية بقصد تفكيك الرأى العام وتشكيك الجماهير وقضها عن النظرية الثورية الاصلاحية الجديدة ، بل ان التاريخ الروحى عامر بالمكائد والدسائس والمؤامرات والتشكيكات التى كان الرجعيون يحبكونها للأنبياء والمرسلين ٠

فليس غريبا أن نجد لنظريتنا الاشتراكية قادحين مقاومين ٠٠ ولا عجيبا أن يتوسل أعداء الاشتراكية الى أحلامهم ولو بحشر الدين والزج به زورا فى المعركة ، وايهام الناس بوجود تضارب بينه وبين الاشتراكية ، وليس من سقط الحسبان أن تتحالف فلول الرجعية والاستعمار والرأسمالية والاقطاع فى ترويج هذه الفريه للنيل من قدر الاشتراكية العربية ، الأمينة على دينها ، بعد أن فشلت كل مؤامرات الحلف غير المقدس ، العدوانية ، سواء منها المؤامرات السافرة الممثلة فى العدوان الثلاثى المدحور ، أو المستترة التى يأبى الله الا أن تنكشف الواحدة تلو الأخرى وتذهب جفاء ٠

والواقع أن أسلوب التمسح بالدين من أجل الوصول الى أغراض سياسية ـ أسلوب تقليدى سهل معروف منذ القدم ، لم يزده التقدم الا فاعلية ، ذلك أن أرباب هذا الاسلوب قد استفادوا من علم النفس السياسى ومن علم سيكولوجية الجماهير ، ومدى تأثيرها فى لفظ الدين من رهبة ورغبة فى الجماهير المتدينة والرأى العام المتدين ٠ ولقد مارسه هواة الحكم الطغاة المتسلطون طويلا : منهم من عاش فى الوثنية ، ومنهم من يعرف الدين ولكنه يؤوله ، ومنهم من لا يملك من حقائقه الا القشور ٠ كانت تعوزهم كل الحيل الوصولية ، فيلجئون الى وتر الدين من بين أعصاب الجماهير كوسيلة للتأثير على تفكيرهم ، واستثارة عواطفهم وغرائزهم ، سواء منها النبيلة أو الوضيعة ، للوصول بالمجتمع الى الحكم البيروقراطى ، يستغل الدين فى استعباد الشعوب ، باسم الذات المقدسة الحاكمة بأمر الله ، التى تدين له ولزمرته الرقاب بالولاء ، وتغض أمام طلعته الأبصار وتنحنى الهامات ، فتعود بمقدسات الدين الى مسالك عصور الضلال والانحراف ٠٠ وما الحلقات المظلمة من العصور الوسطى ،

ولا الأساليب الفاشية لبعض الجماعات السياسية المتدينة المعــاصرة ــ الا دليلا على ما نقول ·

نحن والميثاق :

تزداد سرعة الدولة خطوا سديدا نحو الرخـــاء والمتعة والكرامة والمجد ، بقدر توفيقها فى وضع خطة سياسية اجتماعية اقتصادية محكمة مناســبة لأهدافها ، تخضع لظروفها الروحيــة والدينية والأخـــلاقية والتشريعية ، وتعمل على اشباع الحاجات الاجتمــاعية لغالبية الشعب ، وتعتمد على الاستغلال الأمثل للموارد المادية والفنية والبشرية ·· هذه الخطة يلتزم بتحقيقها التنظيم السياسى والجهاز التنفيذى خاصة ، وقوى الشعب العاملة عامة ، فى كل مجـــالات العمل ، تطبيقا يتسم بالجماعية والتناسق والحيوية والأمانة والشرف ·

هذه الخطة التى جعلناها حصــيلة معتقداتنا الروحية والفـــكرية وتجاربنا الثورية ، وآمالنا البعيدة · هى الميثاق الذى اشتمل من بين نصوصه مجموعة الأسس والمبادىء التى اعتنقناها وارتضيناها والتزمنــا بها حكومة وشعبا للوصول الى الغايات التطبيقية المرسومة ، التى تتبلور آخر الأمر فى : تحقيق رفاهية الشعب ، ورعاية مصالحه وصيانة حرياته وحقوقه الانسانية ·

فهل فى الميثاق ما يشير من قريب أو من بعيــــد الى مجرد اغفال لقدساتنا الدينية ؟ ·

أبدا ·· لقد نص فى الباب الأول منه على أن الشــــعب المصرى العظيم قد حقق انجازات الثورة الشاملة بفضل ضمانات توافرت لها منها :ــ

« ايمان لا يتزعزع بالله وبرسله ، ورسالاته القدسية ، التى بعثها بالحق والهدى الى الانسان فى كل زمان ومكان » ·

وأشاد الباب الثالث من الميثاق وتفاخر بأثر الاســـلام فى ابراز حقائق النضال المصرى المتفاعل مع المنطقة العربية منـــذ أقدم الأزمنة فقال :

« كان الفتح الاسلامى ضوءا أبرز هذه الحقيقة وأثار معالمها ، وصنع لها ثوبا جديدا من الفـــكر والوجدان الروحى ·· وفى اطار التــاريخ

الاسلامى ، وعلى هدى من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة والانسانية » .

وبعدها بقليل يعظم المسيح و « دعوة هذا المعلم العظيم » ثم هو ينوه الى تجاربنا المرة مع الاستعمار المقنع بستار الدين تارة تهب عواصفه من أوربا باسم الحروب الصليبية ، وتارة استعمارا عثمانيا تيولوجيا فيقول عن الشعب :

« كما وجدت أن الشعب المصرى يرفض الاستعمار العثمانى المقنع باسم الخلافة ، والذى كان يفرض عليه دون ما مبرر حقيقى تصادما بين الايمان الدينى الأصيل فى هذا الشعب وبين ارادة الحياة التى ترفض الاستبداد » .

واذا انتقلنا الى الباب السابع من الميثاق ، طالعنا ما يقطع الطريق على كل مضلل ، ففيه :

« ان حرية العقيدة الدينية يجب أن تكون لها قداستها فى حياتنا الجديدة الحرة .. » .

« ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان ، قادرة على هداية الانسان ، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة » .

« ان رسالات السماء كلها فى جوهرها ، كانت ثورات انسانية ، استهدفت شرف الانسان وسعادته ، وان واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته » .

« ان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية التى تستغل الدين ضد طبيعته وروحه ، لعرقلة التقدم ، وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السابقة » .

« لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ، ولكن الرجعية التى أرادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها ، أقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين ، وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها ، لكى توقف تيار تقدمه » .

« ان جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى الحياة ، وفى الحرية ، بل ان أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان ..

ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء ، يخط فيهـا أعماله باختياره الحر ، ولا يرضى الدين بطبيعته توريث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس ، ويحتكر ثواب الخير لقلة منهم » .

« ان الله ـ جلت حكمته ـ وضع الفرصـة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا والحساب فى الآخرة » .

بل ان الميثاق حينما تحدث عن التطبيق الاشـتراكى ، وأهمية اتباع الوسائل العلمية لتعويض التخلف وحل مشاكل المجتمع ، ودفعه قدما الى الامام ـ نبه الى أهمية الطاقات الروحية النابعـة من الاديان السماوية ، والى قدرتها على صنع المعجزات ، ومنح الشعوب أعظم القوى الدافعة ، وتسليحها بالصبر والشجاعة لتقهر المصاعب والعقبات ، ومنح التقدم أمثل المثل وأشرف الغايات .

وأخيرا وليس آخرا فان الميثاق حتى فى سياستنا الخارجية يلتزم بالدين ، ويقرر صراحة فى الباب العاشر :

« .. شـعبنا .. يؤمن برباط روحى وثيق يشـده الى العالم الاسلامى » .

« ان شعبنا يعتقد فى رسالة الاديان ، وهو يعيش فى المنطقة التى هبطت عليها رسالات السماء » .

« ان شعبنا يعيش ويناضل من أجل المبادىء الانسانية السامية »

« ان شعبنا يملك من ايمانه بالله وايمانه بنفسه ، ما يمكنه من فرض ارادته على الحياة ليصوغها من جديد وفق أمانيه » .

هاكم ميثاقنا .. مفعم بتأكيدات الايمان بالله ورسله ورسالاته ، لا نرضى بسواها بديلا بل اننا نتخذها قاعدة أساسية لامكانيات التغيير الثورى ، وطاقات محركة نعطيها الاولوية على العلوم الذرية فى تحريك الانسان نحو التقدم ودفعه الى صنع المعجزات .

أين فى الميثاق ما يريب ، أو ما يستشف منه أبهت تعارض بين الاشتراكية والدين ؟

لا شىء .. لا شىء .

ولكن اذا لم تستح فافعل ما شئت ، وهكذا يفعل المضللون الذين ينكرون الشمس وقت السمت فى خلاء مكشوف .

أما تراهم يقولون : ان الاشـــتراكية ليست من الدين فى شىء ؟ لا بأس أن نناقش تلك القضية بعد أن خلصنا من أن الايمان بالدين هو أهم المبادىء التى ترتكز عليها حياتنا وتقوم علىأصولها فلسفتنا العامة ٠

الاسلام والاشتراكية :

لقد وضح الباب السادس من الميثاق حتمية الحل الاشتراكى لارساء قواعد العدالة الاجتماعية التى تنادى بها الأديان الســماوية عــامة ، والاسلام خاصة ٠ ولقد كان المناخ الرأسمالى والاقطاعى لا يسمح لنبات العدالة الاجتماعية أن ينمو ويعيش لتستظل به جموع الشعب من نير السخرة والحرمان والاستغلال وامتصاص الدم والدموع ، فكان لا بد من قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، ولا بد من القوانين الاشـتراكية المتتابعة فى مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والمال وغيرها ٠

فهل فى الدين على ذلك من حرج ؟

أبدا ٠٠ أبدا ٠

فالاسلام دين الاشتراكية ٠ قال صلى الله عليه وسـلم « الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار » ٠

* الاسلام جعل فى بيت المال حقا معلوما للمحتاج والســائل والمحروم ٠

* الاسلام أقر حق الملكية، دون أن يجعل الملكية الفردية حقا مطلقا، وانما جعل المالك وكيلا ـ فيما يملك ـ عن الجماعة التى ينتمى اليها ، وما يملك الناس من مال انما هو مال الله ٠

قال تعالى : « وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » ٠

* أعطى للحاكم المسلم حق الاسـتيلاء على القدر اللازم منه لحاجة الجماعة ، اذا دعا الداعى لصيانة مصالح المسلمين ، واصلاح أحوالهم ، وورد خطر يهدد كيانهم ٠

* أباح الاسلام نزع الملكية الخاصة للمنفعة العامة ٠

* الاسلام دعا الى القضاء على الفوارق الشاسعة بين الثروات ٠

* الاسلام حض على التضامن والتكافل الاجتماعى وايثار صـالح الجماعة على المصلحة الخاصة ٠

* الاسلام أمر بايتاء ذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

* الاسلام ينادى بالتعاون .

وفى هذه المعانى الاشتراكية النبيلة قال تعالى : —

« والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » .

وقال سبحانه : « ومما رزقناهم ينفقون » .

وقال جل جلاله : « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

وقال أعدل العادلين : « كونوا قوامين بالقسط » .

وقال رب العالمين : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » .

وقال أرحم الراحمين : « وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

وقال جلت حكمته : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .

ويجب ألا تفوتنا هذه المناسبة فنشير الى ما فى هذه الآية الكريمة من توجيه للمسلمين الى الاقبال على العلم ، والاغتراف من مناهله ، والأخذ بأسبابه ومناهجه العلمية لاصلاح أصول الجماعة .

هكذا أنزلت أشرف قاعدة اشتراكية أخلاقية اجتماعية اقتصادية .. تنزيل من عزيز حكيم ترسى قواعد الاخاء والتعاطف والتعاون وعـدالة التوزيع .. مع ابراز الدور الهام للعلم والعلماء فى المجتمع .

وما خرجنا عن هذه القاعدة السماوية .

وما اشتراكيتنا الا تطبيق لمقدساتنا الروحية .

والمغرضون يدركون فى قرارة أنفسهم هذه الحقيقة .. ويعرفون تماما أننا ملتزمون جادة الدين .. لكن أحقـادهم التخريبية وحوافز الشر فى نفوسهم الملتهبة ، تدفعهم لاستخدام أحط وسائل الجدل وأخس أساليب التشكيك والتزييف ، لتهييج خواطر الجماهير ضد الاشـتراكية التى تتلمس طريقها على هدى من الدين ، ومن بين هذه الوسائل أيضا أنهم يستغلون احدى نظريات علم النفس ، وهى نظرية الاسـتجابة

الشرطية ، التى بمقتضاها ينفر الفرد أو الجماعة من شخص ، أو شيء أو فكرة ــ مهما كانت جودة هذا الشيء أو طيبة هذا الشخص ، أو فضيلة هذه الفكرة ــ طالما تحمل فى مظهرها بعض سمات فكرة أو شيء أو شخص منفر أو مكروه ٠

وعلى هذه الصورة يحاول المغرضون ربط اشتراكيتنا فى أذهان الجماهير باشتراكية أجنبية ، تنفرها جماهيرنا بطبيعتها وعقيدتها الروحية ، وكل ما يحمله وجودنا الحضارى من عناصر التراث الاجتماعى الذى يتوارثه الخلف عن السلف ،ويحفظه بين حنايا الضلوع مكان القلوب، وتكتنزه فى الجماهير موضع العيون ٠

وشتان ما بين الاشتراكيتين :

* اشتراكيتنا العربية ــ كما وضحنا ــ تقدس القيم الروحية والدينية ٠٠ فى حين أن الاشتراكية الشيوعية تعطى القيم المادية كل الاعتبار ، ولا تبالى بالقيم الروحية ، حتى أن مؤسسها « كارل ماركس » قال : « ان الدين أفيون الشعوب » ٠

* وبناء على ايماننا بالدين فان اشتراكيتنا تؤمن بالغيب ، على حين أن الاشتراكية الشيوعية لا تؤمن الا بما هو عقلى وما هو تجريبى، واشتطوا فى النظرية التجريبية الى حد صياغة فلسفتهم فى ثوب شمولى يتسع لبحث الكون والطبيعة والانسان والمخلوقات وكيف وجدت ٠

أما نحن فلنا فلسفتنا الشمولية الأصيلة التى لا نحيد عنها ، موجودة فى قرآننا ، ولسنا فى حاجة الى تفسير جديد لأسرار الكون والطبيعة والمخلوقات ٠

* اننا فى صراعنا نتوخى السلام والصراع السلمى بين الطبقات عملا بالمبدأ الدينى « ادفع بالتى هى أحسن » ولكنهم لا يجدون غضاضة فى القضاء على ٧٥٪ من المجتمع اذا كانوا غير شيوعيين ، حتى يخلو المجتمع للشيوعيين ٠

* اننا نقر الملكية الفردية والتوريث وهم لا يفعلون ٠ وهناك الكثير من الفروق الشاسعة لكل باحث جاد فى بلوريتاريتهم وديمقراطيتنا ٠٠٠ تجاهلهم للفرد وعنايتنا به ٠٠٠ الخ ٠

ولكن الحاقدين مصرون على دعايتهم المغرضة ، وعلى اشاعة بعض المفاهيم الخاطئة ، الناشئة عن تفسير بعض المتدينين لمواقف دينية تفسيرا

مضـادا مناقضا لطبيعة الامور ، ســواء بفعل ضيق صدورهم وعقولهم وتزمتهم وقصورهم ، أو بعوامل أخرى الدين منها ومنهم براء .

علمية الاشتراكية :

ومن هذه التفسيرات الانحرافية للدين ، انهم يزعمـون أن الدين والعلم متعارضان ، باعتبار أن الآخر لا يؤمن بالغيبيات ، ولا يبالى الا بما هو عقلى وما هو تجريبى ، وعلى هذه المقدمات الخاطئة يبنون نتائج خاطئة مشيرين باصبع الاتهام الى ما جاء بالباب السادس من الميثاق :

« ان الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم » .

فما حقيقة المقصود بعبارة « الاشتراكية العلمية » ؟

هل ترون فيها أية اشارة الى النظرية المادية ؟ أبدا . ان هى الا تعبير عن ضرورة التمسك بمنـاهج العلم فى البـحث والتحليل والتخطيط والتطبيق فى : تحليـل المجتمع .. حصر موارده واحتيـاجاته العاجلة والآجلة .. الكشف عن قواه الاجتماعية والاقتصادية والمـادية والمعنوية والبشرية .. اختيار الحلول الملائمة لمشـاكله بالاسلوب المناسب لدرجة الحاحها .. وضعها فى سلم الأولويات .. تحديد مراحلها الزمنية .. متابعة خطوات التنفيذ لامكان تعديل الخطة على حسب ما يسـتجد من ظروف .. ؟

هل هذه الا وسائل علمية ؟

وهل بغير هذه العلمية يمكن أن تتحقق الاشتراكية ؟

أو يريدونها « سبهللة » عشوائية ارتجالية ؟

لقد سقنا كيف أن الله سبحانه وتعالى قد قرن الايمـان بالعلم ، وحض على الايمان وعلى العلم ، وجعله وسيلة للترقى والتدرج والطموح ، تشجيعا لعباده المؤمنين على التوغل فى دروبه والأخذ بأسبابه من أجل التقدم الانسانى . وذلك فى قوله تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . ونضيف الى ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم آمرا الناس بالجهاد فى سبيل العلم : « اطلب العلم ولو فى الصين » .

كيف يكون العلم اذن معارضا للدين ؟

أو كيف يعارض الدين العلم ؟

وهل يقوم العلم أو يهدف الا على والى قوانين ؟

وما أكثر القوانين الأزلية الأبدية فى القرآن الكريم ؟

ومن ذلك قوله تعالى :

« والشمس تجرى لمستقر لها ، ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » ·

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » ·

« يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض » ·

أليست هذه قوانين علمية كونية واجتماعية تحفظ للكون وللمجتمع التوازن والانضباط وتثبت قدرة الله ووجوده على الدوام ؟ اذن فعالية الاشتراكية لا تتعارض مع الدين بل ان الدين يحض على العلم سواء فى الاشتراكية أو فى أى مجال آخر · والاسلام يدعو الى العلم ويرفع قدر العلماء · قال تعالى :

« هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » · وقال فى سورة فاطر :

« انما يخشى الله من عباده العلماء » · وقرن العلماء بالملائكة فى قوله سبحانه : شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم · وقال تعالى : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ·

وقال صلى الله عليه وسلم : « ان العلماء ورثة الانبياء » وقال : «من سلك سبيلا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة » · وقال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» · وقال : «ان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب » ·

وقال الامام مالك : «بلغنى أن العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء » ·

هذا هو رأى الاسلام فى العلم : ولذا فالثورة تمسكا بالدين وطاعة

لأمر الله وسنة رسوله بادرت الى نشر العلم بالمجان لجميع فئات الشعب، ونادى الميثاق باتباع الاسلوب العلمى فى كل أمور الدنيا والدين للتخلص من الجمود والتخلف ، واشاعة وعى المواطنين بحقوقهم المشروعة فى الحرية والمساواة والحياة الكريمة ، والقضاء على ظلم الانسان لأخيه الانسان ، وقطع دابر المحترفين تجار الدين الذين يشترون بآيات الله ثمنا بخسا ، ومحو كل أثر لتحريفاتهم وتخريفاتهم التى روجوها فى عقول العامة باسم الدين مستغلين ما رزح فيه المجتمع من جهـــل وأمية بفعـــل الاستعمار والاقطاع والاحتكار فهم الذين حرصوا على منع هؤلاء من العلم أن يتسرب الى صدور المصريين حتى لا يستفيقوا وينهضوا فى غضبة عظيمة وثورة عارمة ٠

لذلك حاربوا العلم فى كل شىء ، ولذلك يحـــاربون العـلم فى الاشتراكية وكأنهم يعيبون على الورد حمرته وعبيره ونضرته ٠

الدين والتقدم الاجتماعى :

لقـد أرسل الله رسله ونزل كتبه رحمـة بالعـــالمين من الظلم والاستعباد ، ومن الجهل والفقر والضلال ، وليسعوا فى مناكب الارض يعمرونها فتشيع فى الكون حياة سعادة وصـلاح ورخاء ، على هدى من أنبل المثل وأفضل القيم تنزيل من عزيز حكيم ، يترجمها الانسان ــ خليفة الله فى أرضه ، الذى فضله على سائر المخلوقات ــ الى أعمـــال وجهود وبناء ٠٠ قال تعالى : «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط» وقال تعالى : «أحل لكم الطيبات» وقال تعالى : «وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا»٠

فكما أن الاسلام يحض على التنظيم واحسان تدبير الامور وأن يعد لكل شىء عدته فيما نسميه اليوم بالتخطيط العلمى ، أو ما يسـمى فى المفهوم الاشتراكى توجيه الاقتصـــاد وفق خطة مركزية مدروسة ــ فان الاسلام يدعو الى العمل على دفع الحياة نحو ما ينفع الناس ٠ لا رهينة ولا كهنوت فى الاسلام ، وانما حركة شاملة لتغيير وجه المجتمع وتطوره ليس الدين مجرد شـــعائر دينية ، وركعات وسجدات دون عمل أو شـــعور بالمسئولية فالله غنى عن عبادات من لا يعمل صالحا لنفسه وجماعته ٠٠ وان حكمته الجليلة فى فرض العبـــادات هى أن يربى بنى آدم ، يهذبه ويدربه ويعوده على خلال وسلوك ، ينفعه ويعده ليكون قوة من قوى التقدم فى المجتمع ٠٠ ان الشـعائر والعبـــادات هى علامات الطريق للمؤمنين

المتحركين فى طريق العمل الصالح والسعى الحثيث فى سبيل التقدم أما القابعون المتزمتون الساكنون الى الصوامع والمعابد بلا عمل ٠٠ فهم عيال على غيرهم ، منعزلون فى كآبة ، فان الاسلام يرفضهم لانه يرفض الجمود والعزلة والكآبة والضياع ٠٠ الاسلام برىء من الخمول العضلى والعقلى ، برىء من التواكل والاستكانة ٠

العمل فى الاسلام :

ان اشتراكيتنا حينما جعلت أساسهـــا الاول هو « أن العمل هو الاساس الرئيسى فى الدخل وتوزيع عائد الانتاج » ٠ انما ترجمت وطبقت مبدأ هاما تميز به الاسلام وألزم به ٠ فهو دين العمل ٠ قال تعالى : «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» ٠٠ «وقل اعملوا» ٠

وقال عليه الصلاة والسلام ٠٠ « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » ٠٠ وقال : « يابنى هاشم ٠٠ لا يأتينى الناس بأعمالهم ٠٠ وتأتوننى بأنسابكم» وقال «اذا قامت الساعة على أحدكم وفى يده سنبلة ، واستطاع ألا تقوم الساعة عليه حتى يغرسها ٠ فان له على ذلك أجرا» ٠٠

«وقال من أمسى كالا من عمل يده ــ أمسى مغفورا له» وقال ممسكا بيد عامل ورمت يده من كثرة العمل : «هذه يد يحبها الله» ٠٠ فليس للانسان الا ما سعى ٠٠ ولقد كان لنا فى رسول الله أسوة حسنة : يحفر الخندق مع أصحابه ، ويعمل معهم ، ويعيش كادحا مثلهم ٠

قال ابن الخطاب : والله ما أحد أحق بهذا المال من أحـــد ، والله ما أنا ، أحق بهذا المال من أحد ٠ ووالله ما أحد من المسلمين الا وله فى هذا المال نصيب الناس على منازلهم فى كتاب الله : فالرجل وبلاؤه فى الاسلام «اشارة الى العمل» والرجل وقدمه فى الاسلام (اشارة الى الايمان) ٠ والرجل وحاجته (اشارة الى التكافل الاجتماعى) ٠

وبعد ٠ أليست هذه اشتراكيتنا ؟ أليست هذه هى الكفاية والعدل؟

ايثار مصلحة الجماعة فى الاسلام :

تقوم اشتراكيتنا أيضا على ايثار مصلحة الجماعة على صالح الفرد ، وأن يشعر الفرد بمسئوليته نحو الجماعة ٠ وما ذلك الا تنفيذ لما أمر به الله ورسوله ٠٠ يخاطب الله المسلمين بقوله : «ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» ٠ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ،

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ، ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب» ·· وقال «وآتوهم من مال الله الذى آتاكم» ·

وقال رسول الله : « مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استقلوا سفينة فكان بعضهم أسفلها وبعضهم أعلاها ، فصار الذين فى أسفلها لا يصلون الى الماء الا اذا علا من فيها أعلاها ، فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ·· فلو تركوهم هلكوا جميعا ، ولو ضربوا على أيديهم نجوا ونجوا معهم » ·

هذا هو الدين ، وهذه هى الاشتراكية · المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص تتكون من مجموعهم ، وان شكا عضو تداعى له سائر الاعضاء·

عوامل التحريف والتخريف :

اذا كانت الحقائق الدينية النورانية بهذا الوضوح والاشراق ، فما هذه العوامل التى تثير غبار الضلال وتحاول عبثا أن تحجب شمس الحق عن أبصار الناس وبصائرهم ليضلوا سواء السبيل ، ولا ينتفعوا بمكنوز دينهم ، وطاقاته الدافعة نحو العزة والقوة والتقدم والمجد ؟·

منهم الآثمون الذين ابتلى بهم الاسلام فى كل حين ·· اليهود ، والمؤتلفة قلوبهم : المراءون المنافقون ، والاستعمار ، ثم من أفقدتهم الاشتراكية اليوم مراكز السيطرة الاقتصادية والسياسية على الأقوات والحريات وحلفاؤهم من الطامعين فى الحكم والتحكم فى رقاب الناس بالقتل والنسف يتذرعون بالدين ، ويحتمون فى قلاع الاسلام والاسلام منهم براء ، يلبسون جلال الحق ثوب الباطل لينالوا من الاشتراكية وهيهات ·

ومنهم من يخطىء عن جهل بحقائق الدين ·· وليس لهم من عذر بعد أن عملت حكومة الشعب على نشر رسالة الدين بكل الوسائل التعليمية ·· والاعلامية الاذاعية والتليفزيونية ·· والتوسع الازهرى الذى ملأ المدن والقرى والنجوع بل والعالم الاسلامى كله بالمتفقهين من أهل الذكر ·· والمصاحف ، وكتب التفسير التى تعج بها المكتبات ·

ومع ذلك فان الدين يعرف بالدين لا بأفكار الناس عنه ، ومحصولهم منه ·· والطريق القويم الى حكم الله رسمه الله فى وضوح ·

مصادر الاحكام الدينية :

المصدر الاســـاسى لحكم الله فى كل الامور هو القرآن الكريم ٠٠ نحتكم اليه بذاتنا أو بمعونة أهل الذكر ٠٠ وتقضى أصول التفسير بألا نقطع نصا من سياقه ٠٠ أو نغفل عن مناسبته ٠٠ فالقرآن تبيان لكل شيء انما بطريقين :ـ

١ ـ النص الصريح المباشر :

فيما لا يقبل التبديل ٠٠ وما لا يتأثر بتغيير الزمان والمكان من أمور وأحكام ، كالفلسفة الكلية ، والاوامر والنــــواهى ، وما يتعلق بالفضائل والرذائل والحلال والحرام ـ على سبيل المثال ٠

٢ ـ الاحالة والاشارة الى مصدر آخر :

(أ) السنة : هى أولى هذه المصادر ٠ قال تعــالى : « ما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ٠

(ب) الاجتهاد فى الرأى بما يجمع عليه المسلمون لصالح الجماعة بشرط ألا يتعارض مع كتاب الله ولا سنة رسوله . وفى ذلك قال تعالى مامعناه : « أفلا يتدبرون » .. « أفلايتفكرون » .. « وفى أنفسهم أفلا يبصرون » ٠

روى عن النبى عليه الصلاة والسلام انه سأل معاذ قبل أن يوفده الى اليمن : « اذا عرض لك قضاء فيما تقضى ؟ قال معاذ : بكتاب الله . فقال النبى : فان لم تجد ٠ قال معاذ أقضى بسنة الرسول ٠ قال محمد : فان لم تجد ٠ قال معاذ : أجتهد رأيى ولا أقصر ٠ قال الرسول ٠ سر على بركة الله » ٠

وفى حديث : « الحكمة ضالة المؤمن ٠ فأنى وجدها فهو أحق بها» وجاء فى صحيح البخارى : أن أبا بكر كان اذا ألم به أمر نظر الى كتاب الله فقضى ، وان لم يجد نظر الى سنة الله فقضى ، وان لم يجد جمع رءوس الناس وخيارهم وسألهم عما اذا كان من بينهم من يحفظ شيئا عن النبى فى هذا الامر ٠٠ فان وجد حمد الله وقضى ٠٠ وان لم يجــد قال لهم : « أشيروا على أيها الناس فما انتهوا اليه قضى به » ٠

تلك هى طرق الاحتــكام الى الدين ٠ ويعلم الله أن التذرع بالآية

الكريمة « ما فرطنا في الكتاب من شيء » ليس الا تجميدا للاحتهاد وشللا لتقدم الجماعة عن قصد أو جهل ، واستعمالا للآية فى غير موضعها تلك الآية تتحدث عن أمم الطيور والحيوانات والنمل وما الى ذلك من خلق الله وسلطانه ·· ولو صح المعنى الذى يريد المجمدون أن تستخدم فيه ، لما كان هناك داع للسنة ، ولما أحالنا الله على الرسول فى أمور ، والى التدبر والتبصر والتفكر فى أخرى ·· حقا ان كتاب الله كامل ، ولا ريب فى انه سبحانه ما فرط فيه من شيء ولكنها ليست جميعـــا بالنص فالله جلت حكمته ترك الامور التى تتناثر بتغير الزمان والمكان وتطور البشرية وتغير علاقاتها الى عقول الناس وصالح الجماعة بشرط ألا تتعارض مع القرآن والسنة ·

ان الله سبحانه وتعالى خالق الكون : بدأه وسواه . وقدر منتهاه . . وفيما بين البداية والنهاية تطوير وتغيير قدره · ومشاكل وقضايا تترى وتتجدد وتتنوع باختلاف المكان والزمان ·· ترك الجهاد فيها لاجتهادات الرجال فى اطــار القيم الدينية والفضائل الروحية · والاوامر والنواهى الربانية ·

الاسلام ليس قيدا على المسلمين يوقف انطلاقهم أو يحجر تفكيرهم·· ان هو الا طاقة خلاقة أنزلها الله نفحة من فيضه تستقر فى قلوب المؤمنين من عباده وعقولهم ·· فيتغيرون ويصيرون أقدر أهل الارض على التغيير فى صلابة وعزم واصرار واحسان · وهكذا تمكنت فئة قليلة من الجياع الحفاة العراة سكان الجزيرة العربية أن تقوم بأكبر عملية تغيير سياسى اجتماعى أخلاقى فى التـــاريخ ·· بالعلم والعمل والايمـــان ·· بالعقل والجهد والنفس ·· لخير البشرية ورخائها وسلامها وعمرانها على أعدل الاسس التى تنظم العــلاقات الحميدة اجتماعيا واقتصاديا بين الانســـان وأخيه الانسان بالعدل والحق ·

◆ الرأى العام

سبق أن تحدثنا عن تجميع الجماهير وبينا ان الغرض من تجميعها هو خلق رأى عام مستنير قوى ، وان جوهر عمل الافراد القياديين هو أن يرسخوا فى أعماق الرأى العام جذور الايمان بالنظام الاجتماعى السياسى القـــائم ، حتى يؤازره ، ويبذل كل المساعى فى دفع عجلة المجتمع نحو التقدم والنمو والازدهار والاستقرار ، وأن يدفع عنه فورا وفى كل لحظة أى عدوان مادى أو فكرى يتعرض له المجتمع من الداخل أو من الخارج ، وأن يكون هذا الدفاع تلقائيا ذاتيا قويا .. فما هو الرأى العام ؟

تعريف الرأى العام :

الرأى العام ظاهرة نفسية تلقائية عامة توجد حيثما يجتمع الناس مهما كانت كثافة المجتمع الذى يعيشون فيه .. يناقشون ويتجادلون ، وتحتك أذهانهم ، وتتصاول آراؤهم ، وتتجادل اتجاهاتهم ، حول حدث معين ، أو فكرة ما تمتزج بعواطفهم أو تتعلق بالمصالح والظروف المشتركة التى تربط الجماعة . فيتكون لهم فى النهاية رأى عام . وجدير بالذكر أن شقى الرحى فى تكوين الرأى العام هو الصراع التقليدى بين المبادىء والمثل من جهة والمصالح من جهة أخرى .

ونادرا ما يكون الرأى العام رأيا مطلقا ، ولكنه فى العادة ، وعلى الأصح ، رأى غالب أما « الرأى الدائم » الراسخ ، المعمر ، الثابت فهو ما يلتصق بالميراث الثقافى الاصيل للجماعة عامة ، وما يرتبط بالتراث الاجتماعى ، وخاصة ما يتعلق بالقيم الروحية والدينية .

أنواع الرأى :

وحتى لايختلط علينا الامر ، علينا أن نستعرض أنواع الرأى حتى نميز بينها وبين الرأى العام :

١ ـ **رأى الفرد :** وهو نوعان :ـ

(أ) **رأى صريح :** تشجعه النظم الديمقراطية ، وتكفله تكامل الشخصية والشجاعة الادبية ، والتـــحرر من التبعية والضغوط الاجتمـاعية والاقتصادية والسياسية والنفسية وغيرها مما تسبب المخاوف .

(ب) **رأى كامن :** ويتفشى فى المجتمعات الدكتاتورية والقبلية ، كما يتأثر بالضغوط السالفة الذكر ، ويؤدي الي انتشـــار السلبية والجمود

الاجتماعى ، وقد يؤدى استمراره وضغطه وانتشاره الى انفجار عدوانى ، أو الى زيادة نسبة العصابيين فى المجتمع الى حد ما .

٢ ـ رأى الاغلبية :

وهو الرأى المتجمع من أكثر من نصف أفراد الجماعة .. ولكل من الزعامة القوية والدعاية الناجحة أثر فى تكوين رأى الاغلبية .. ومن ثم فليس من الضرورى أن يكون دائما على صواب ، لانه عرضة للتضليل والتزييف والتأثير والضغط ، بفعل عوامل كثيرة قد ترجع الى ضحالة ثقافية أو تبعية قبلية أو عائلية أو اقتصادية ، وغير ذلك من الضغوط التى تحتكم الى المصلحة والعاطفة والمشاركة والوجدانية والولاء للأفراد ، أكثر مما تحتكم الى العقل والحقيقة والمبادىء والمثل والتفرد الذاتى وحرية الرأى والتعبير .

ولذا كان رأى الأغلبية يتميز بقابلية للتعديل والتغيير والتحويل والتبديل .. ولكنه يحتاج الى زعامة أرشد وأقوى وأحب وأوثق صلة بالناس ، وأقدر على الاقناع .. ويحتاج أيضا الى دعاية أعم وأعمق أثرا ، وأشد نفاذا الى قلوب الناس وعقولهم من تلك الدعاية والقيادة التى أوجدته .

وهناك تتضح أهمية دور الدعاة المهرة قادة الرأى .. وتبرز أيضا أهمية التعرف على قادة الرأى المضاد ، وأهمية دراستهم ودراسة أساليبهم فى الدعاية ، فان ذلك ضرورى لامكان اختيار أساليب دعاية أشد وقعا فى نفوس الناس . علما بأن تعبئة الرأى العام لا بد وأن تسبقه عملية تنقيته من الافكار المضادة .

٣ ـ رأى الأقلية :

وهو الكفة المقابلة لرأى الأغلبية ، أى انه رأى الاقل من نصف الجماعة ويتميز بالصلابة وصعوبة تعديله وتغييره وتحويله .. والسر فى ذلك انه يصدر عادة عن أفراد أوتوا ثقافة وافرة ، وايمانا عميقا، مستمدا من حقائق علمية ومبادىء طيبة أصيلة غالبا ما تستند الى القيم الانسانية العامة ، والسنن الروحية العريقة ، والمثل الوطنية الحقيقية . ولذا فانها سرعان ما تكتسب ثقة الرأى العام ، وتنجح فى مخططاتها على النطاق الذى يكتب لمبادئها أن تنتشر فيه .. ومن مجموع هذه الخصائص القوية

الفاضلة التى تتكون منها شخصية رأى الاقلية ، نجدها لا تلين لضغط أو ارهاب ٠٠ ومصداق ذلك أن دعاة الاصلاح فى برلمان ما قبل الثورة كانوا يمثلون رأى الاقلية أمام الرجعية والاقطاع والرأسمالية والاستعمار ٠٠ وكان قادة الثورة أنفسهم أقلية فى مواجهة نفس عناصر الحلف غير المقدس فى الداخل والخارج ٠٠ ولكن الخصائص المذكورة أكسبتهم تأييد الرأى العام المحلى منذ اللحظة الاولى ، ثم الرأى العام العربى ٠٠ ثم الرأى العام الآسيوى والافريقى ، ثم الرأى العام العالمى ، حتى صارت مبادىء التحرر وتقرير المصير والتعايش السلمى ، والحياد الايجابى وعدم الانحياز ، وغيرها من المبادىء الانسانية الحقة هى أغرودة الرأى العام العالمى كله ، فتحول من رأى أقلية الى رأى عام كلى غالب ٠

ولذا فالنظم السياسية الديمقراطية السليمة تقيم أكبر وزن لرأى الأقلية تقديرا لأصالته وتتيح له أوسع الفرص لأداء دوره البناء فى تقدم المجتمع ، وحمايته من الانحراف ومن تطرف الرأى الغالب ، سواء كان الرأى الغالب ناتجا عن مركبات ثقافية أو أخلاقية أو اجتماعية تأخرية متوارثة عن عهود ونظم وظروف تأخرية ، أو كان ناتجا عن سيطرة سياسية متحكمة ذات دعاية قوية كما يحدث فى حالات الدول المحتلة أو الواقعة فى نطاق حوز القوى الاستعمارية وما تفرضه من مفاهيم تخدم غرضها وغرض أتباعها من المتحكمين ٠

٤ ـ الرأى الائتلافى :

وقوامه رأى عدة أقليات لا تستطيع الوقوف على قدميها منفردة أمام رأى الاغلبية ، فتلجأ ـ برغم اختلاف مبادئها ووسائلها ـ الى التحالف والائتلاف وتكوين جبهة مضادة لتجميع رأيها من أجل الوصول الى مصلحة مشتركة مثلما تفعله الاحزاب الضعيفة للوصول الى الحكم ٠

انه تكوين اصطناعى مؤقت كما نرى ، ولذا فان الرأى الائتلافى خلقة ضعيفة قصيرة العمر ، عاجزة عن الصمود لفترة طويلة أمام الرأى الغالب ٠

ومن أمثلة الرأى الائتلافى المعاصر ، ذلك الرأى الناشىء عن تحالف الأقليات المضادة للثورة العربية ، والاشتراكية العربية، والقومية العربية، والتى جمعتها المصالح المشتركة حول رأى يتلخص فى القضاء على ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ومبادئها ومنجزاتها ، وآثارها ، وقوانينها الاشتراكية ، ومكاسبها الشعبية بأية وسيلة ٠

هذا هو هدف الرجعية المدحورة ، والرأسمالية الموتورة ، وفلول الاقطاع المسعورة وعصابات الاخوان المسلمين الحانقة الطامعة، والبعثيين، والقوميين السوريين ، والمشردين من بيت حميد الدين ٠٠ وأتباعهم جميعا من المأجورين أو المخدوعين ٠٠ كلهـا أقليات فى الوطن العربى الكبير ، ائتلفت لغرض هدام ٠

وعلى أى حال فان الرأى الائتلافى يدخل فى تكوين عوامل نفسية متعارضة ، ومصالح مذهبية متباينة ، لا تضمن له الدوام وانما على العكس من ذلك نجده يتفكك بزوال الغرض من تكوينه وائتلافه ، وينتهى الى صراع بين العناصر المؤتلفة ٠

٥ ـ الرأى المتحد :

ويتكون من اتحـاد القوى الشعبية العـاملة كاملة ، على اختلاف قطاعاتها وطبقاتها ومهنها ، فى وحدة وطنية شاملة يتركز رأيها ويلتف حول مبادىء حقيقية بناءة ، من شأنها صنع التقدم الثورى والوقاية من أخطار تحديات معينة ، ويختلف الرأى المتحد عن الرأى الائتلافى فى أن الاول يتميز بالبناء ، والاندماج ، والاتحـاد حول فكرة الخطة والعمل والهدف ، كمـا يتميز بالاخلاص العـام والمشاركة الوجدانية والعلاقات المتكاملة فى خطوطها العريضة ، مما لا يوجد مجالا للانقسام ولا الصراع ، ولا احتمالات التفكك ٠

٦ ـ الرأى الساحق :

وهو أقرب ما يكون الى الاجماع ، ويحتـاج تكوينه الى عنصرين هامين هما : الاقناع التام الناشىء عن توسيع مجال الجدل الموضـوعى الحر والنقد الشجاع ، وكذا القيادة الوطنية الرشيدة ٠

٧ ـ الرأى الجامع :

وهو ما يسمى باجماع الآراء ٠ ويتميز بالأصالة والثبات والدوام والقوة وبعدم قابلية التعديل أو التغيير مطلقا ، وهو يفترق عن رأى الاقلية الطيبة من حيث أن رأى الاقلية الفاضلة هذا يتخذ خط سير متطورا الى الامام ، فى حين أن الرأى الجامع ثابت راسخ لا يتغير لانه يرتبط بتاريخ الامة وتراثها الاجتماعى ، وضوابطها من عرف وعادات وتقـاليد وقيم

زوحية ‥ وويل لمن يتعرض للرأى الجامع بمحـــاولة تعـديل أو تغيير وخاصة فيما يتعلق بالدين ·

أنواع الرأى العام :

عرفنا الرأى العام من قبل بصفة شاملة ، فاذا ما تأملنـــاه بنظرة فاحصة محللة وجدناه ينقسم الى أنواع ثلاثة وهى :ـ

(أ) **الرأى العام النابه :** وقوامه قلة ضئيلة من الصفوة المفكرة الممتازة ، التى تختص ، بقدرات وامكانيات وسمات شخصية مذهبية ونفسية وحركية فائقة ، تجعلها فى مستوى الاحســـاس الصادق السريع بظروف الجماهير ، والانطباع بمشاكله ورغباته واتجـــاهات آرائه والقدرة على ايجـــاد الحلول المناســبة ، ومن ثم تحريك الحشود والكتل البشرية بعد جمعهـــا حول رأى ، وتوجيهها فى خط سير موحد ، برأى عام موحد ، دون أن تتأثر هذه الصفوة ذاتها بأنواع الدعاية الاخرى ·

(ب) **الرأى العام المستنير :** ويتــــكون من غالبية المتعلمين ، ولديهم من اطلاعاتهم وقراءاتهم قدرة على المقـــارنة والموازنة وربط الاحداث ، وتكوين رأى متعقل الى حد بعيد · كما أن لهم تأثيرا على مخالطيهم من غير المتعلمين وخاصة بالريف ‥ ويزداد حجم هذا النــوع من الرأى العام تبعا لانتشار التعليم فى الامة ، وهذا يدعو الامم النامية الى مكافحة الامية لتوسيع اطار الرأى العام المستنير ·

(جـ) **الرأى العام المنقاد :** ويشمل السواد الأعظم من الجماهير الامية غير المتعلمة ، وهؤلاء يعجزون عادة عن تحليل القضايا العامة وربطها بالظروف الدولية بوجه خاص ‥ كمـــا يقصر باعهم عن تنـــاول الحقائق ، وأسبابها ، ونتائجها بعقولهم وتفكيرهم الذاتى دون شرح ومســـاعدة من الغير ، وهذا يحتم أن يتولى القادة الدعاة ايضـــاح الحقائق لهم وتسليحهم بالوعى ووحدة الفكر عن طريق الموضوعات التى تثير اهتمامهم وتتصل بحياتهم اليومية ، ويكون التأثير أقوى ، والاقناع أعمق ، اذا ما استند هذا الايضاح على حقـــائق المبادىء والقيم الروحية ، والمثل الاخلاقية ، والمعـــايير الانسانية ‥ لانهم بهذه المواريث أكثر تعلقا من غيرهم ‥ والواقع ان لهذه الخاصية ضررها ، وذلك أن تمسكهم بالقيم الدينية مع حرمانهم الشديد من

العلم يتيح للمضللين من محترفي الدين ومحرفيه ومستغليه في الاغراض السياسية أن يخدعوا هذه الجماهير ويفسدوا الرأى العام المنقاد ٠

وظيفة الرأى العام :

لقد أجمع جهابذة العلماء وأساطين السياسة منذ أقدم العصور ـ على ان الرأى العام هو المصدر الاساسى للقوى الضابطة والطاقات المحركة الدافعة بالشعوب خاصة والانسانية عامة نحو التقدم والتطور ٠

فالرأى العام هو الذى يكون الطرق الشعبية « الفولكلور » ويثبتها ٠ ثم يطورها الى تقاليد يحميها باستهجان الخارجين عليها واستحسان المتبعين لها ثم يدعمها ويهذبها فتصير أعرافا تحكم سلوك الجماعة فيما بينها وبين الجماعات الأخرى وفيما بين أفرادها والجماعات الداخلة بعضهم فى بعض ٠ ولا تلبث هذه الأعراف الشفاهية التى تكتسى ثياب الحكم والأمثال أن تصير قوانين مكتوبة تحكم الجماعة ، أو الأمة ، أو المنظمة الاقليمية ، أو منظمة دولية كهيئة الأمم المتحدة ٠

وهكذا نرى كيف أن الرأى العام يقوم بوظيفة ضابطة منظمة لسلوك الفرد ، والأسرة والعائلة ، والقرية والمدينة ، والدولة ، وعدة دول ، ثم العالم أجمع ٠

وهكذا يتبين لنا جبروت الرأى العام وسلطانه فى مختلف مستوياته ، ومدى ما يتوافر له من قوة عملاقة توجه الأفراد والجماعات الصغرى والكبرى ٠ فهو يمثل الارادة أو الرغبة العامة التى تفرض نفسها فرضا لحماية كيان الجماعة ومبادئها وقيمها وتنظيماتها ، ولذا فانه يحتل المقام الأسمى من عناية الجماعات والدول الديمقراطية الجادة ٠٠ ومعنى العناية أن تكون ذات شقين :

(أ) الحيلولة دون اعوجاج الرأى العام أو انحرافه سواء بفعل الجهل بطبائع الأمور ، أو دس مفاهيم خاطئة مضللة ٠٠ وهذا يستدعى تثقيف الرأى العام بيد ، وتنقيته وتطهيره من الشوائب والمفاهيم الغريبة الضارة باليد الأخرى ٠

(ب) اطلاق حرية الرأى والتعبير والنقد الشجاع البناء الهادف لصالح الجماعة وخيرها ٠

والرأى العام لكى يصل الى هذه القوة وهذا الشباب القوى المتمثل

فى شكل أحكام عامة ملزمة من جانب الجماعة ازاء المشاكل الجارية والأمور والعلاقات والحوادث والظروف المختلفة ، يمر بمراحل متعددة ، ويتخذ خط سير صاعدا ، وأطوارا نامية تتدرج نحو الاتساع والضخامة من حيث الكيف والكم .

فهو يبدأ عادة بومضة فكر بناءة أو هدامة ، تنبعث شرارتها فى ذهن فرد خير أو شرير . ثم تتحول الى وجهة نظر يجمع لها صاحبها المبررات والأسانيد .. وفى كلتا الحالتين تقابلها وجهات نظر معارضة وأخرى مؤيده .. ويحتدم النقاش والجدال .. وتلعب وسائل الاقناع دورها ، وأساليب الجدل ألاعيبها ، وامكانيات القياديين مداها ... سواء كان ذلك فى ميدان مكشوف أو فى الخفاء ، وسواء كان مواجهة فى الاجتماعات والندوات والمقابلات ،والنشر أو بالاشاعة والحرب النفسية من طرف يعمد الى التخفى هربا من مقارعة الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان .

وعلى أى حال فان الاقناع ينتهى آخر الامر بامتلاك أحد الطرفين لناصية الرأى العام عن طريق ظاهرة التفشى والانتشار ، وعلى أساس تشابه وتماثل وجهات النظر الذى يصل بالرأى الى حد الاتفاق ، واتخاذ موقف جماعى حيال أمر معين .. قد يكون هذا الموقف تجاه مشكلة اقتصادية أو مبدأ سياسى أو تغيير اجتماعى ، وهنا تزداد احتمالات النقاش والجدال والصراع .. أما تجاه المبادىء الاخلاقية والروحية على وجه الخصوص فان الرأى العام الاصيل كفيل بتطبيق معاييره ومقاييسة ومواجهة الرأى الدخيل ودحره الا فى الحالات التى يستغل فيها الدين بطريق التزييف والتحريف وخلو الميدان أمام المضللين من الدعاة المهرة المزودين بالقدر الكافى من الدراسة والبحث ، وغيرها من أسلحة التصدى والمخزون الكافى لتزويد الجماهير بأكبر مئونة من الاقتناع ليحتفظ الرأى العام بأصالته ونقاوته وقوة الزامه وفعاليته وقدرته على الصمود والتقدم ليخط صفحات مجيدة فى سجل التاريخ .

ويقع عبء هذا على كواهل القيادات الرشيدة .. فواجب الشخص القيادى أن يفتح لجماعته أبواب التعبير الحر ، وأن يهتم باللحظ والتلميح قدر اهتمامه باللفظ الصريح وأن يسد الثغرات الفكرية ويضمد الجراح التى تصيب الرأى العام من سهام المتجنين عليه ينقيه من معكراته ، وينظفه من مفسداته ، ويدحض الاشاعات والمفاهيم الرجعية التى تلقى لاصابة الرأى العام بالضعف والخور ، أملا فى أن يتقاعس ويتقاعد فى منتصف طريق التنمية ، ويتخلى عن ثورته ومبادئها والاستمرار فى انجاز

خططها .. والدعاة قادة الرأى العام لا يقتصر عملهم فى تدعيم الرأى العام وتكتيله لمساندة الاتجاهات الثورية على مجال معين .. فمجالهم كبير يبدأ بشئون الاسرة ، وشئون الوظيفة ، وشئون المهنة ، والمحافظة على المثل والمبادىء والقيم ، والارتقاء بالانتاج وبالفن ، وبكل ما ينفع الامة والشعب من الفرعيات ، تمـــاما كما يهتمون بالمجـــالات المحلية والدولية العامة سياسيا واقتصاديا .. فقد رأينا كيف أن الرأى العام يبدأ من فرد وينتهى الى أن يملأ العالم كله ، فى فترة زمنية معينة أو الى الأبد .. وهو أينما كان وفى كل زمان يحكم على الفكرة أو السلوك أو الانتاج بالجودة أو الرداءة : ومهمتنا هى اعطاء الرأى العام أضبط المقاييس والمعايير والموازين الصحيحة الحقيقية ليستخدمها فى الحكم على ما يلقى اليه من أفكار ، وما يبدو له من سلوك ، وما يؤديه أو يعرض عليه من انتاج ـ حكما صحيحا ـ بالجودة أو الرداءة .

لمحة تاريخية عن الرأى العام :

وقد ظل الرأى العام هو الهدف الأساسى الذى توجه اليه الدعوة وتعنى به الدولة منذ أقدم العصور :

فى الصين :

عرفت الحرب النفسية كسلاح دفاعى وهجومى منذ ٢٥٠٠ عـــام تقريبا ، وحرك كونفوشيوس الرأى العام ضد ظلم الأباطرة استعبادهم للشعب .

وفى مصر الفرعونية :

هب الرأى العام غاضبـــا لينفض عن أرضه غـــزاة الهكســـوس والحيثيين ، ويجبر الفرعون على بسط المزيد من الحرية الســـياسية للحكام من أبناء البلد .

وفى صدر الاسلام :

اهتم النبى صلى الله عليه وســـلم بتوجيه الرســـالة الى الرأى العام .. دعاه ورباه ، وهذبه وهداه . والاسلام فى حد ذاته حينما يجعل الحكم بيعة انما يشير الى وجوب احترام الرأى العام .. وان قول أبى بكر الصديق بعد توليته الخلافة : « انى قد وليت عليكم ، ولست بخيركم»

فان رأيتمونى على حق فأعينونى ، وأن رأيتمونى على باطل فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله فيكم ... » هذا القول يحمل كل معانى تقديس الرأى العام وتعظيمه ، والاعتراف بأهميته فى توجيه التاريخ .

وفي عهد الرومان :

قبل ذلك ــ عرفوه بأنه صوت الشعب أعلى صوت .

وفى العصر الحديث :

عرفه ميكيافيللى فى كتابه الامير بأنه « صوت الشعب ، وصوت الشعب من صوت الله » .

وعرفه فنسكيو :

« بالروح العامة »

وصوره روسو :

« بالارادة العامة » .

وقال عنه وليم تمبل :

انه دعامة الحكم ، ومصدر السلطة ونفوذها ، ومنبع القوة ، أعتى قوة للمحكومين ، فهم الكثرة ، وأما القلة الحاكمة فلا نفوذ لها بغير قوة الرأى العام .

واعتبره لوك :

أحد القوانين الثلاثة التى تسوس البشر ، وتضبط حركات الانسان وهى : القوانين الالهية ، والقوانين المدنية ، وقانون الرأى العام» .

لقد صارت عبارة « الرأى العام » مصطلحا دوليا عالميا بعد الثورة الفرنسية ، وصارت له قوته وحسابه فى ميزان القوى ، وفى تقدير فاعلية التغييرات السياسية والحركات العالمية وشرعيتها .

وقام الرأى العام فى مصر بأعمال بطولية حتى فى أشد حالات افتقاره الى القيادات الناضجة ، حين ذاك كان يخلق هو القيادات ويرفعها على الاكتاف ، ويسير فيما يشبه القيادة الجماعية مستهينا بالموت مزدريا الحديد والنار فى مظاهرات وثورات عزلاء تارة أو مسلحة بالفئوس

والحجارة .. فى دنشواى ودمياط ورشيد وغيرها ، ... وهكذا ناوأ التدخل الاجنبى ، وكان له أكبر الفضل فى الغاء المحاكم المختلطة والامتيازات الاجنبية ، كما قام من قبل بطوفان التحرر من انواع الاستعمار العثمانى والفرنسى والانجليزى المتعاقبة .

وفى النهاية آزر ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحماها وأيدها فى الاطاحة بالملكية ، وتبديد الاقطاع ، والعصف بالرأسمالية المستغلة ، والقاء الاستعمار الى اليم مرتين فى تاريخ الثورة ، واعترفت الثورة الاشتراكية الديمقراطية بعظمته وبقدرته على حماية مكاسبه وبأنه السلطة العليا فى كل مستوى ، حتى ان قانون الاتحاد الاشتراكى قد نص على أن المؤتمر الشعبى على أى مستوى هو أعلى سلطة سواء فى الوحدة الأساسية أو فى المركز أو القسم أو المحافظة أو المؤتمر القومى .

تعبئة الرأى العام :

ذكرنا أن مهمة العضو القيادى هى تنقية الرأى العام ، وتسليحه برفع مستواه الفكرى ، وضمه فى تكاتف وتكاثف ، وتوجيهه نحو المسالك الحركية التى تخدم أهداف المجتمع ، مع المحافظة على درجة حماسه وتماسكه .

لكن هذه العملية نفسها ــ عملية التعبئة ــ تتضمن عدة عمليات لا تقل احداها أهمية عن الأخرى .

فلكى أقنع الناس ، لابد أن أشدهم وأجذبهم الى مناقشة فعلية مفتوحة .

ولكى يشتركوا فى النقاش بفاعلية ، لابد أن يكون موضوع المناقشة محورا لأهتماماتهم .

ولمعرفة ذلك ، لابد من الوقوف على ألوان الفكر والعمل والمعيشة السائدة بينهم .. والمشكلات ذات الأثر المباشر عليهم ، أى لابد من تحليل ظروفهم الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ومعرفة القوى البشرية والمعنوية التى يمكن الاستعانة بها فى عملية التوعية والتبصير وخاصة القادة المحليين ، ومعرفة القوى البشرية والمعنوية التى يجب أن يعمل حساب وجودها كعوامل معطلة لعملية التعبئة .

وهكذا نجد أن الرأى العام نفسه هو البداية كما هو النهاية ، أى أنه أساس وضع أى برنامج أو خطة لتعبئته ، ولذا فان الخطوة الاولى

هى قياس اتجاهاته .. وتحديد عوامل التأثير عليه وتنشيطه وتحريكه ، وعناصر تكوينه ، والانماط والاساليب التى يظهر بها ، والانعكاسات المختلفة الناجمة عن مؤثرات حقيقية قائمة فعلا أو مؤثرات مصطنعة أساسها الوهم أو التضليل أو سوء التفسير بقصد أو بغير قصد ...

كل هذه الدراسات ضرورية لنجاح عملية التعبئة ، وبدونها لا يمكن تعديل اتجاهات الرأى العام وتعديله وصقله وتغذيته بما يناسب اهتماماته ويشفى غليل تساؤلاته .. بدون هذا التحليل لا يمكن ضمان سلامة الرأى العام من نقص الحقائق أو تعرضه للآراء المندسة المفرضة التى تسعى لتلويثه وتشكيكه وتفتيته وتفكيكه .

قياس الرأى العام :

ان قياس الرأى العام يشمل قياس أبعاده الاربعة وهى :

١ ــ المصدر ــ ٢ ــ النوع ــ ٣ ــ الكم ــ ٤ ــ الاتجاه .

١ ــ أهمية قياس مصادر الرأى العام :

مصادر الرأى العام فى مجتمع ما هى جمهوره سواء كان هذا المجتمع ضيقا كالحى ، والقرية ، والمجتمع المهنى والترفيهى ، أو كان متسعا يشمل جماعات متباينة الخصائص ، ومن المحتم على دارس الرأى العام أن يتنبه الى أن هناك عوامل تؤثر بطريق مباشر على مظهر وجوهر الرأى العام وعلى صدق النتائج التى يحصل عليها من عملية القياس نوعا وكما . ومن هذه العوامل .

(أ) ان الجمهور المتجانس من حيث العنصر والدين والجنس والنوع والمستوى الثقافى والاقتصادى والاجتماعى ، يعطى نتائج قياس على أعلى درجة من الصدق .

(ب) ان تباين المراكز الثقافية والاجتماعية والاقتصادية يؤدى من ثم الى اختلاف الموضوعات التى تهم كل فئة كما تؤدى أيضا الى وجوب استخدام أساليب دعوة مختلفة تتناسب مع المستويات الثقافية المختلفة .

(جـ) ان تأثر الجمهور بالايحاء يؤدى الى اعراض عن ابداء الرأى ، أو ابدائه باقتضاب مع حبس الحقائق ، أو الادلاء بآراء فجة ، ومن

ناحية أخرى فان مثـل هذا الجمهور يســـهل قياده وتبصيره باستخدام وسائل الاعلام التى تعتمد على علم النفس .

(د) الضغوط والسلطات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقبلية والدينية والعنصرية والادارية لها دخل كبير فى تشـكيل الرأى العام وتلوينه باللون الذى يريده له رءوس هـذه الضغوط .. وتحديد هؤلاء الاشخاص ضرورى البدء باقناعهم أولا ، والا فمن اللازم تحرير الافراد من ضغوطهم ، واتباع وسائل قياس أكثر وصولا الى صدق البيانات مع احتساب احتمالات الخطأ .

(هـ) معرفة مدى ما عليه أصحاب الافكار المعارضة من ثقافة ونفوذ على الجماعة ، ومعرفة أساليبهم فى قيادة الرأى سواء بالجدل الشكلى أو التشويق أو التضليل أو التعويق أو الارهاب ـ هذه المعرفة تفيد الداعية فى وضع البرنامج المناسب .

٢ ـ أهمية قياس نوع الرأى العام :

تفيد معرفة نوع الرأى العام فى تحديد الموضوعات التى تشغل بال الجماهير ، وحشد الحقائق اللازمة لاقناعه ، ومن ناحية أخرى فان هذه المعرفة هى الصوت الذى ينبه الدولة الى رغبة جماهيرية تحتاج الى حل ، وهذا هو الأساس فى التنظيم والتشريع واصدار القرارات وانشاء المشروعات ، وتشكيل مواد الاعلام ، وتحديد أنسب وسائلها الكفيلة بالقاء الأضواء على الظلال التى تعتور المفاهيم أو تجنح بالميول .

٣ ـ أهمية القياس الاحصائى للرأى العام :

القياس الاحصائى للرأى العام فى موضوع معين ، يبرز قيمته ، وقدرته ، ووزن ثقل الحاجه .. ويترتب على ذلك أن يوضع فى دوره على سلم الأولويات بالنسبة لغيره من الموضوعات .. ومن ناحية أخرى فان القياس الاحصائى للرأى العام حول فكرة أو اشاعة معينة فى وقت واحد يمكن أن يحدد خط سير الفكرة أو الاشاعة واتجاهها على حسب كثافة شيوعها بالنسبة لعدد السكان وخصائص أخرى : منها حالة المجتمع من حيث الاتصال أو الانعزال عن غيره من المجتمعات .

٤ ـ أهمية قياس اتجاه الرأى العام :

والمقصـود هنا تتبع خط ســير الرأى العـام لكشف العناصر

المؤثره ذات الفاعلية فى توجيهه وتحريكه نحو هدف بناء أو هدام فيتسنى الاستفادة بالأولى فى عملية التعديل والقيادة ، ويمكن وقاية الرأى العام من الثانية ومن أساليبها المضادة .

والواقع أن عملية تحديد خط سير الرأى العام مكملة لمعرفة وقياس الأبعاد الثلاثة السابقة . وهذا يدعونا الى القول بأن الداعية الماهر هو الذى يستطيع ان ينكش الرأى العام المستتر بلباقة وكياسة ، والرأى العام المستتر هو ما يتردد وينتشر لكن عن طريق الهمس .. وبرغم ذلك فانه يكون قوة مكبوتة متراكمة تحتشد فى نطاق الموتورين والحاقدين والخارجين على القانون والمخدوعين .. ومن المخدوعين ضحايا التأثر بالايحاء الذين يتميزون بسرعة التصديق .. وهنا ينبغى على الداعية أن يتيح للرأى المستتر فرصة الظهور ثم لا يلبث أن يصاوله فورا بالمناقشة المقنعة .. ولذا يلزم أن يكون على درجة عالية من الاطلاع وسعة الأفق والاقناع ودقة التعبير ، حتى لا يجنى نتيجة عكسية .. ذلك أن تفجير الرأى المستتر يحوله من حالة السكون والركود الى حالة الحركة والتفشى كالوباء المعدى الخطير .. ويرى الدكتور احمد الخشاب أن وسائل تصريف الرأى المستتر وتغييره هى : ـ

(أ) المواجهة المكشوفة ، دون تحرج ، بمثابة كشف الغطاء عن الوعاء لايجاد مسالك عدة لأفكار محبوسة تغلى .. وهذا من شأنه أن يساعد على وزن هذه الأفكار ، وتحديد القوى والمذاهب والمعتقدات الباعثة لها ، واختيار الأسلوب الأمثل لمواجهتها .

(ب) اتاحة الفرصة لجانب محدود من هذه الأفكار أن تبحث بصورة موضوعية فى اجتماعات موجهة منظمة ، تتاح خلالها الفرصة لفريقين أن يتجادلا ، أحدهما مؤيد والآخر مفند ، فيتم بذلك تصحيح الجانب المطروق من الأفكار الخاطئة .. وهكذا .

(جـ) مناقشة الموضوعات المقابلة للأفكار المستترة ، بأسلوب غير مباشر ، وخاصة الحساسة منها المتعلقة بالأمن القومى .

وسائل قياس الرأى العام :

هناك وسائل عدة لقياس الرأى العام تختلف باختلاف طبيعة الجمهور كما ذكرنا من قبل ، وتختلف كذلك باختلاف الموضوع المراد قياسه .. فلا يمكن مثلا أن نستخدم طريقة استمارة الاستفتاء فى مجتمع

ريفى تسوده الامية ، كما ينبغى ألا نستعمل نفس الطريقة فى الموضوعات الحساسة .

ومن أبجديات قياس الرأى العام بصفة عامة أن يكون السؤال مفهوما واضحا سهل الاجابة ولا يمس جوانب شخصية أو ذاتية تثير الشعور بالقلق والصد والحذر والنفور والكف عن الاجابة .

وكقاعدة عامة يجب الالمام بها ـ أن أفضل توقيت لدراسة الرأى العام هى قياسه بعد اثارته ، وأنه يظل ساكنا حتى يحركه ظهور عامل جديد يدعوه الى النشاط والانفعال فى مناقشات واحتكاكات ذهنية تجعله فى حالة فوران وديناميه .. حينئذ يمكن قياسه بالاساليب الآتية : ـ

١ ـ استطلاع الرأى :

أو الاستفتاء ، ويسميه البعض استبيانا .. وهو عبارة عن استمارة تتضمن سؤالا أو أكثر فى صيغة خاصة ، عن رأى الأفراد فى مشكلة أو موضوع معين ، أو الاستفسار عن أهم ما يشغل تفكيرهم .. ولا ينفع هذا الاسلوب الا فى المجتمعات المثقفة .

٢ ـ عرض البحوث والمشروعات :

ان عرض مشروعات القرارات والقوانين ، والبحوث والدراسات : يؤدى الى اثارة ردود فعل توضح موقف الرأى العام منها .

٣ ـ جس النبض :

وهذه الطريقة تصلح لقياس الرأى العام فى حالة سكونه ، وحيث يستحسن ابقاؤه على حاله . ولكنها طريقة يشترط فيها أن تخلو من عنصر المفاجأة وأن يعتمد فيها على القادة المحليين من نفس البيئة ، فغيرهم لا شك ستواجههم الجماعة بحذر ، ويتعذر بعد ذلك الوصول الى الحقيقة .

٤ ـ الاتصال الشخصى المباشر :

بالافراد والجماعات فى حلقات النقاش والندوات التى يتاح فيها أكبر قدر من الحوار الحر سواء في البيوت أو النوادي أو أماكن التجمع العادية الأخرى .

٥ ـ تجميع الشائعات :

بطريقة وصفية كمية ، ومعرفة مصادرها المادية والمعنوية .

بعد جمع البيانات والمعلومات عن قياس الرأى العام نوعا وكما واتجاها ومصدرا ـ تأتى عمليات الفرز والتبويب والتصنيف والاحصاء النهائى ، ثم عملية تحليل الرأى العام ، وعملية وضع خطط الدعوة والتعبئة تبعا للبيانات المتقدمة ولامكانيات التجميع ومراكز التجميع والتجمع .

ومن الواضح أن عمليتى التحليل والتخطيط تحتاجان الى خبرة وتخصص وكفايات عالية .. ولذا تتولاها عادة ادارة مركزية متخصصة فى الدولة أو فى التنظيم السياسى أشبه ما تكون بذلك الجزء من المخ الذى يسمى التلاموس .. يستقبل كل اشارات الحس والوعى والادراك والشعور عن طريق الشعيرات العصبية المنتشرة فى جميع أجزاء الجسم، يجمعها على هيئة تنبيهات ، ثم لا يلبث أن يرد على أعضاء الجسم المختلفة بما يجب عليها أن تفعله من سلوك كرد فعل للاثارة .

ومن ألزم الضروريات أن يكون هذا الجهاز المركزى على جانب عظيم من السرعة فى التحليل والرد بالخطة وليس معنى هذا أن يلجأ اليه القياديون فى كل صغيرة من الأمور ، فهناك واجبات عادية لا تحتاج الى عناء ولا استفسار ، وانما يرجع اليه فى الأمور غير العادية والطارئة والتى لم تدخل بعد فى اطار التجربة العامة أو التجربة الفردية بالنسبة لقائد الرأى .

ومن هنا نرى أن التجربة والتدريب وتراكم الخبرات فى التنظيم السياسى عامة ، ولقائد الرأى خاصة ، تؤدى ـ على المدى البعيد ـ الى غير مركزية فى التوجيه السياسى ، والتصرف السياسى ، والعمل السياسى ، على جميع مستويات التنظيم الواحد .. فى جو من حرية العمل وتلقائيته تتكاثف تبعا لحالة وحدة الفكر القائمة ، وتفاهة التيارات المعارضة .

« قيادة الرأى »

قائد الرأى فى المجتمع الديمقراطى الحديث انسان تبلورت فيه ارادة الجماعة ، وأوتى من ارهاف الحس بآلامها ، وتوافرت له من

جمعية العقل ، وكمال الادراك وصفائه ، وقوة الالهام ونقائه ، وسعة الاطلاع ، وسرعة الحركة .. ما يجعله ضمير الجماعة ، وعقلها المفكر ، والطاقة المحركة لها بوحى من خواطرها ، واذعان لالحاح احتياجاتها ، اتجاها بها نحو أهدافها ورغباتها السوية .

أطوار وصنوف قيادة الرأى :

ظلت قيادة الرأى تكبو تارة وتحبو أخرى ثم تستقيم متأثرة بمراحل التقدم الحضارى وتخلفه ، وظروف المجتمعات وما تحكمها من نظم وضوابط وأنماط حضارية .

استأثر بها السحرة والكهنة فى المجتمعات المتأخرة البدائية ، ولا يزالون فى بعض بقاع من العالم حيث يسود التخلف والوثنية .

وتولاها « الفقراء » الزاهدون هواة الألم والعذاب وقوة التحمل بين بعض شعوب آسيا الجنوبية .

والفلاسفة الفضلاء مستودعات العلوم الانسانية والعملية فى الحضارة اليونانية .

والقديسون والقساوسة فى العصور الوسطى الأوربية .

والأئمة الجامعون بين أمور الدنيا والدين فى الدولة الاسلامية .

والسيد الارستقراطى الاقطاعى قبيل الثورة الفرنسية .

وحار العلماء واختلفوا فى سر القيادة .

فنسبها بعضهم الى ضخامة الجثة لغرض الهيبة ، متجاهلين ضرورة توافر تبادل الثقة والاحترام ، والتأثير والتأثر ، والاقناع ، والتعاطف والمشاركة الوجدانية بين القائد والجماعة كشرط أساسى لنجاح القيادة واستمرارها ، فما كان نابليون بدينا . وما كان ديلفوس النمسوى وهتلر الالمانى الا أقرب الى الأرض من أقرانهما .

وحصرها البعض فى الذكور دون الاناث ، حتى أثبت التاريخ السياسى والتاريخ الفكرى أن المرأة لا بد أن تتساوى بالرجل بعد أن أثبتت جدارتها وكفايتها للقيادة فى مجالات مختلفة ، التاريخ يروى لنا بطولات نسائية أقربها الى الذهن وأوضحها فى التاريخ ، أم المؤمنين عائشة ، وجان دارك ، ومدام كورى ، وجميلة بو حريد ، وغيرهن .

ونسب البعض قيادة الرأى العام الى طاقة مغناطيسية يتمتع بها الاشخاص القياديون ، تجذب الجماهير وتؤثر فيهم ، وتشل حركتهم ، وتطوع ارادتهم ، فلا يستطيعون الا تقليد القائد ، والائتمار بأمره ، مسلوبى الارادة .. الا ما أسوأ هذا الفهم الأرستقراطى السلبى الهزيل الذى يجرد الرأى العام من قوته العظيمة ؟ .. ان هذا الرأى يطابق ما ينادى به البعثيون وأشباههم من الفاشيين زورا وتعاظما — بأن الجماهير ليست الا كتلا من الدهماء والغوغاء ، تحركهم الغرائز والشهوات ولا يتميزون فى التعبير عن الببغاوات .

ورأى البعض أن تسند الى كبار السن كما فى المجتمعات القبلية .

ويصر بعض المتزمتين الطبقيين على أن تختص بالقيادة أسر معينة أو طبقة اجتماعية كما كان الحال فى الهند وفرنسا وفى مصر قبل الثورة، وقد يكون معيار القيادة هو المال كما كان الحال فى الجاهلية حيث يقود الجماعة أغناها مالا وأكثرها ابلا أو خيلا كما كان فى التركستان أيضا .

طبيعة قيادة الرأى :

١ — تتجه قيادة الرأى من أسفل الى أعلى .. فالقائد يستمد زعامته أصلا من جماعته ، وهو من صنعها : ثقفته ، وعلمته ، وطبعته بمشاعرها وعكست عليه مشاكلها ، وأكسبته أساليب التعبير عنها ، وكل ما توافر له من قدرات أهلته للقيادة .

٢ — تتميز العلاقة بين القائد وجماعته بالتداخل والترابط ، والتضامن والتعاون ، والتعاطف والتآلف ، والا انقطعت صلته بالجماهير وعاش فى فراغ لا يصلح فيه حتى لقيادة نفسه .

٣ — هناك التزام تلقائى ممتع بين القائد وجماعته ، يقضى عليه بأن يصون حقوق الجماعة ، ويدافع عنها ، ويعبر بشجاعة عن آرائها ، وهم فى نفس الوقت ملزمون بالسير معه فى الطريق الجمعى الذى يحدده لصالح الجماعة .

صفات قائد الرأى :

بالاضافة الى ما سبق ذكره فى الفصل الاول — يجب أن يدرب قائد الرأى نفسه على اكتساب ما قد ينقصه من الصفات الآتية ليضمن النجاح لنفسه وجماعته : —

١ ــ المحافظة على صحته عامة ، وقوة أعصابه خاصة ، ليستطيع تحمل مشقة العمل من ناحية ، وتحمل الصدمات من ناحية أخرى فى هدوء دون اضطراب .

٢ ــ دقة تحديد الهدف وتوضيحه لجماعته ، وتوجيههم نحو تحقيق الغايات من أسهل السبل وأقصرها .

٣ ــ الحماس الذاتى والقدرة على تحميس الناس على أسس تحصلية منطقية مع اضاءة فكرة الاخلاص والتضحية بالنفس والنفيس من أجل المثل ، والمجتمع بما يضمه من أهل ومقدسات وأمجاد .

٤ ــ خلق جو الزمالة والصداقة والمحبة والاخاء بينه وبين الجماعة وبين أعضائها بعضهم مع بعض .

٥ ــ المحاولة المستمرة للوصول نحو الكمال الخلقى ، والبعد عن الابتذال فى الأقوال والأفعال والسبق الى تنفيذ الواجب ، لنشر القدوة الحسنه بين الجماعة ، واشاعة الفضائل حيثما وجد .

٦ ــ المهارات المهنية ، وسعة الالمام بأصول مهنته خاصة ، وما يتعلق بها من مهن ، لكيلا تقوم قيادته على جهالة .

٧ ــ الحزم والحسم والعزم ، والبعد عن التردد والخوف والوجل ، واستبعاد انفعالات المجاملة والخجل ، حتى لا يصاب بالعجز والهزيمة وضآلة القيمة .

٨ ــ الذكاء والقدرة على سرعة التفكير والتدبير والموازنة والمقارنة والاستنتاج ، والانصاف بسعة الحيلة وبعد النظر ، والحرص والحذر .. كلها لازمة لتجنيب الجماعة وقائدها حرج المأزق ولحل المعضلات وتذليل الصعاب .

٩ ــ دقة التعبير ، وصحة التصوير ، وتوضيح الرؤية ، وتبديد الغموض بالوسائل المناسبة للمستوى الثقافى المحلى السائد ، التى تضمن عمق التأثير .

١٠ ــ قوة الايمان بالمبادىء والعقائد ، والاستبشار بأنها ستصل حتما بالجميع الى مستقبل مشرق زاهر ، والعمل الدائب على تأكيد هذا الايمان فى الجماعة ، والحذر من التراخى ، فان عدواه تنتقل من الزعيم الى الجماعة وتلقيهم فى ظلمات التشاؤم والقنوط والشك فى العقائد والمستقبل والقائد .

١١ ــ انتهاج السبيل الشخصى العصامى . والاعتماد على النفس فى بناء شخصيته وتنميتها وصقلها بالدراسة المستمرة والاطلاع الواسع ، مع تدريب مواهبه من عامة الجوانب المكنة ، وعدم اغفال التخصص فى موضوع نافع يفضله على غيره .

١٢ ــ استغلال وقت فراغه فيما ينفع دعوته ورسالته .

١٣ ــ رسم خطة عمل معينة مبنية على تركيز الجهود والفاعلية وسرعة الحركة والقدرة على كثافة علاقاته بجميع الجماهير فى أقرب وقت .

١٤ ــ محاسبة النفس بين الآونة والاخرى ، أى ممارسة نقد الذات لتأديبها وتهذيبها وتعديل أساليب التفكير والسلوك الى ما هو اكمل .

آفات القيادة :

وأخيرا فان قيادة الرأى تستلزم الحذر من الآفات الآتية : ــ

(أ) الاعتماد فى عملية الاقناع على الايحاء والايهام .

(ب) اللجوء الى التحذير وأساليب الغموض والابهام .

(جـ) الاتصاف بالنفعية والوصولية .

(د) محاولة الضغط والقهر والتسلط والاستبداد بالرأى .

(هـ) اتباع أساليب الاغراء الكاذبه ، والتشويق العاطفى المجافى للواقع وللحقائق .

(و) الانزلاق الى سلوك ينافى الذوق العام والخلق الكريم ، ويجافى قيم الدين القويم .

« الديمقراطية السليمة »

و

« الديمقراطية الزائفة »

هناك سجال حاد ، قائم بين المفكرين السياسيين .. دائم الى ماشاء الله . حول فكرة « نظام الحكم الامثل » وظل هذا النقاش يدور حول ثلاثة نظم عامة ، أيهما أفضل ؟ : ـ

١ ـ حكم الفرد :

أى الدكتاتورية . وتعنى سيطرة انسان واحد . ملكا كان .. أو امبراطورا .. أو زعيما ، على كل ماعداه من بشر فى مجتمعه .. يتقلد سلطات لاتعد ، وارادة لاتتعارض ولا تحد ، تعود بالدولة الى صـورتها البدائية الاولى ، حينما كانت الجماعات الانسانية المتأخرة تعيش على شكل عشائر وبطون يغشاها الجهل وتنتابها الحيرة والخوف فتسلم قيادها لفرد آمر ناه حاكم قاض ، هو القانون ، وهو القائد ، وهو القضاء ، وهـو القدر .

والحقيقة أن البشرية بدأت تتخلص من هذا النظام الاستبدادى المطلق فى عهد الاغريق والرومان حيث كانت الدولة صغيرة المساحة . قليلة السكان ، تقتصر على مدينة كأثينا أو اسبرطه مثلا .. ولكن قيـام الاسكندر المقدونى بتكوين الامبراطورية الاغريقية ، قضى على اسـتقلال المدينة ، وفصل الفرد المواطن تدريجيا عن الدولة وعن حق المساهمة فى الحكم واقتراح القوانين ونقد الحكام . فانطفأت شعلة الديمقراطية التى كانت قد بدأت تشع من اليونان يغذيها الفلاسفة بأفكارهم ، وبدأت فلسفات فردية غريبة تظهر وتنتشر .

الأبيقوريون ينادون بأن يمتنع الفرد عن الاشتغال بالسياسة ،وأن ينصرف الى تحقيق رغباته الروحية والمادية والثقافية لتحقيق سعادته .

والرواقيون يفصلون بين الأخلاق والسياسة وينادون بالأنانية ، وأن يعمل الفرد لمصلحته الشخصية بعيدا عن السياسة فى ظل فكرة « الاخاء العالمى » .

ومجد الرومان الامبراطور ، على أساس ان الشعب قد وكله بلا رجعة ولا حق فى الثورة مهما شذت أعماله .. وبرر « شيشرون » ذلك الرأى بمنطق ملتو ظاهره ديمقراطى وباطنه دكتاتورى .. وأوجب « سينيكا » شيخ الفلاسفة الرومان ـ « على المواطنين طاعة الحاكم المطلق مهما طغى وبغى » وكان معاصرا لنيرون .

وترددت أقوال كهذه كثيرة تؤيد دكتاتورية الفرد .. سلفيوسى

يقول « الامبراطور سيد العالم » وبراكتون يقول « القانون هو الملك » ومكيا فيللى يقول «ليس على الحاكم أن يكون عادلا مشرعا .. بل رجل حرب وسياسة ، رجل قوة ومكر ، وغدر وخيانة وبطش ، لايتقيد بمبادىء الدين والآخلاق والانسانية ولا العرف والتقاليد ، ينكل بمن يعترضه ، ويقضي على معارضيه ، والا فشل فى الحكم » .. واذا تحدث عن السيادة الشعبية ، فان ميكيا فيللى يقول : « انها سلطة غير واعية الى حد لا يتيح لها أن تكون قادرة على ممارسة سلطاتها ممارسة فعالة »

وليس غريبا أن نجد «هريز» الانجليزى يعضد طغيان الحاكم المستبد ويستحثه على أن يقابل أصوات المعارضين بالقتل والنفى ، ولا عجيبا أن « منتسكيو » الفرنسى الثائر ، وهو أحد أعمدة الديمقراطية ــ يتورط فى تجريد الديمقراطية من فاعليتها بقوله : « ان اشراف الشعب على الهيئة التنفيذية ، وصمة فى جبين الدولة » .. فهذا الرأى يمتهن سيادة الشعب ويجعل حريته وارادته مجرد حبر على ورق ، طالما أن دوره فى الحكم يقف عند حد اختيار حكامه دون أدنى حق فى متابعة أعمالهم وتصرفاتهم .

أما الغريب فهو أن نجد بين ظهرانينا من يقومون بدور حمار الاسفنج ، وينقلون الينا مثل هذه الأفكار التى لا تتناسب مع قيمنا الروحية وتقاليدنا وظروفنا ونفسية الشعوب العربية ، بل من المؤسف أن يعيش بين صفوفنا من يناصب العداء لحرية الشعوب ، وحقوقها فى السيادة وفى الحرية الديمقراطية .. أمثال « ميشيل عفلق » ومن لف لفه من البعثيين .. فقد نعت الشعب بأنه عفوى ، سطحى ، عاطفى ، غوغائى ، قطيع .. وضل عفلق بعد ذلك فى متاهة يمجد الفرد ويقدس ديكتاتوريته ، تارة بقوله « انه أهم شىء » ، وتارة أخرى ينادى بحكم دكتاتورية الطبقة فيقول : « نحن نمثل مجموع الأمة الذى لا يزال غافيا .. فنحن نمثله » .

ومن فضل الله على الديمقراطية أن الرأى العام على مختلف مستوياته: المحلية والاقليمية والعالمية ، قد نبذ الى غير رجعة فكرة الحكم الفردى ، ولم تعد للأمم عليه احتمال أو اقبال الا فى ظروف استثنائية ضرورية طارئة تقبل فيها حكم الفرد المستنير العادل الرشيد حتى تنقشع السحابة ويزول الخطر عن الجماعة .

٢ ــ حكم الطبقة :

واختلف المفكرون فى أى الطبقات أحق بالحكم ؟ ورأى أفلاطون أن تكون طبقة الفلاسفة ، وفى مكان آخر أجاز الحكم الأرستقراطى الذى تسيطر

فيه طبقة صغيرة من الأغنياء ، ولعله كان أول من وصم الحكم الديمقراطى الشعبى الشامل بأنه « حكم غوغاء مصيره الى زوال » .

أما أرسطو فأيد حكما طبقيا من نوع آخر : حكم أوليجاركى تسيطر فيه الطبقة الوسطى التى تمثل الاعتدال فى الثروة والسيطرة . وكانت نتيجة اقرار حكم الطبقة الواحدة أن ظهرت لكل طبقة مبرراتها فى الأحقية بالحكم فظهرت أنواع الحكم التبوقراطى أى حكم الطبقة الدينية التى تستمد سلطتها من الحق الالهى المقدس ، واستغلت الدين فى العصور الوسطى أسوأ استغلال . وتلتها طبقة الاقطاع من النبلاء والأشراف تستأثر بالحكم والنعم ، ولا تترك للغالبية العظمى من الشعب الا الذل والجوع . وأدى ضغط الطغيان الى انفجار الثورة الفرنسية عن أسس العدالة والحرية ، والاخاء والمساواة وعن انتشار مبدأ روسو القائل : « بأن الارادة الشعبية العامة هى الجهاز الذى يتيح تحقيق العدالة ، وأنه اذا انتقلت السلطة النهائية من يد الشعب ، فان الادارة التى تعبر عن نفسها حينئذ ارادة لا تمثل الا مصلحة فردية خاصة » .

٣ ـ حكم الشعب :

وهو المقصود الحقيقى من كلمة الديمقراطية . فالديمقراطية أصلا لفظ لاتينى يتكون من مقطعين : « ديموسى » بمعنى شعب ، و « كراتوسى » بمعنى سلطة . أى حكم الشعب . وجاءت فى الميثاق على أدق ما يكون المعنى : « حكم الشعب بالشعب لصالح الشعب » . وهو بذلك مرآة لقيمنا الروحية وتقاليدنا وأخلاقنا ونفسية عروبتنا .

ان الاسلام يأمرنا باتباع الاسلوب الديمقراطى فى الحكم وذلك فى قوله تعالى فى سورة آل عمران : « وشاورهم فى الامر » . وفى سورة الشورى : « وأمرهم شورى بينهم » . وفى حديث شريف : « ما خاب من استشار » . و « ما استغنى مستبد برأى » و « ماهلك أحد عن مشورة » و « استعينوا على أموركم بالمشاورة » وقول رسول الله أيضا : « واذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » وقوله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان أو أمير جائر » . وقال تعالى فى المساواة : « انما المؤمنون اخوة » وقال سبحانه : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » . وفى نفس المعنى قال رسول الله : « ان الناس سواسية كأسنان المشط » . وقال فى خطبة الوداع : « ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب .. ليس لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى .. فضل الا بالتقوى .. » .

ولعل فى هذا ما يفسر لنا أصالة ديمقراطيتنا من جهة ، ويفسر للعالم أننا نستند الى حكمة الهية بانفة منبثقة من ديننا الحنيف .

وحينما نقدم للعالم ديمقراطية سليمة ، لا هى ديمقراطية سياسية فحسب كما فى الغرب ، ولا هى ديمقراطية اجتماعية فحسب كما فى الشرق ، فكل منهما ديمقراطية عرجاء تسير على ساق واحدة ، وكلاهما لا يحقق مبدأ السيادة للشعب .

أما ديمقراطيتنا السليمة فتعتبر أن كلا من الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية يمثلان جناحى طائر الحرية ، لا بد من تلازمهما معا ليطير وينطلق الى العلا ، أى أن العدالة الاجتماعية .. الاشتراكية .. لا بد لها كضمان لحرية الرأى والتعبير المتحرر من الخوف وذل لقمة العيش ، لنستخلص حكما ديمقراطيا سليما .

الديمقراطية التقليدية :

الديمقراطية كما عرفها العالم ثلاثة أنواع أهمها النوعان الآتيان : ــ

١ ــ **ديمقراطية مباشرة** : ومعناها أن يشترك الشعب كله فى الحكم ، أو على الاقل فى توجيه دفته ، فاذا به شعب من حكام محكومين فى نفس الوقت . وقد اتبع ما يشبه ذلك فى العصر اليونانى القديم ، فى مدينتى أثينا واسبرطة على وجه التحديد .. ففى أثينا مثلا كان « المؤتمر العام أو الكيسيا » يضم كل مواطن بالمدينة بلغ سن العشرين وكان المؤتمر العام هذا هو السلطة التشريعية العليا التى تصدر أو تلغى القوانين ويعقد ١٠ مرات سنويا . أما الهيئة التنفيذية فكانت عبارة عن « مجلس الخمسمائة » الذى يشكل بانتخاب ٥٠ مواطنا من كل قبيلة من قبائل المدينة العشر . ومن الواضح أن قلة عدد السكان وصغر مساحة الدولة التى كانت تنحصر فى مدينة ، كان يسمح بقيام مثل هذه الديمقراطية ، مهما كانت مناقشات المؤتمر غير جدية أو ذات فاعلية فى تقرير السياسة العامة للدولة . وهذا النوع من الديمقراطية أصبح متحفيا فى ذمة التاريخ ، يستحيل تطبيقه على نفس النمط لعدة عوامل أهمها ما ذكرناه .

٢ ــ **ديمقراطية نيابية** : وهى ديمقراطية التمثيل النيابى عن طريق انتخاب الشعب لوكلاء عنه فى توجيه دفة الحكم . وتتركز هذه على دعامتين :

(ا) ان النائب يمثـــل الشعب بأكمله ، وليس الدائرة التى انتخبته وحدها • وهو اذ يمثل الشعب بأكمله ليس لدائرته أو شخص منها أن يحاسبه على مصالح الدائرة •

(ب) ان البرلمان يستقل تماما بعد انتخـابه عن مجموع الناخبين طوال مدته ، وليس للشعب خلال هذه المدة أن يحاسبـه أو يطالب باقصاء نوابه بعضهم أو كلهم وما عليه اذا حادوا أو قصروا الا أن يحذر انتخابهم فى المواسم التالية •

خصائص الديمقراطية الزائفة :

الديمقراطية الزائفة ديمقراطية نيابية تنفصل عن الجماهير مجرد تشكيل البرلمان ، ويفقد الشعب حقه فى متابعة نوابه أو محاسبتهم وتوجيههم •

ويبدو زيفها أوضح فى المبـــدأ الذى ينادى به معتنقوها وهو « ان الديمقراطية مسألة عقيدة وايمان ، وليست مسألة خبز وزبد » . أى أنها لا تغنى ولا تسمن من جوع ، ولا تؤمن من خوف .. فهى ليست مسئولة عن رعاية مطالب المواطن الاجتماعية من علم وعمل وعلاج وسكن، ولا عن حل مشاكله الاقتصادية والمهنية كمشاكل العمل وظروفه وأجوره وساعاته ، ولا مراقبة أسعار السلع وحماية الانتاج والحد من الاستغلال والاحتكار فى مجال الصناعة والزراعة والتجارة والمال •

وهى تستند فى ذلك على المذهب الفردى الحر الذى يتمثـــل فى مبدأ : « دعه يعمل دعه يمر » الذى اقتضاه تنشـــيط التجارة أيام أن كانت الحرف اليدوية هى السائدة فى الصناعة ، ولم تكن طاقة البخار ثم الكهربا قد فجرت الثورة الصناعية التى أدت الى تركز رأس المال فى أيد قليلة على حساب افلاس رءوس الاموال الصغيرة واغلاق المصانع المتواضعة وتحول أصحابها الى عمال لدى كبار الرأسماليين •

ونتيجة لعمليات التنافس والمضاربات ظل العامل الفقير فى الحقل أو فى المصنع يزداد فقرا ، والاقطاعيون والرأسماليون يزدادون ثراء ويقل عددهم •• ومن مصلحة الطـرفين أن يصـــلا الى الحـكم لحماية مصالحهم • ولكن الاغنيـــاء أقدر بمالهم وجاههم وســـلطانهم •• انهم يستطيعون شراء الاصوات وتزييف الانتخابات وتخويف الناخبـين من عبيد الارض أو رقيق الآلة •• وهكذا كانوا دائما يمثلون الاغلبية فى المجالس النيابية ، وهـــكذا عرفـوا كيف يحافظـون على مكاســـبهم

ويضاعفونها من عرق الفلاح ودم العامل ودموعهما معا .. وهكذا احتفظوا بمبدأ « دعه يعمل .. دعه يمر » .. فى التجارة والصناعة والزراعة .. بمعنى ألا تتدخل الدولة فيها ، وهذا هو معنى الحرية فى الديمقراطية الزائفة .. أن تغل الحكومة يدها عن تنظيم الاقتصاد ، لتنطلق يد الاقلية الثرية الرأسمالية الاقطاعية ، فى اغتصاب الاقوات واستعباد الاغلبية الساحقة العاملة تقدم جهدها ورمقها بأبخس الاثمان للقلة المسيطرة دون أن يكون لها حق فى المطالبة بحقوقها المهضومة ، وهى مع ذلك مضطرة تحت تأثير الخوف من التشريد والتنكيل ــ الى انتخاب جلاديها ومصاصى دمائها .

هذه هى الحرية فى الديمقراطية الزائفة ، حرية القلة فى استعباد الكثرة ، حرية مهيضة الجناح ، لا جناح اجتماعى لها يعطيها توازنها وعدلها .

فلو أن الشعب أعطى الحكومة حق توجيه الاقتصاد بما يمنع استرقاق الانسان وظلمه لأخيه الانسان ، ولو انه كان للديمقراطية السياسية ، ديمقراطية اجتماعية تتمثل فى الاشتراكية لتوافرت ضمانات حرية الرأى والتعبير ، ولاختفت الضغوط الاقتصادية ، فتحققت الديمقراطية الاصلية . وهذا هو ما يفسر لنا حتمية الحل الاشتراكى للقضاء على احتكار المال للحكم واستعباده للشعب ، وتسخيره وتخويفه لقوى الشعب العاملة ، فلا حرية سياسية بلا حرية اجتماعية ، ولو رجعنا الى روح نصوصنا الدينية لازددنا يقينا من أن المساواة السياسية والاجتماعية وجهان لعملة واحدة هى الحرية .. هى سيادة الشعب .

الديمقراطية الزائفة تحتضر :

لنا أن نتصور كيف كانت خيبة أمل جنود الحربين العالميتين الاولى والثانية ، حينما عادوا من ميادين القتال ، يطالبون بالاعالة والعلاج والمأوى والعمل ، فيفاجئون بالخرافة التقليدية : « ان الديمقراطيةعقيدة وايمان وليست خبزا وزبدا » . وهم على فقرهم وقصر باعهم عاجزون عن الوصول الى الحكم لتغيير هذه الديمقراطية الزائفة التى تفرض على الشعوب أن يكونوا وقودا لحروب تشعلها الرأسمالية ، دون أن يكون لها أى حق من الحقوق الانسانية .

فكان لا بد للشعوب أن تكفر بديمقراطية باطلة عاجزة ، وكان لا بد لها من البحث عن وسائل أخرى للحكم .. فماذا حدث ؟ تمخض البحث عن أسلوبين كل منهما أكثر شررا من الآخر :

١ — فى ألمانيا ، تم التسليم بعد الحرب الاولى ، بحكم الدكتاتور الفرد المستبد الذى تمثل فى الحكم النازى ٠٠ وبعد الحرب العالمية الثانية استسلم الشعب الى الانحلال والتفكك السياسى الذى فرضه عليه الاحتلال ٠٠ ولم يعد يهتم بالسياسة ٠

٢ — فى المعسكر الشرقى ظهرت بعد الحرب الاولى دكتاتورية طبقـــة البروليتاريا ٠

وتعبث الديمقراطية الزائفة فى دول الغــــرب وفى الدول الواقعة تحت تأثيرها ٠٠ كالسوس تعمل على هدمها مهمـــا بدت مزدهرة ، فسوف تتمخض الايام عن كبـوة لا تستفيق منها ٠٠ فها هى أمريكا — الولايات المتحدة الامريكية ٠٠ التى يبلغ تعدادها ٢٠٠ مليون مواطن ، يحكمهم ٦ ملايين يهودى ، يواجهون بسياستها السوداء نحو العدوان والدمار والاتجـاه الى الحروب ، يقـودونها بوازع نفســانى لا شعورى ، أساسه الاسقاط والتعويض — للسير على الخط الذى وصل بهتلر ودولته الى الفناء ٠

وليس أدل على ذلك من أن « جونســون » رئيس الولايات المتحدة الحالى قد صرح لبعض العرب قبيل انتخابه بأنه مؤمن بعـــدالة قضية العرب ، ولكنه يقيم الوزن الاكبر لعدد الاصوات التى سترفعه الى كرسى الرياسة ، وهى يهودية بالطبع ، لان اليهود هم ملوك المـــال فى أمريكا ، والمال وحده هو صاحب الكلمة وصاحب الحكم فى الديمقراطية المزيفة ٠

ديمقراطية ماقبل الثورة :

ولعل أقوى صفعة منيت بها الديمقراطية الزائفة هى التى نالتها من مصر الثورة ٠٠ كانت قد غرست فى مصر بدستور ١٩٢٣ ديمقراطية من نفس النموذج الذى كفرت به الشعوب الاخرى ٠٠ بل كان أسوأ مثل ٠٠ ديمقراطية كفلت حرية كل من هب ودب فيما عدا الشعب :

- حرية الاستعمار وجنوده وأعوانه من الخونة المصريين ، وكان من الخطأ أن نتصور — كسعد زغلول — أنه يمكن أن تقوم ديمقراطيـــة سليمة بدون اجلاء الاستعمار عن أرضنا الطيبة ، وتطهير صفوفنا من طابوره الخامس ٠
- حرية الاقطاع الذى يرث الارض ، ويستعبد ما عليها من ثمر وبشر

فى حشو خزائنه بالذهب وحمله على الاكتاف الى صناديق الانتخابات ثم كراسى الحكم • فكان لا بد من قوانين الاصلاح الزراعى لاسدال الستار على تلك المأساة •

- حرية الرأسمالية فى احتكار موارد الثروة واستنزافها قسمة مع الاستعمار نظير اطلاق يدهم فى الحكم والاستئثار به وتوجيهه لمصالح الحلف غير المقدس شأنهم شأن الاقطاع فكان لا بد من قوانين يوليو عام ١٩٦١ الاشتراكية •

- حرية الرجعية والنفعية والوصولية من أذناب الاستعمار والاقطاع والرأسمالية لاضعاف الجيش وجعله وسيلة لقمع الشعب متى ارتفع له صوت ثائر ينادى بالاصلاح وبالعدالة الاجتماعية ، فكان لا بد من تقوية الجيش ماديا ومعنويا ليرتفع الى مستوى الواجب الوطنى نحو الديمقراطية السليمة فى الداخل والخارج •

- حرية الاحزاب فى تفكيك وحدة الامة ، وتفتيت الرأى العام واثارة الضغائن والاحقاد وتوارث الثأر جيلا بعد جيل ، فكان لا بد من الغاء الاحزاب وضم قوى الشعب العاملة فى وحدة واحدة ، فى تنظيم سياسى واحد يشمل العمال والفلاحين والجنود والمثقفين والرأسمالية الوطنية •

وبذلك تتوافر جميع الضمانات الحقيقية لايجاد الديمقراطية السليمة • ولذلك جاء ترتيبها فى التنفيذ آخر مبادىء الثورة الستة كما نص عليها الميثاق فى الباب الاول منه •

أما ديمقراطية ما قبل الثورة ، فلم تكن الا ديمقراطية الشعارات الدستورية الرنانة الجوفاء ، دكتاتورية فى مسوح ديمقراطية ، الشعب رصيده فى البرلمان أصفار .. لاضماد لجراحه ، وما هى الا مظهر من مظاهر المدنية ، ومكياج التهريج السياسى والاغتصاب الاجتماعى الذى تزاوله الدكتاتورية الطبقية .

خصائص الديمقراطية السليمة .

بعد الايضاح الماضى يمكننا أن نحدد معالم الديمقراطية السليمة فى النقاط البارزة الآتية :ـ

١ ـ الديمقراطية الاجتماعية ـ أى الاشتراكية ـ شرط أساسى

لوجود الديمقراطية السياسية متحررة من أى ضغط للاقطاع أو رأس المال المحتكر المسيطر ·

٢ ـ لا حياة للديمقراطية مع وجود الاستعمار أو نفوذه أو أذنابه ·

٣ ـ لابد للديمقراطية من جيش يؤمن الشعب ويحمى الحرية من أى ضغط خارجى ·

٤ ـ لابد للديمقراطية من اختفاء الحزبية التى تصرف الشعب عن الأهداف العامة الى أهداف ذاتيه فرعية ، ومسالك جانبية تستهلك طاقاته ، وتبدد جهوده ، وتشغله فى معارك داخلية عن مواجهة التحديات الخارجية المتمثله فى العدو المشترك ، والتحديات الداخلية الممثلة فى معركة الانتاج لحل المعادلة الصعبة ·

٥ ـ ديمقراطيتنا تكفر بحكم الفرد وحكم الطبقة أى طبقة .. وفى ذلك قال الميثاق : « ان عمق الوعى الثورى أبى أن يسلك سبيل دكتاتورية عسكرية » ·· وقال : « ان العمل الوطنى كله ، وعلى جميع مستوياته ، لا يمكن أن يصل سليما الى أهدافه الا بطريق الديمقراطية » ·

٦ ـ ان النقد والنقد الذاتى البناء هو عماد الديمقراطية السليمة وهو العامل البديل للمعارضة ، الذى يقوم مقام الاحزاب ويلغى ضرورتها فى نظم الغرب .. وفى ذلك قال الميثاق : « ان ممارسة النقد والنقد الذاتى يمنح العمل الوطنى دائما فرصة تصحيح أوضاعه وملاءمتها دائما مع الأهداف الكبيرة .. ان أية محاولة لاخفاء الحقيقة أو تجاهلها ، يدفع ثمنها فى النهاية نضال الشعب » .

والنقد والنقد الذاتى من أفضل القيم التى تميز بها الاسلام .. قال أبو بكر : « أطيعونى ما أطعت الله والرسول » ·· وقال عمر ابن الخطاب : « أخطأ عمر وأصابت امرأة » .. وقال أيضا : « الحمد لله الذى جعل من المسلمين من يقوم عمر بحد السيف » .. فالنقد اقرار لمبادىء الدين الحنيف والتزام بها .. وضمانات حرية النقد مكفولة واحتساب احتمالات الخطأ فى النقد مقدرة ضمانا لايجابية النقد وظهور القيادات المؤمنة البناءة ، فالشريعة الاسلامية تقول : « من اجتهد وأصاب فله أجران · ومن اجتهد وأخطأ فله أجر » ·· وضمانات الحرية فى الميثاق كثيرة :

« ان الحرية للانسان الفرد هى أكبر حوافزه على النضال .. ان

العبيد يقدرون على حمل الأحجار .. أما الأحرار فهم وحدهم القادرون على التحليق الى آفاق النجوم .. الانســان الحر هو أساس المجتمع الحر » .

٧ ـ « ان الديمقراطية السليمة بمفهومها العميق تزيل التناقض بين الشعب وبين الحكومة حين يحولها الى اداة شعبية » .. معنى ذلك أن ديمقراطيتنا تتجه الى أن تكون أداة شعبية ذات سلطة فوق الحكومة، تهدف لتطويرها لتكون فى خدمة الجمــاهير وليست متعالية عليهـــا أو منعزلة عنها .

٨ ـ تقوم ديمقراطيتنا على تحالف قوى الشـــعب العاملة على أساس الأشخاص والعناصر لا الأحزاب . ومن ضماناتها ما يأتى : ـ

١ ـ مبدأ حماية العمال والفلاحين بشرط حصولهم على ٥٠٪ على الأقل فى كل المجالس .

٢ ـ منح المجالس الشعبية سلطة فوق سلطة الأجهزة التنفيذية .

٣ ـ تكوين الجهاز السياسى .

٤ ـ تطبيق مبدأ القيادة الجماعية .

٥ ـ زيادة فاعلية التنظيمات الشعبية والتعاونية والنقابية .

٦ ـ فرض المفاهيم الثورية على الحدود التى تؤثر فى تكوين المواطن الثائر وخاصة فى مجال التعليم والتربية ، ومجال تعديل القوانين واللوائح حتى تصير مرآة صادقة تعكس صور وآمال المجتمع الجديد .

وأخيرا فان الديمقراطية السليمة بأجلى صورها الممكنة تتحقق فى مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى العربى وفى الوحدة والمؤسسة الجماهيرية ، حيث تتجمع القاعدة الشعبية قطاعات تتحول الى مجالس أمة وبرلمانات ، بها لكل مواطن نزيه رأى حر ، وارادة حقيقيـــة ، ينقد ويوجه ويراقب أجهزة الحكم والادارة والانتـــاج .. وتصـــدر القرارات فتأخذ طريقها متجمعة نحو التنفيذ تعبيرا عن مجموع الارادة الشعبية .

هذا وقبل أن نختتم الحديث عن الديمقراطية ، أحب أن أنوه الى أن طابع الديمقراطية السليمة الصادر عن الثورة العربية بدأ يأخذ طريقه الى التطبيق فى المنظمات الدولية : الاقليمية والعالمية ، وبدأت تواجه فى

عناد ضغوط القوى الاستعمارية العسكرية والسياسية والاقتصـــادية . بمبادىء الحق والعــدل وعدم الانحياز والتعايش الســلمى ليزداد عـــدد المتحررين من سيطرة القوى المستعمرة المتحكمة فى المنظمات الدولية .

ومازال أمامنا الكثير لتحقيق الديمقراطية السليمة محليا ودوليا ، وعماد النجاح فى هذا وعى الدعاة الاشـــتراكيين وصـــلابتهم وايمانهم وطموحهم .

◆ مشكلة التنمية الاقتصادية

ما من دولة نامية تحررت من الاســـتعمار حـديثا ، الا ونواجه مشكلة التنمية الاقتصادية .. والجمهورية العربية المتحدة احدى هذه الدول التى تجابه المشكلة فى عزم واصرار لتوسع نطاق التطبيق الاشتراكى الى أبعد مدى .

ويختلف ثقل وزن المشكلة تبعا لحجم موارد الدولة : ان كثرت مواردها وكانت قيمة هذه الموارد مرتفعة .. خفت المشكلة .. وان قلت الموارد وانخفضت قيمتها .. زادت المشكلة تعقيدا .

ومن المؤسف أننا دولة من النوع الثانى .

ولكن هل يثبط هذا من همتنا .. أو يفل من عزيمتنا ؟

وهل تدعونا قلة مواردنا الى التخـــاذل والتقاعس ، والقعود على رصيف الحياة ، نقنع من الغنيمة بالتفرج على مواكب الدول تتسابق نحو التقدم ونحو التنمية ؟

الجـواب لا . شهد الله أننا خير أمة أخرجت للناس ، ويشـــهد التاريخ لنا فى الماضى والحاضر ، بأننا الطاقات البشرية العربية التى سجلت العجائب وأنجزت المعجزات .. وسوف نكون فى مســـتقبلنا أكثر صلابة ، وأكثر تصميما لنعوض ما فات ونلحق بالركب .. ثم نحوز قصب السبق ، من أجل رفاهية الشعب ورخائه وحريته .

وتتلخص مشكلة التنمية فى موازنة الموارد بالاحتياجات .. مع احتساب الاحتمالات وتقدير الحد الأمثل للانعاش الاجتماعى المتدرج ، وتنفيذه تحقيقا للكفاية والعدل واقالة المجتمع من وهدة التخلف .

التنمية هى أن نشبع بمواردنا المحدودة ــ احتياجات الأنفاس التى تتردد حاليا .. بالاضافة الى ما تلده البطون من أفواه وأجســـام وعقول تتطلب المزيد من الغذاء والكساء والعلاج والعلم والمأوى والعمل .

وهذا يقتضى المزيد من الخبز والمنازل والمدارس والجامعات والمصانع والمستشفيات والمطابع والمواصلات ، والخدمات من كل نوع فى كل فرع .

والجيل الوليد لا يقنع كالجيل التليد بالقليـــل .. انه يريد أن يســتمتع بالعــدل والكفاية أيضــا طبقا للمبادىء الاشـــتراكية التى رضع لبانتها .

ولهذا نجد أن كل تقدم فى التقـــدم يولد من المشكلة مشكلة . حقا انها مشكلات لا تقل خطرا عن مشكلات التخلف ، ولكنها حلوة المذاق ،

للجهود التى تبذل فى مواجهتها طعم أشبه بالجهد الممتع الذى يحس به الرياضى .. ويتميز بحتمية الحصاد ، وبأن لكل مجتهد منها نصيبا عادلا .

ان التنمية فى الحقيقة ما هى الا معركة ضد التخلف .

ومما يزيد المعركة ضراوة وقسوة وصعوبة أن تبدأ معركتنا ضد التخلف من التخلف ذاته .

التخلف واقتصاد ما قبل الثورة :

أقبلت الثورة تحمل لواء العدالة الاجتماعية .. وتبشر الملايين من المحرومين بمجتمع الكفاية والعدل .. يحدوها الامل بأن تلحق مصر فى ٣٠ عاما على الاكثر بالدول التى سبقتنا ١٠٠ عام فى مجالات التقدم والقوة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . ورفع مستوى المعيشة للشعب .

وكان لابد لذلك من قاعدة اقتصادية تبنى عليها صرح التقدم والتنمية المقصودين .. لابد من موارد تستثمر .. فماذا وجدت ؟ هل نذكر ؟

وجدت الشئون الاقتصادية فى حالة من الاضطراب والفوضى والانهيار .. لا سياسة اقتصادية مرسومة لتواجه الزيادة المطردة فى عدد السكان . المشروعات الزراعية والصناعية والتجارية مهيأة للنفع الخاص لا العام .. بعض الموارد قد استنزفت وبعضها معطل دون اعداد للاستغلال .. الارتجال والفردية والانعزالية هى الطابع السائد على مظاهر الحياة الاقتصادية العامة فى البلاد .. لا سياسة مرسومة للقطن الذى كان عماد الثروة الرئيسى للبلاد ومصدر دخلها من الاسترلينى .. كما وجدت اسرافا وفسادا واستغلال نفوذ ضاربا أطنابه فى كل مكان .. وتضخما فى المصروفات العامة بفعل نهب الاقطاع وسلب الاحزاب وتوابعه .. وميزانية مختلة تلاشت منها الاحتياطات الحرة .. وعجزا قدرة ٣٨ مليون جنيه فى الميزانية العامة للدولة .. وديونا نشأت عن حرب فلسطين .. هذا عدا ما تلا ذلك من تهريب العناصر المضادة للاموال وما دبره الاستعمار وأذنابه من مؤامرات مصرفية ومالية لعرقلة التقدم ، والابقاء على خصائص التخلف التقليدية فى مصر والتى تتلخص فيما يلى : ـ

أ ــ ركود ألانتاج وضعف الخدمات كما وكيفا .

٢ ــ الظلم الاجتماعى ، وعدم اتاحة عدالة التوزيع .

٣ ــ سيادة المصالح الطبقية ، والانتفاعات انفردية ، وامتيازاتها .

٤ ــ اشاعة التواكل والسلبية والارتجال فى أساليب العمل والحياة .

٥ ــ ما يترتب على ذلك من جهل وفقر ومرض وذل وصراع .

ولقد كان هذا التخلف حالنا ، وذاك ما يراد لنا ويراد الى اليوم بنا .. فهل تتغلب ارادتهم ؟

لا .. هم يريدون ، والشعب يريد ، ولا بد أن تتغلب ارادة الشعب ، لأن ارادة الشعب من ارادة الله .

وماذا يريد الشعب ؟

يريد الاشتراكية .. وبمعنى أوضح « الكفاية والعدل » وبتحليل أوسع :

أولا ــ الكفاية :

هى زيادة الانتاج عموما من السلع والخدمات ، بالحجم ، والدقة، والسرعة ، والجودة ، التى تشبع حاجات الجماهير وأذواقهم ، وبالقدر الذى يفى بمستلزمات مضاعفة الدخل فى الفترة الزمنية المحددة .. وهذا بالطبع يحتاج الى عنصرين هامين :ــ

١ ــ موارد

٢ ــ سلوك

١ ـ **أما الموارد** : فهى كما رأينا محددة : ــ

(أ) ثروة زراعية بعثرها الارتجال ، من رقعة زراعية لا تمسها يد الاصلاح بزيادة ، ذات تربة مجهدة ، وفلاح جائع متداع مريض ذليل ، يستخدم نفس الادوات الزراعية التى كان يستخدمها شعب مينا وخوفو ورمسيس .

(ب) ثروة معدنية متواضعة أغلبها من محاجر وأقلها من مناجم وآبار .

(جـ) صناعات تحويلية ضعيفة متضاربة يعوزها التخطيط التكاملى .

(د) قوى محركة أغلبها معطل .

(هـ) قناة تتسرب رسوم العبور فيها الى لندن وباريس .

هذه هى مواردنا فى ساعة الصفر المطلوب منا أن نستثمرها فى انتاج سلع وخدمات جيدة تشبع رغبات الشعب وأذواقه بما يعوضه عن قرون الحرمان وكأنما المطلوب أن « نخلق من الفسيخ شربات » على رأى المثل ... اذا كان ولا بد فلنجرب العنصر الآخر ، وهو السلوك .

٢ — **السلوك :** وهو على نوعين :

(أ) **الاجبارى :** على شكل وسائل قاسية فرضتها دول أخرى مضطرة لتجتاز مرحلة الانطلاق ، وتخفف من حدة مشكلة التنمية .

ونعرض من هذه الوسائل : —

١ — فرض تحديد النسل .

٢ — تحديد الدخل السنوى لكل فرد خلال سنوات التنمية .

٣ — الحد من الحريات العامة المتعلقة بالانفاق .

٤ — أساليب دومية أخرى .

لكن ثورتنا ومبادئها وقادتها وشعبها يأبون أن تكون وسائل الدم والجبر والاكراه ، محاور عملية تقوم من أجل سعادة البشر ورفاهيته وهذا الاباء أدعى الى تحكيم المنطق ، وتأكيد الشعور بالمسئولية لدى الافراد والجماعات .. اذن لا بد من ايقاظ سلوك تلقائى يعتمد على ضبط النفس ، والحوافز القومية الجماعية ، والشعور بمسئولية الفرد نحو نفسه وأهله وذويه وقومه ووطنه ، والايمان بأن تلقائية السلوك الاشتراكى مهما كانت ضغوطه الذاتية ، أمتع ألف مرة من وسائل قد تضطر الدولة لاملائها علينا اذا تمادى أغلبنا فى سلبيته وعدم احساسه بالواجب الاجتماعى .

(ب) **التلقائى :** ويتلخص السلوك التلقائى فيما يلى : —

١ — مضاعفة كل فرد لجهده فى رفع كفايته الانتاجية .

٢ — اهتمامه بخفض نفقات تكلفة ما ينتجه وما يستطيعه مما لا ينتجه .

٣ ـ الاستفادة من كل لحظة فى وقت العمل لصالح الانتاج .

٤ ـ مراقبة نفسه ودفعها الى تخفيف حدة الاستهلاك فى كل شيء .

٥ ـ مقاومة الاسراف فى ذاته وفى مجالاته العملية والمعيشية .

٦ ـ الادخار ما أمكنه .

٧ ـ تنظيم النسل والدعوة اليه .

والا فان طريق الكفاية يصبح حلما بعيد المنال ، ويصبح الامل العريض فى ايجاد مجتمع الرفاهية والرخاء والاستقرار الاقتصادى والنفسى مجرد أغرودة عذبة المنى ، طالما لا تتطاول اليها الجهود .

ثانيا : العدل :

والشق الثانى من الاشتراكية الذى يريده الشعب هو العدل .. جوهر قيمنا الروحية والخلقية وروحها .. والعدل فى مجتمعنا وطبقا لمبادئنا شق الاشتراكية الثانى وهدفها .. والعدل مرتبط أشد الارتباط بالكفاية ، الكفاية مقدمة وسبب .. والعدل نتيجة الكفاية .. نتيجة التنمية والتقدم .. فنحن لا يمكننا أن نتصور عدلا يقوم بدون عدالة فى توزيع السلع والخدمات وهل تتم عدالة التوزيع بدون القدر اللازم من هذه السلع وتلك الخدمات ؟ ان وجود مادة التوزيع بوفرة شرط أساسى للتوزيع نفسه ، والا عدنا لحالة ما قبل الثورة نوزع لا شيء ، ونقول « المساواة فى الظلم عدل » وغير ذلك من المفاهيم الحرمانية الجوفاء التى لا تنسجم مع طبيعة الثورة وجوهر الاشتراكية .

لقد وصلنا اذن الى أن التنمية هى باب العدل ، وأن التقدم الاقتصادى هو كلمة السر الموصلة الى رحاب الاشتراكية ، وأن التقدم والاشتراكية صنوان لا وجود لاحدهما بدون الآخر ، كما أنه لا وجود للاشتراكية مع التخلف .

ان سحق التخلف يحتاج منا فى المرتبة الاولى ـ الى ايمان قوى بالوطن ، وبحق المواطنين ، فى أن تتجه أعمالنا جميعا لخيرهم ومصالحتهم .

ان سحق التخلف يحتاج أيضا الى جهود جبارة منظمة مقننة فى عمليتى تخطيط الانتاج وتخطيط التوزيع .. ثم ان نجاح أية خطة يتوقف على مدى المساهمة الجماعية التى يبذلها الشعب فى تدعيمها

وتعلية بنيانها وحفنها بالجهود والامكانيات من كل نوع .. وخطتنـــا جديرة بكل تأييد ومساندة وبذل ، لانها تقوم على فلسفة اجتماعية ذات أهداف فاضلة وغايات نبيلة .

فلسفة الخطة :

ترتكز خطة التنميه أصلا على الفلسفة الاشتراكية العلمية العربية التى تعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص بين الجميع. وتتميز خطتنا بأنها تعمل وفقا للمبادىء الآتية : ــ

١ ــ العمل من آجل المجموع :

أى مجموع ؟ المجموع العــددى ، أو المجموع الفئوى ؟ .. ان البشر يتفاوتون فى الامكانيات والقدرات والخصائص العقلية والعضلية والنفسية ، كذلك فى الظروف البيئية وما يترتب على ذلك من خيرات ومكتسبات علمية أو مهنية .. وظروف اقتصادية .. ومن ثم فان اهتمامات الناس وتطلعاتهم واحتياجاتهم تختلف بين فرد وآخر ، وبين فئة وأخرى ، تبعا لمــا تقدم من اختـــلافات فى الظروف ــ مما يجعل التخطيط من أجل المجموع العددى أمرا مستحيلا وخاصة فى مجتمع تتباعد فيه الفواصل بين الطبقات وقدراتها واحتياجاتها حتى لتصــبح مصالح وتطلعات طبقة ظلما وعبودية لغيرها من الطبقات . لذا فان التخطيط الموضوعى الذى نسير عليه يضع احتياجات الطبقة التى هى أقل عددا ، وأكثر ثراء متأخرة فى سلم الاهمية ، ويقدم عليها احتياجات الاكثرية الفقيرة ، تحقيقا للعدالة الاجتماعية .

٢ ــ الالتزام بالقيم الروحية والضوابط الاجتماعية :

لسنا فى حاجة الى تكرار القول بأن الاشتراكية هى أساس الخطة وهدفها ، وأن الاشتراكية نفسها سلوك دينى قائم على العدل الذى هو جوهر الاديان ، وهدف الشرائع وغاية القوانين ، وقصد الاعراف والتقاليد ، وغيرها من الضوابط الاجتماعية النبيلة التى تحكم خطة التنمية ، تماما كمــا تحكم سلوك أفراد مجتمعنا الذى يعتز أيما اعتزاز بتراثه الدينى والثقافى والحضارى .

فالالتزام بالدين وما يمت له من السنن والضــوابط الاجتمـــاعية المذكورة بصلة هو الطابع الأصـــيل اللازم للخطة ، سواء فى التمــويل

والانفاق ، أو في الانتاج والخدمات ، والحديث في ذلك يطول ، ويتسع ليصل الى أن كل قرش يرد الى خزانة الدولة حلال ١٠٠٪ سواء من الخارج أو الداخل لا أثر فيه لاغتصاب أو استعمار أو تجارة محرمة ، ومن المعروف أن دولا تاريخية أو معاصرة ، اعتمدت في مصادر ايراداتها بصفة أساسية أو ثانوية على القرصنة والنهب والدعارة والقمار وغير ذلك من المحرمات٠٠ ولعل ممـــا يثير الطبقة التى هى أقل عددا وأكثر ثراء أن خطة التنمية استلزمت أن تتضمن الحد من الاسراف ومن ثم منع تسرب أموال الشعب لتنفق على موائد الميسر في باريس وحجور غوانى فينيسيا والريفييرا .

ان الاسراف الوحيد الذى نبسط يدنا به هو في حشد شـــباب المسلمين من مشارق الارض ومغاربها ٠ والانفاق على عشرات الالوف منهم، بعوثا اسلامية ٠ في معاهد الازهر ليعرفوا حق المعرفة أصول دينهم ، ثم يعودوا الى أوطانهم أكثر ما يكونون قدرة على نشر دين الحق ٠٠ والحق أن مصر ذاتها بل العـــالم كله ــ لم يعرف حكومة اهتمت بواجبها نحو التبشير بالرسالة المحمدية بنفس السـعة والدرجة والتنظيم والاغداق ــ الذى تفعله حكومة الثورة ٠٠ سواء بالبعوث الوافدة ٠٠ أو المرسلة ٠٠ أو بوسائل الاعـــلام البصرية والسمعية ٠٠ أو بنشر المسجلات وملايين المصاحف وتوزيعها على أقطار الارض ٠

وما يقال عن التمويل والانفاق ٠٠ يقال عن الانتاج وعن الخدمات ٠٠ وما التعليم والعـــلاج والمرافق والاسكان والنقل والمواصلات ، والاعانات والمساعدات ٠٠ ما هى آلا تطبيقات لاشاعة الرخاء ، وتنمية القيمة الجوهرية للانسان الذى فضله الله على سائر المخلوقات ، وأمر برعايته والاحسان اليه ٠

٣ ــ التحديد الزمنى الأمثل :

لقد روعى فى تصميم خطة التنمية الاقتصادية أن تتم مضاعفة الدخل في عشر سنوات اعتبارا من عام ١٩٦٠/١٩٦١ دون اللجـوء الى اجراءات عنيفة تتضمن أي نوع من الحرمان بالنسبة للطبقة التى طال أمد حرمانها٠ وعلى العكس من ذلك ، راعت الخطة أن يوزع العائد من الخطة بالعدل أولا بأول على هيئة فائض أرباح سنوية للعمال ٠٠ أو تحسين في نظام الاجور وحدودها الدنيا ٠٠ أو في شكل تأمينات وخدمات اجتماعية وتجنب مايلجأ اليه الغير من خطط قصـيرة المدي ٠٠ ضيقة الافق ٠٠ لا تصـــل الى

استئصال علل التخلف ·· الا بمقدار ما يصل اليه الاسبرين من تسكين وقتي يقصد به مجرد الضحك على ذقون الشعب وتعبئة تأييده فى لحظات معينة ·· أما خطة التنمية المصرية فقد جمعت بين الحسنيين ، قصر المدى: لان البطون الجائعة ، والأيدى العاطلة ، كان لا بد من اشباعها وتشغيلها بعد حرمان وبطالة ·· وبعد المدى : لحل مشكلات التخلف حـــلا جذريا وبالبعدين معا يتوافر كل من البناء والعلاج معا ·

٤ ـ الاستغلال الأمثل للموارد :

ومما يزيد الاعتزاز بخطتنا ومساندتها ـ أنها تستغل كل خردلة من مواردنا المـــادية ·· وكل أداة من الادوات الفنية ، وكل خلية من قوانا البشرية ـ استغلالا أمثل نافعا لخير الناس واسعادهم ·· وتطور المجتمع، سعيا لاقامة المجتمع الديمقراطى الاشتراكى عالى البنيان ، وطيد الاركان·· فالخطة قائمة على مواءمة متوازية بين القوى الثلاث : المـــادية ، والفنية والبشرية ·

الموارد المادية :

يتم التحكم فيهـــا بقصد الـكفاية الاستهلاكية المحلية لسد ثغرات الحرمان من المواد والسلع والخدمات ذات الأولويات بالنســـبة للسواد الأعظم من الشعب ·· ثم تصدير ما يفيض ·· أو ما يمكن الاستغناء عنه، للحصول على نقد أجنبى وسلع أهم وأنفع ·

وعملا على استغلال **القوى البشرية** استغلالا أمثل لصـــالح التقدم والانتاج ، جرت دراسات دقيقة متشعبة سكانية من حيث توزيعات النوع والسن والعمل ، وصار توزيع المنشـــآت والمشروعات الصناعية والعلمية والصحية والاقتصادية والتعاونية طبقا لهذه الدراسات وتلك الاحصائيات وطبيعة الأقاليم : ريفية أو حضرية ، زراعية أو صناعية ، مزدحمة أو أقل كثافة ·· الخ ·· هذا ونحن نستعين بالحلول التجريبية المحلية والعالمية·

وبالرغم من توالى التحديات الخارجية التى يقيمها حولنا الاستعمار وأعوانه ، والتحديات الداخلية التى تتمثل فى مواريث التخلف من جهة ومشاكل التقدم المتجددة من جهة أخرى ، فقد أمكن الخطة أن تقف صامدة بمختلف عناصرها ·

الانتاج القومي : من سلع وخدمات ، يندفع الى الامام بقدر ما تقدم ،

وتمتصه الأسواق الداخلية والخارجية أولا بأول ، وتطلب المزيد ، برغم أنواع الحصار الاقتصادى ، والمنافسة الدولية فى الأســـواق الأفريقية التى تبديها اسرائيل ومن خلفها الاستعمار .

الدخل :

أى فائض الانتاج يتزايد تدريجيا ، برغم ما يقدم للشعب العامل من تحسينات اقتصـــادية ، وما يطرأ على المنشآت من توسع ٠٠ ويمكن أن يتضاعف الدخل بمضاعفة بذل الجهد ورفع الكفاية الانتاجية ، ومحــاربة الاسراف ، وخفض تكاليف الانتاج ٠

الاستهلاك :

وما أدراك ما الاستهلاك ٠٠ ؟ الاستهلاك هو آفة الدخل العارضة ٠٠ ان كل زيادة فى الاستهلاك يقابلها نقص فى الدخل ٠٠ ومعنى ذلك أن تضخم الاستهلاك يؤدى الى انقراض الدخل ٠٠والحق أن مجتمعنا قد تمادى فى الاستهلاك ، ولكى يرتفع دخل الفرد ، والدخل القومى ، لابد من تخفيف حدة الاستهلاك بدرجة كبيرة ٠

الاستثمار :

الذى هو استعمال المدخرات فى مشروعات التنمية ، يحتاج أول ما يحتاج الى وجود المدخرات نفسها ٠٠ واذا كنا نستخدم جزءا كبيرا من الدخل فى الاستهلاك ، وآخر فى رفع مستوى المعيشة ، فماذا يتبقى من استثمارات لاقامة مشروعات التنمية ؟ قد نلجأ الى القروض ٠٠ ولكنهــا ليست بالحل الدائم والمأمون ٠٠ ان الحل الطبيعى أن تخفف كما قلنا من الاستهلاك ، فينمو الدخل ، وتتوافر للأفراد مدخرات يساهمون بها ـ بأى شكل ـ فى عملية الاستثمار ٠

أهداف خطة التنمية :

لو قلنا ان أهداف الخطة هى الكفاية والعدل بالشرح الذى شرحناه لما كان ذلك راويا لكل عطشان ٠٠ ان العدالة الاجتماعية بمفهومها التطبيقى لخطة التنمية الاقتصادية الاجتماعية المصرية تبدو فى المنجزات التالية : ـ

١ ـ ايجاد فرص العمل لكل عامل :

فقد مجدت اشتراكيتنا العمل ، وجعله الميثاق حقا وواجبا وشرفا ٠٠ ولم تعمل الخطة على توفير فرص العمل فحسب ، ولكن بشروط مرضـية ، وبأجر مساو للعمل يكفل للعامل ولأسرته عيشة كريمة وحدا أدنى من الحياة لا ينزل عن مستواه ، وليس فيه اجحاف لما حصل عليه من علم أو خبرة أو قدرة ٠٠ وقد راعت الدولة تحسين ظروف العمل ٠٠ وحماية العامل من البطالة فأمنته ضدها ـ صناعيا كان أو من عمال التراحيل ٠٠ غير أن ضمان المحافظة على المستوى الطيب من العمالة يحتاج الى جهـود كبيرة لا بد أن يلتزم بها الشعب نفسه ٠٠ فالمعروف أن زيادة السكان لا بد أن يقابلها زيادة فى المصانع وغيرها من المنشآت الاستثمارية ، حتى يمكن استيعاب هذه الزيادة السكانية الجديدة وايجـاد فرص عمل لها وحمايتها من البطالة ٠٠ هذا ويعود بنا مرة أخرى الحديث عن ضرورة رفع الكفاية الانتاجية لمضاعفة الدخل وتخفيف حدة الاستهلاك للحصـول على مدخرات يمكن أن نقيم بها تلك المصانع والمنشآت الاستثمارية الضرورية٠

٢ ـ عدالة توزيع الدخل القومى :

ان رفع دخل الأفراد من الدخل القومى هو غاية الخطة ، والأهم هو أن يكون هذا التوزيع عادلا ، ومادة ذلك هو دخل العمل والانتاج ٠ وأرجو ألا يتطرق الى الاذهان أن وسيلة ذلك هى رفع الحد الأدنى للأجور واجابة المطالب الاقتصادية المتكررة ٠٠ أبدا ٠٠ ان الحقيقة التى يجب أن تتأكد فى عقول الجماهير ونفوسهم وقلوبهم هى أن أية زيادة فى الأجور لا تقوم على أساس زيادة فى الانتاج تؤدى الى ضعف القيمة الشرائية للعملة ، وأن زيادة الانتاج مع بقاء الأجور كما هى ، يؤدى الى ضعف قيمة السلع ورخص ثمنها ٠

اذن فمن الضرورى أن يسير رفع الاجور فى خط مواز لزيادة الانتاج من السلع والخدمات ، وهذا يتطلب أن يسعى كل فرد منا الى زيادة ٠٠ انتاجيته ورفع كفايتها وجودتها ودقتها ٠٠ يستوى فى ذلك ما يصـدر منها الى الخارج لتستطيع منافسة الأسواق العالمية الأجنبية ، وما يستهلك منها فى الداخل ليغنى عن الاستيراد ٠٠ وتستوى أيضا فى ذلك السلع أو الخدمات ٠

هذا هو الأساس الطبيعى السليم الوحيد لزيادة الدخل القومى ودخل الأفراد ، والاحتفاظ بقيمة العملة المحلية والضمان لعدم اختفاء الصغير منها

والا فان الكارثة لن تكون ضعف القيمة الشرائية للنقد المحلى فقط ، وانما نصبح عاجزين عن الاستثمار والتوسع فى العمالة ، فتنتشر البطالة مبتدئة بضعاف الانتاجية ، والشباب المبتدىء ، وكبار السن ، وخريجى الجامعات والمعاهد والمدارس الجدد ٠

ومن صور تحقيق عدالة توزيع الدخل التى تمت بمصر سواء قبل الخطة الخمسية أو خلالها ، وما يستهلك بالطبع قدرا من الدخل ، ويقلل من ايرادات الدولة ويؤثر على الاستثمار ٠٠ ما يلى : ـ

١ ـ تحديد الملكية الزراعية ، وتوزيع الأراضى على الزراع المعدمين ، وغير ذلك مما قضت به قوانين الاصلاح الزراعى ، والاعفاءات المتوالية للزراع من بعض الديون والاستحقاقات الخاصة بالدولة ٠

٢ ـ خفض سعر الفائدة ، وخاصة على القروض والائتمانات التى تمنح لاقامة المشروعات الصناعية ٠

٣ ـ فروق أسعار السلع الضرورية التى تدفعها الحكومة للمحافظة على أسعارها الحالية كما يحدث فى السلع التموينية من قمح وذرة ولحوم وورق وغيرها ٠

٤ ـ فرض الضرائب التصاعدية تبعا لارتفاع الدخول ، مع اعفاء ذوى الدخول المحدودة من الضرائب ٠

٥ ـ اصدار التشريعات الاجتماعية والاقتصادية الاشتراكية كتشريعات العمل ومجانية التعليم ، وقانون تخفيض ايجار المساكن ، والتأمينات الاجتماعية ضد المرض والعجز والشيخوخة وأمراض المهنة والبطالة ٠٠٠ الخ ٠

٦ ـ توجيه رءوس الأموال والأيدى العاملة نحو الأعمال النافعة للشعب ، بالشكل الذى يؤدى الى زيادة العمالة فى القطاعات المختلفة ، والى زيادة الاستثمارات العينية والنقدية الجديدة ، والى تنمية الكفاية الانتاجية بانشاء معاهد ومراكز التدريب والدراسة والمران ، مما يؤدى من ثم الى رفع مستوى معيشة الطبقة العاملة تبعا لما يحصلون عليه من فرص التدريب والعمل ٠

مشاكل التنمية

تلك هى بعض ملامح خطة التنمية : فلسفتها ، وأهدافها ، دعائمها ٠٠ عمل مدروس جاد ، يحتاج الى عمل تنفيذى ، لا يقل عنه جدا ويقظة وحرصا ٠

فان التنمية نفسها تتمخض عن مصاعب ومشاكل جديدة ، تحتاج الى وعى كامل بها وسيطرة تامة عليها ، وكما قلنا فى البداية أن مشاكل التنمية مشاكل عامة ، واجهتها كل الدول فى مستهل خططها للتقدم ، تستوى فى ذلك الدول الشيوعية والرأسمالية والاشتراكية • وأهم هذه المشاكل ما يلى : -

١ - مشكلة السكان :

ذلك أن التنمية من أكبر عوامل زيادة عدد السكان ، مما يؤدى الى التهام حصاد خطة التنمية أولا بأول ، مالم يكن هناك ضبط •

٢ - الاختيار والمفاضلة بين أنواع القطاعات :

أى ترتبها فى جدول أولويات التنفيذ على مدار الخطة ، طبقا لفلسفة الخطة وأهدافها الاجتماعية ، واحتياجات الأغلبية الشعبية ، وطبقا لظروف الأمة الاقتصادية والسياسية ، هذا وان اجادة ترتيب سلم الأولويات مع وعى الشعب به يؤدى الى التفافه حوله وحماسه الايجابى فى تنفيذه •

٣ - زيادة الاستهلاك :

وذلك ينشأ من زيادة القدرة الشرائية للأفراد تبعا لزيادة العمالة ، ورفع الأجور ، وارتفاع مستوى معيشة الطبقات المحرومة ، وهذا يؤدى الى استنفاد جزء كبير من الدخل القومى ، والى ضعف قدرة الأفراد على الادخار ، والى نقص رءوس الأموال المستثمرة ، والى رفع الأسعار •

٤ - رفع الكفاية الانتاجية :

وقد سبق الحديث عنها •

٥ - موازنة المدفوعات :

وسيأتى الكلام عنها بعد •

أولا : **مشكلة السكان :**

تتميز المجتمعات المتخلفة - كأغلب الدول الافريقية والآسيوية ، وبعض دول أمريكا اللاتينيـــة - بتزايد فى عدد الســـكان أكثر مما تزيد به نسبة الدخل القومى والانتاج ويترتب على ذلك بالضرورة تدهور

مستوى المعيشة ٠٠ ذلك لأن هناك سباقا جبارا يحدث بين زيادة الانتاج باستخدام موارد محدودة ، وبين زيادة السكان بشكل غير معقول ٠

وفي مصر أكدت الاحصائيات أن تعداد السكان بلغ ٩ر١٩ مليون نسمة عام ١٩٤٩ ٠ ثم ٢٨ مليونا عام ١٩٦٣ ٠

وقياسا على ذلك يمكن أن نتوقع ما أكده الخبراء من أن تعدادنا سيصل الى ٩ر٣٣ مليونا عام ١٩٦٩ ٠٠ وهناك سببان لهذه الزيادة : أولهما : ازدياد معدل المواليد بمقدار ٢ر١ في الألف عنه عام ١٩٤٩ ، وثانيهما : أن نسبة الوفيات قد قلت بمقدار ٥ر٦ في الألف ٠٠ بفضل مشروعات الرعاية الصحية التى نشرتها الثورة في الريف والحضر ، وبفعل ارتفاع مستوى المعيشة لدى السواد الأعظم من الطبقات العاملة التى كانت محرومة، ولزيادة العمالة ، وانتشار التعليم والتبصير والارشاد الذى تشعه وسائل الاعلام الحديثة ٠

ولقد بلغ معدل المواليد في بعض الدول ضعف معدل الوفيات ، حتى ان معدل المواليد في احـــداها بلغ ٤٢ في الألف في حين ان معدل الوفيات ٢٠ أو ٢٢ في الألف ، فيكون الفرق الصافي زيادة ٢٠ في الألف من عدد السكان ٠

ولا تقابل هذه الزيادة في المواليد أية زيادة تذكر في موارد المجتمع المتخلف ٠٠ وبنوع خاص نجد أن الأرض عاجزة عن أن تسابق بطرحها ما تطرحه بطون البشر من المواليد ٠ مهما قام التوسع الأفقي أو الرأسي في الزراعة على قدم وساق ، علما بأن الأرض تقل انتاجيتها وتشيخ بمرور الزمن ، فانها تحتاج الى جهد كبير من ري وصرف وتسميد للحيلولة دون استنفاد قواها الانتاجية ٠

وهكذا يزداد التخلف تخلفا ٠٠ والفقر عوزا ٠٠ والحرمان بؤسا ٠٠ مالم تقم عملية التنمية بموازنة الانتاج مع حجم النسل ٠٠ ومقدار ما يوزع بعدل من سلع وخدمات على الأفراد ٠

آثار عملية التنمية :

تزداد دخول الأفراد عامة ، ويحصل البعض ـ ممن لم تكن لهم دخول ـ على أجور نتيجة لازدياد فرص العمل ٠٠ فماذا يحدث ٠ ؟

١ ـ زيادة معدل الزواج ومن ثم زيادة معـدل المواليد ٠ فتتفاقم مشكلة السكان ٠

٢ ـ زيادة الخدمات تتضمن زيادة وجودة الخدمات الصحية والتعليمية، فينقص معدل الوفيات ، ويتراكم عدد السكان ، وتتعقد المشكلة ٠٠ فما هو الحل ؟

علاج مشكلة السكان :

التصنيع :

ان تضخم عدد السكان لا يعتبر مشكلة اذا كانت الدولة غنيـــة بمواردها الطبيعية الزراعية والصناعية والمعدنية ، الا اذا افتقرت الى رءوس الأموال اللازمة لاستغلال هذه الموارد وتشغيل الطاقـــات البشرية من سكانها ٠

وعلى ذلك فان طرق العلاج فى هذه الحالة هى :ـ

١ ـ الاســـتغلال الأمثل لمواردنا الزراعية والصـــناعية والمعدنية والبشرية وما يتعلق بالطاقات المحركة ٠ وهذا هو أسلوب الخطة فعلا ٠

٢ ـ التوسع فى الصناعات الاســتهلاكية والتحويلية لامتصـــاص الطاقات البشرية الجديدة وزيادة الانتاج والدخل ، والاكتفاء الذاتى المحلى من هذا النوع توفيرا للعملات الصعبة ٠

٣ ـ تدبير رءوس الاموال اللازمة للاستثمار ، مع تفضيل المدخرات الشعبية عن القروض الاجنبية ، تدعيما للاقتصاد الوطنى ٠٠ وصيانة للاستقلال السياسى ٠٠ وهذا هو الدور المقدس الذى يجب أن يستقر فى موضع الايمان من قلوب الشعب وعقولهم ٠

٤ ـ اكساب الطاقة البشرية مهـــارات وخبرات عالمية لتصبح هذه الطاقة مصدرا من مصادر الدخل القومى سواء فى الاسواق العلمية والفنية الخارجية فى آســيا وافريقية والدول العربية ، أو فى مجـــالات الانتاج الداخلية ٠

٥ ـ انشاء صناعات قوية تعتمد على تنظيم القوى العاملة وتدريبها تدريبا عاليــا ، يكفى لاضافة صناعات جديدة مهما كانت موادها الاولية كلها أو بعضها مستوردا ، وفى هذه الحـــالة يكون العمل نفسه سلعة ومصدرا للدخل ٠

مما تقدم يتضح أن التصنيع هو أهم الحلول الضرورية لمشكلة السكان •

تنظيم الأسرة :

يعتبر تنظيم الاسرة من مشكلات التقدم الصعبة التى تحتاج الى تغيير كامل فى سلوك الفرد عن اقتناع كامل وادراك لحقيقة المشكلة وأبعادها ، وذلك يستغرق جهدا ووقتا طويلين •

ومن الخطأ أن يبذل أى جهد فنى فى تنظيم النسل دون أن يتم اقناع المواطنين بأهميته • والا ضاعت الجهود والاموال هباء •• وأسفرت عن نتيجة عكسية مثلما حدث فى الهند نتيجة العناد ورد الفعل المضاد •• والتبصير هو واجب الدعاة والقادة الاشتراكيين ووسيلة الاقناع بالمناقشة الشخصية المباشرة •

ثانيا ــ مشكلة أولوية القطاعات :

رأينا كيف أن الضرورة أوجبت أن نتجه بكل قوانا نحو التصنيع ليزداد الانتاج أكثر من المعدل الذى يزداد به السكان ، والا فان مستوى المعيشة يتدهور •• لكن •• هل معنى هذا أن نهمل الزراعة ؟

أبدا •• فان اهمال الزراعة يؤدى الى فشل كل الجهود التى تبذل فى التقدم الصناعى • فالدول الصناعية التى لا تعتمد على الزراعة كانت قد ضمنت لنفسها ولشعوبها مزارع فى مستعمراتها تمدها بالمواد الغذائية والمواد الزراعية الأولية اللازمة للصناعة •

أهمية الزراعة :

الاهتمام بالزراعة لا يقل ضرورة عن الاهتمام بالصناعة لما يأتى :ــ

١ ــ تنمية = زيادة دخل = زيادة سكان = زيادة استهلاك عام، ومن المواد الغذائية •

والزراعة هى المصدر الرئيسى للغذاء الانسانى من نبات وحيوان •

٢ ــ نمو الصناعة يتوقف على المواد الاولية ، وعلى استيراد الآلات والسلع الوسيطة • والاستيراد يعتمد على الصادرات المحلية• ومن الواضح

أن صادراتنا الاساسية فى بداية خطة التنمية ، لايمكن الا أن تكون زراعية على الأغلب ، لافتقارنا الى فائض ذى قيمة من الموارد الطبيعية المعدنية ٠

٣ ـ الصناعة تعتمد فى كثير من أنواعها على المواد الأولية الزراعية٠

وسائل تنمية الزراعة :

وكما ان الزراعة تمثل القطاع الاقتصادى الأهم والأكبر من الدخل القومى المصرى ، فهى تمثل أيضا نوع العمل الذى يقتات منه ٦٦٪ من المصريين وهم أهل الريف الذين يتكدسون فى مساحة لا تبلغ أكثر من ٤ر٢٪ من مساحة الجمهورية العربية المتحدة ، بمعدل ٧٠٦ من الافراد فى الكيلومتر الواحد على طول وادى النيل والدلتا ٠٠ ذلك ان المساحة الكلية لارض مصر ٢٢٨ مليون فدان ، لم يزرع منها الا ٦٨ر٥ ملايين فدان حتى عام ١٩٥٢ ٠

وتقديرا لأهمية الزراعة تجرى تنميتها فى الخطة على الاسس الآتية:

١ ـ التوسع الأفقى :

ويعنى زيادة الرقعة المزروعة عن طريق الاستصلاح ٠٠ وقد اقتضى ذلك دراسات كثيرة جرت وما زالت تجرى غيرها فى هيئات متكاملة كثيرة منها : وزارات الرى والزراعة والاصلاح الزراعى ، ومجلس الانتاج ٠٠ وهكذا أمكن اضافة ما يقرب من نصف مليون فدان من الاراضى التى لم تستغل بعد ٠

ولقد خصص للتوسع الأفقى ٦ر٢٦٩ مليون جنيه من الاستثمارات لمشروعات الرى والصرف ، واستصلاح الاراضى على طول الوادى ، والوادى الجديد ، والصحارى والساحل الشمالى بمعدل ١٧٥ ألف فدان سنويا ، ويتضمن ذلك تدبير ٢ مليار متر مكعب من الماء ، ويدخل من بين هذا المبلغ ٤ر٧٧ مليون جنيه لاستثمارات السد العالى وتعويضاته ومشروع تحويل الحياض الى رى مستديم ٠ والمعروف أن السد العالى سوف يمكن من أن تمتد الارض الزراعية الى ٩ر٧ ملايين فدان ٠

٢ ـ التوسع الرأسى :

وهو زيادة غلة الفدان وانتاجيته انتاجا عاليا ٠٠ ويأتى ذلك عن طريق التنظيم الزراعى العلمى الدقيق ٠٠ وتعمل وزارة الزراعة على أن

يصل انتاج الفدان الواحد مرة ونصف مرة ممـا يعطيه الفدان فى الدول الاخرى ·

وذلك يقتضى الاستفادة من كل أساليب الزراعة الحديثة من تسميد، واستنباط سلالات تقاوى ممتازة ، ومبيدات تحمى النبات من الآفات ، ونشر آلية الزراعة ونظمها التى تضاعف الانتاج وتقلل التكلفة وترفع قيمة المحصول وتحسن التربة ·

وقد أدت هذه الجهود بالفعل الى زيادة غلة الفدان بنسبة ٤٪ فى القطن و ٣٦٪ فى القمح ، و ١٧٪ فى الشعير ، و ٥٣٪ فى الارز ، و ١٢٪ فى الذرة الرفيعة ، و ٧٪ فى القصب بالاضافة الى تحسين زراعة الخضر والفاكهة وزيادة مساحتها ، وتنويع الانتاج وتوجيهه الى المحصولات التى تحقق ربحا أوفر ، وبما يوازى الاحتياجات الصناعية والتجارية ·

ولذا فان الخطة قد رصـــدت ١٢٢ر٤ مليون جنيه للتوسع الرأسى لمشروعات الصرف العام · والصرف الحقلى ، وتعديل طرق الرى وغيرها ·

٣ ـ تنمية الثروة الحيوانية :

والثروة الحيوانية ـ فيما عدا البحرية منها ـ ملتصقة بالزراعة ، والعناية بها أمر حيوى لا من الناحية الغذائية العـــامة وحدها ، ولكن بالنسبة لتدعيم اقتصاديات الفلاح ولمضاعفة قدرته على الانتـاج الزراعى فى جو مشبع بالثقة والانتعاش الاجتماعى ·

ولذا عنيت الخطة بتزويده بالسلالات الممتازة من الماشية والدواجن، ونشر الوحدات البيطرية لحماية هذه الثروة من الآفات والامراض ·

٤ ـ تطور الفلاح :

ان تطبيق العلوم الزراعية على الارض لا يعتبر فى حد ذاته مشكلة كبيرة ·· الأعوص منها هو عملية تطوير الفـلاح ذاته ليصل الى مستوى ادراك ما يعود عليه من فوائد نتيجة لتطبيقه أساليب التقدم الجديدة ·

ولقد ظلت الارض ملكا يستأثر بها ، ويتهاداها ، ويتوارثها الحكام الطغاة وأذنابهم وأنصارهم جيلا بعد جيل منذ عهد الولاة الاتراك ، ثـم محمد على وأبنائه ولم يكن يتسرب منهـا الى الزارعين الحقيقيين الا قدر يسير بشق الأنفس ·

وكان الملاك لا يهتمون بتطوير الزراعة علميا وفنيا وآليا ، لان ذلك ينتقص من ايراداتهم شخصيا ، ولا يرون فيه الا مصلحة الزارع نفسه واراحته عضليا ، فى حين أنهم يحصلون على نفس الايراد من الارض بقسر الفلاح وارهاقه وتسخيره والحجز على ماشيته دون ما حاجة الى شراء الآلات الزراعية وما تحتاجه من وقود وصيانة وقطع غيار ٠

اذا أضفنا الى ذلك ان الفلاح ظل محروما من التعليم الفعـال ومن وسائل التبصير والارشاد الاعلامية ذات التأثير المباشر فى تطويره اتضح لنا انه معذور فى جموده ، وانه يلزم لاقناعه مجهود ضخم يسير جنبا الى جنب مع وسائل التنوير العلمية والتربوية والدعائية التى دخلت القرية بطرق مختلفة ٠ وأهم هذه الجهود هى ما يقدم الدليل والبرهان الملموس على امكان حصول الفلاح على انتاج مضاعف وربح أوفر من استخدام بذرة أو سماد أو آلة أو طريقة خصبة فى الزراعة تختلف عما ورثه عن آبائه وأجداده من أساليب وأنماط اطمأن اليها وقنع بها ، ولم يعد من السهل أن يتحول صاغرا عنها الا بالدليل المادى ٠ وهذا دور القياديين ٠ مهمتهم هى اعطاؤه القدوة وحوافز التقليد والمنـافسة العملية المبنية على أصول علمية وفنية زراعية جديدة ٠

أهمية الصناعة :

مما يدعو الى الفخر أن جمهوريتنا العربية قد حققت تجربة رائدة فى مجال التخطيط الصناعى الاقتصادى لم يسبقنا اليهـا غيرنا ٠٠ فالدول التى سبقتنا فى مجال التنمية بدأت تقدمها باختيار واحد من الاسلوبين التاليين :ـ

١ ـ بعضها بدأ بالصناعات الصادرة الى الاسواق الخارجية كانجلترا ٠

٢ ـ والبعض ركز على الصناعات الثقيلة كدول المعسكر الشرقي مثلا ٠

فما تجربتنا ؟

نحن ما ركزنا على هذه ولا تلك ، وانما على الصناعات الاستهلاكية للسوق المحلية ، ولقد أثارت تلك التجربة الفريدة اهتمام خبراء الاقتصاد العالميين الاجانب ٠ واعتبروها نموذجا ثالثا فى عالم الاقتصاد ٠ نبعت ضرورتهـا من الرغبة الثورية الملحة فى تجنيد التقدم لصـالح الشعب واشباعه بعد طول حرمان برفع مستوى استهلاكه ٠

وهناك حقيقة أخرى : وهى أن عدالة التوزيع كانت تتطلب زيادة استهلاك • وزيادة الاستهلاك تتطلب استيرادا من الخارج • ولم يكن هذا مستطاعا ولا مرغوبا فى الوقت نفسه فكان لا بـد من تصـنيع السلع الاستهلاكية محليا •

وحقيقة ثالثة : هى ان اقامة الصناعات الاسـتهلاكية والصناعات الثقيلة معا أمر يحتاج الى رءوس أموال ضخمة لم تكن تتوافر لنا •

وحقيقة رابعة : هى ان الصناعات الثقيلة تحتاج الى نوع من الفنيين على قدر عال من الخبرة والكفاية لم يكن قد تم اعدادهم بعد •

لهذه الظروف مجتمعة تعين علينا أن نتجه بكل قوتنا نحو التصنيع الاستهلاكى ، فنجحنا حتى لم تعد هناك سلعة استهلاكية صناعية هامة لا تنتجها المصانع المصرية • ولم يلهنا ذلك عن اقامة توازن بين الصناعات الاستهلاكية وبين وضع قاعدة ثابتة للصناعات الثقيلة •

وبلغت تكاليف المشروعات فى الخطة الخمسـية الاولى ٥٩٩ مليون جنيه تقريبا، فأقيم ٧٣٣ مشروعا تشمل الصناعات البترولية، والتعدينية، والكيماوية والدوائية ، والغـذائية ، والغزل والنسـيج ، والمعـدنية الاساسـية ، والهندسية ، والصناعات الريفية ، والتدريب المهنى •• والمعملية ، والصناعات التكميلية ••• الخ •

وهذا من شأنه أن يؤدى الى زيادة فى الدخل القـومى قدرها ١٩٠ مليون جنيه ترفع من نسبة مساهمة الصناعة منه الى ٢٨٪ بدلا من ١١٪ • وترتب على ذلك اننا استغنينا عن استيراد سلع كانت تستنفد قدرا كبيرا من ميزان المدفوعات ، بل أصبحنا نصدر السلع نفسهـا لدول كانت تصدرها لنا ، كالغزل والمنسـوجات • أصبحنا نصـدرها الى انجلترا والولايات المتحدة وسويسرا وكانوا هم تجارها •

نتائج التصنيع الاستهلاكى :

ولقد عادت خطة التنمية فى هذا القطـاع على المجتمع بفوائد عدة أهمها :ـ

١ ـ تدعيم المركز الاقتصـادى القومى وصيانته من الانزلاق الى التبعية الاجنبية وضغوطها على توفير جزء كبير من النقد الاجنبى •

٢ ـ تحقيق عدالة توزيع الدخل وفرص العمل ، بزيادة العمالة ، وزيادة الاجور ، وتوزيع أنصبة الارباح والمزايا العينية مما يرفع مستوى معيشة العمال .

٣ ـ تدعيم المركز السياسى للجمهورية العربية المتحدة فى المجال الدولى ، وفى ذلك قال الميثاق :ـ

« ان الصناعة هى من الدعامات القوية للكيان الوطنى ، وهى القادرة على الوفاء بأعظم الآمال فى التطوير الاقتصادى والاجتماعى » .

الصناعات الثقيلة :

الصناعات الثقيلة هى التى تنتج الآلات ، وقطع الغيار ، وسيارات الركوب والنقل ، والجرارات ، والمضخات الآلية ، وما شابه ذلك ، وكذا السلع الوسيطة : كالأسمنت ، والفوسفات ، والمنجنيز ، والسماد ، والكيماويات .

أهمية الصناعة الثقيلة :

انها ذات ضرورة ملحة فى المرحلة الثالثة من الخطة للأسباب الآتية:

١ ـ الصناعة الاستهلاكية تحتاج الى سلع وسيطة ، والى آلات لانتاجها ولا يمكن أن يطول اعتمادنا فى هذه الآلات والسلع الوسيطة على الخارج فيتعرض اقتصادنا وتصنيعنا لتقلبات العلاقات الدولية وأهوائها واهتزازاتها ، فهى تدعم التحرر الاقتصادى .

٢ ـ الاعتماد على استيرادها يلقى عبئا ضخما على ميزان المدفوعات .

٣ ـ الصناعة الثقيلة طاقة هائلة لامتصاص أكبر قدر من الأيدى العاملة ، وضمان الامان من البطالة .

٤ ـ الصناعة الثقيلة وسيلة لاستغلال الطاقة البشرية المحلية التى يتم تدريبها فى الحصول على قدر أكبر من العملة الصعبة عن طريق ما يضيفونه الى المادة من جهد وخبرة .

٥ ـ الصناعة الثقيلة تمكن من استغلال الموارد التعدينية المحلية المعطلة .

٦ ـ الصناعة الثقيلة قيمتها التجارية عالية ، وأرباحها سخية .

٧ ـ الصناعة الثقيلة تخدم تطور وتقدم الانتاج الزراعى ٠

٨ ـ الصناعة الثقيلة تتميز بأنها غير قابلة للاستهلاك المحلى ٠٠ ولذا فان عائدها من النقد الاجنبى أغزر من الاستهلاكية ٠

٩ ـ انتاج الآلات والسلع الوسيطة للصناعات الاستهلاكية محليـا يؤدى الى المحافظة على المستوى المعقول للأسعار والى انتظام الانتاج ٠

ومن هذا ومن غيره ، كانت اقامة الصناعات الثقيلة أمرا حيـويا جديرا من الشعب بالمساهمة والمسـاندة وبذل التضحيـات ، والوقوف بصلابة أمام ما قد يثار من تقولات مفترة للهمم ٠

ومن ذلك ان البعض قد يروج لفكرة استمرار الاستيراد من الخارج، طالما ان الآلات وقطع غيارها هناك أرخص مما سوف يكلفنا ذلك فى الفترة الاولى من التصنيع الثقيل ٠

ان هذه مغالطة واضحة ٠٠ وتعويق خبيث لا يتقول به الا كل عدو لهذا البلد وتقدمه وشعبه ٠٠ قيل ذلك لألمانيا عام ١٨٤٠ حينما لم تكن فى العالم دولة تصنع الآلات وقطع الغيار غير انجلترا ٠٠ فلو أن ألمانيا أبهت لهذه المغـالطة لما صارت على هذا النحو من الشهرة الصناعية ٠٠ وقيل لروسيا فأشاحت عنه ٠٠ وها هى ذى اليوم صاحبة الانتصارات فى سباق الفضاء وغزو الكواكب ٠

ما من شك أن كل خلق يبدأ ضعيفا ويتكلفَ كثيرا فى بدايته ٠٠ ومع النمو والتقدم والاستمرار تزداد الخبرة ٠٠ وتقل التكلفة ، بازدياد الكفاية الانتاجية ويعلو صرح التقدم ٠

ومن المدهش اننا نتخذ من تأخرنا فى التصنيع ميزة لصالحنا ٠٠ ذلك اننا حينما نبدأ التصنيع الثقيل ، نطبق آخر ما وصل اليه العلم والفن الآلى الحديث من وسائل فنبدأ بفن انتاجى حديث يعوض جزءا من ضعف الكفاية ٠

مشكلة الكفاية الانتاجية :

تعريفها :

الكفاية الانتاجيـة هى انتـاج نفس السلعة بكمية أقل من المواد الأولية ، ومن الآلات ، ومن وقت العمل ، وبمعنى آخر فان الكفاية الانتاجية

هى استخدام نفس الآلة ونفس المواد الأولية ونفس وقت العمل فى انتاج وحدات أكثر من السلع • وبمعنى ثالث هى زيـــادة الانــتاج بنفس التكاليف ، أو خفض تكاليف انتاج الوحدة من السلع والخدمات •

وسائل توفير الكفاية الانتاجية : تعتمد على اتباع ما يأتى :ـ

١ ـ التعليم والتدريب الفنى المتخصص عن طريق مراكز التدريب والبعثات •

٢ ـ تقويم العمل وتقويم العمال ووضع العامل المناسب فى العمل الذى يناسب ما اكتسبه من خبرة وعلم وما درب عليه من أعمال •

٣ ـ نشر الوعى العملى والشعور بالمسئولية •

٤ ـ حسن توزيع القوى البشرية العـــاملة على حسب الاحتياجات الفعلية للقطاعات •

٥ ـ تحليل العمل واختصار الحركات التى تستهلك جهـد العامل ولا تدخل فى طبيعة التشغيل •

٦ ـ تحسين ظروف العمل من انارة وتهوية وغير ذلك •

٧ ـ تنظيم عمليات نقل العمال من قسم الى آخر ومن مؤسسة الى أخرى •

٨ ـ ازالة أسباب الشكوى والخلاف وما يؤدى الى تراخى العمال •

٩ ـ تحقيق التفاهم المتبادل بين العمال والادارة •

١٠ ـ الدقة فى تطبيق خطوات الترقى •

١١ ـ صيانة الآلات وادارتها وضبطها •

١٢ ـ التوجيه العلمى الصناعى للعمـل على حسب آخر المكتشفات العلمية •

١٣ ـ الاهتمام بالصحة البدنية والعقلية والنفسية للعمال •

١٤ ـ الرقابة السليمة على المواظبة وعلى حسن اســتخدام العمال للآلات والمواد الخام والوقت •

١٥ ـ حسن استخدام الآلة وعدم تعطيلها عدة مرات فى اليوم ليطول عمرها وعمر قطع غيارها ٠

أهمية الكفاية الانتاجية :

من الاهمية بمكان أن نتذكر المعادلة الآتية :ـ

تقدم أو تنمية = استثمارات + كفاية انتاجية ٠

فان الاستثمارات وحدها لا تصنع التقدم ٠٠ فاذا صادف الاستثمارات انخفاض فى الكفاية الانتاجية أدى الى خسارة وافلاس ٠٠ والكفاية الانتاجية هى التى تحقق خفض التكاليف وزيادة الانتاج فيترتب على ذلك ما يأتى :ـ

١ ـ تخفيف الضغط على ميزان المدفوعات بسبب خفض استيراد المواد الأولية ٠

٢ ـ زيادة رفاهية الافراد بزيادة المنتج من السلع ٠

٣ ـ امكان زيادة الاجور تبعا للزيادة المطردة فى الانتاج ، فقد سبق أن قلنا ان أية زيادة فى الاجور لا تقوم أصلا على زيادة معدل الانتاج ـ تؤدى الى تضخم ٠٠ لانها تعتبر زيادة أجر بلا مقابل ، وبمعنى آخر فان زيادة الاجر دون زيادة فى الانتاج تضيف عبئا على سعر التكلفة ، وهكذا ترتفع أسعار السلعة فى النهاية ، وتصبح زيادة الاجر لا قيمة لها ، ويكون سبب الغلاء هو العمال ضعاف الانتاجية ٠

٤ ـ بناء على البند السابق فان رفع الكفاية الانتاجية يؤدى الى خفض أسعار السلع والخدمات ٠

مشكلة ميزان المدفوعات :

كانت مصر قبل الثورة ـ فى الماضى المتخلف ـ يعتمد ميزانها التجارى من حيث الدخل على زراعة القطن ٠ وكانت تستورد بقدر مايسمح ميزان المدفوعات عن هذا السبيل وكان ميزان المدفوعات مستريحا بل كان يحقق فائضا فى بعض السنوات ٠

وتفسير ذلك بسيط : فالبطالة ، وضعف العمالة ، وقلة الاجور ، وضعف الصناعة وجمود مشروعات العمران ، وانخفاض مستوى المعيشة

بوجه عام ـ كان من شأنه أن يقلل حجم الواردات الا فيمايتعلق باحتياجات البذخ للقلة الضئيلة التى تملك الارض والمال والحكم والسيطرة ٠

وقامت الثورة ، وبدأت خطة التنمية ، فاستوردت الآلات الضخمة ، والآلات الوسيطة والمواد الأولية ، فزاد حجم المدفوعات فى بداية الخطة لمواجهة زيادة حجم الاستيراد من أجل زيادة الانتاج الاستهلاكى ٠٠ يضاف الى ذلك عامل آخر وهو ان عملية التنمية لا تعطى ثمرتها فورا ٠ فالاستيراد يتبعه انشاء المصانع ٠٠ ثم تشغيلها عاما وعامين وثلاثة حتى يتم التوازن بين قيمة الانتاج وقيمة المدفوعات ٠٠ ثم يبدأ بعد ذلك فى التعويض واستمرار زيادة الربح ٠٠ أى ان ما يدفع فى استيراد الآلات يظل معطلا فترة من الزمن حتى يؤتى ثماره وفوائده من الانتاج الذىيصدر الى الخارج٠

ولذلك فانه ما من دولة بدأت فى التنمية الاقتصادية الا وواجهت عجزا فى ميزان المدفوعات يضطرها للاقتراض من الدول الاخرى مهماكانت مدخراتها الداخلية مدعمة ٠٠ ومن هذه الدول انجلترا ذاتها ٠٠ فبرغم ما كان لها من مستعمرات وما تتمتع به من مدخرات فانها لجأت الى الاقتراض من هولندا ٠٠ وتكرر العجز فى ميزان المدفوعات بالنسبة لانجلترا وفرنسا وألمانيا عقب الحرب العالمية الثانية فاضطرت الى الاستدانة وظلت هذه الحالة قائمة حتى عام ١٩٥٤ ٠

وسائل تحسين ميزان المدفوعات :

يتم ذلك باحدى الوسائل الآتية أو كلها مجتمعة :ـ

١ ـ تغطية العجز عن طريق القروض الاجنبية الطويلة الاجل ، على أن تسدد بعد اعتدال التشغيل من فائض الانتاج ٠٠ ولكن هذا الطريق غير مأمون تكتنفه الضغوط الخارجية وتموجات العلاقات الدولية ٠

٢ ـ تنفيذ خطة تقشفية مبنية على تخفيف حدة الاستهلاك بالدرجة التى تجعل المستهلك = المنتج ، والوارد = الصادر ٠٠ على أن يتطور ذلك بحيث تكون الصادرات أكثر من الواردات لتحقيق الرفاهية والرخاء للشعب ٠

٣ ـ زيادة الكفاية الانتاجية عامة ، من الانتاج الذى يصدر للخارج خاصة حتى يصمد أمام المنافسات الاجنبية فى الاسواق ٠

٤ ـ زيادة المدخرات • ولهذا علاقة كبيرة لا بميزان المدفوعات وحده •• ولا بالاستثمارات ، ولكن أيضا بالمحافظة على المستوى اللائق للأسعار•

الادخار وأثره على الأسعار :

الادخار لا ينصب على اقتطاع جزء معين من الدخل الشهرى للفرد وايداعه في المصرف مثــلا •• ان الادخار الحقيقى معناه تخفيف حــدة الاستهلاك بالشكل الذى لا يجعلنا نستنفد كل دخلنا •• أو كل ما ننتجه وما نستورده •• وبهذه الصورة يبقى فائض للتصدير والحصــول على عملات واقامة استثمارات •• ومن ناحية أخرى نوفر قدرا من النقد الذى نلقيه اليوم فى بالوعة الاستيراد •

ولا يقتصر هذا النوع من الادخار (تخفيف حدة الاستهلاك) على الفرد فى منزله وانما ينبغى أن ينطبع به سلوكه فى عمله وفى كل مايتصل به من مجتمعات وهيئات •• وبالنسبة لكل المواد والسلع ، وضروب الاسراف • متمثلا قوله تعالى :

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البســط فتقعد ملوما محسورا » •

ويدخل فى الادخار وتخفيف حدة الاستهلاك ، ومحاربة الاسراف ـ مكافحة الاهمال والتبديد •• ولأهمية هذا العنصر الأخير نشير الى ان الدول المتقدمة كانت تعد الاهمال والتبــديد جريمة وخاصــة فى حالات الحرب والطوارىء •• ولذا فان « الشئون العامة لقوات الحلفاء » خلال الحرب العالمية الثانية ، كانت تتخذ لذلك شعارا يواجهك فى كل مــكان بالمصانع والمكاتب والمعسكرات ، على الجدران •

ان المجتمع بفعل عوامل تخلفية كثيرة يعج بعادات استهلاكية سيئة مدمرة لاقتصاديات الأسرة والعمل ، ومن ثم على الدخل القومى يعود أثرها الضار •• وذلك يحتاج الى وعى •• استهلاكى كبير يؤدى الى مدخرات كبيرة تلقائيا •

هذا الوعى الاســـــتهلاكى يشمل الغذاء والكساء والانارة والمياه والأوانى والأثاث ومواد النظافة والكماليات والمكيفات والوقود ، والمواد الأولية فى المصنع والمكتب ، ووسائل النقل والآلات ، وكل شىء •

ويشمل أيضا كيفية الاستهلاك تماما كما يشمل كمية الاستهلاك••

فالعناية بالسلعة كالآلة والملبس والأثاث والسيارة وأنواع الاجهزة المنزلية والمكتبية والمصنعية وغيرها ـ يطيل عمر المادة ويوفر على المرء عبء شراء غيرها ، ومن ثم يخفف ذلك من ميزان المدفوعات ، وتضاف قيمتها الى حساب الأرباح والاستثمارات وزيادة الانتاج •

ولنا أن نتصور مقدار الفـائدة التى تعود على المجتمع وعلى الدخل القومى وعلى الأفراد لو أن كل أسرة ، وكل هيئـــة ، أمكنها أن تحلل مصروفاتها ، وتحدد استهلاكاتها الضرورية فعـــلا ، وتستبعد عنـــاصر التبذير والاسراف والائتلاف والاهمال •

ان ذلك يؤدى قطعا الى زيادة فى الاستثمار وقلة فى الاستيراد • ومن ثم الى زيادة فى الانتاج والتصدير ومضاعفة فى حجم الدخل القومى بالقدر الذى يتم به تخفيف حدة الاستهلاك •

وهناك معنى آخر لزيادة الانتاج وهو زيادة المعروض من الســلع والخدمات • ومن ثم وعلى حســب قــانون العرض والطلب ـ تنخفض الأسعار •

ويمكن بلورة الايضاح السابق فى المعادلة الآتية : ـ

تخفيف حدة الاستهلاك = زيادة المدخرات = زيادة الاستثمارات = زيادة الانتاج = زيادة العرض = زيادة قيمة العملة = رخص الاسعار •

وأى طرفين منهما يصلحان معادلة سليمة •

هذا هو الطريق الى التنمية والتقدم •• هذا هو الطريق الى الحفاظ على قيمة الأجور ، والوصول الى مستوى معتدل من الأسعار •• هذا هو طريق الرفاهية والاستمتاع بالعدالة الاجتماعية •• وبغير سبيل تخفيف حدة الاستهلاك وادخار الناتج عن ذلك ، لا يمكن للأفراد فى هذه المرحلة من الخطة أن يتيحوا لأنفسهم الاستفادة مما تبسطه لهم الدولة من فرص العدالة الاجتماعية •

ان مجانية التعليم ، وتخفيض أجور المساكن ، وزيادة العمـالة ، ووضع حد أدنى للأجور •• وكل التحسينات المشابهة فى دخول الأفراد ، كانوا يستهلكونها بشراهة دون أن يدخروا منها للزمن وأخطـــاره ، وللمساهمة فى الاستثمارات •• فكانت التنمية عكســـية بفعـل زيادة الاستهلاك والتمادى فى المطامع والتطلعات الكمالية •

ان واجب الشعب كله • والدعاة الاشتراكيين بوجه خاص هـو نشر الوعيين : الاستهلاكى ، والادخارى •

◆ قصة الاستعمار والصهيونية

لو تصفحنا الميثاق لوجدناه يركز دائما على ضرورة القضـــاء على الاستعمار ٠٠ فمبادىء الثورة الستة : المنصوص عليها فى الباب الأول منه مثلا ، أولا : « القضاء على الاستعمار وأعوانه » ٠

كذلك الباب التاسع المتعلق بالوحدة العربية ، والباب العاشر الذى يرسم سياستنا الخارجية أيضا ، جعل « الحرب ضد الاستعمار والسيطرة » أول أهدافنا فى المحيط الدولى ٠

وقد يتساءل متسائل ٠٠ ألا يكفينا أن دحرناه ، وفى البحر عن أرضنا طردناه وألقيناه ؟

لماذا نتعقبه بالصيحات والضربات أينما اختفى فى كـل ركن من أركان العالم وزواياه ؟

لماذا نحشد له القوى العربية ، والجامعة الافريقية ، ومجموعة الدول الافريقية والآسيوية ، ودول عدم الانحياز ، ورابطة الشعوب الاسلامية ، وضمير الأمم المتحدة ، كلها ـ حول مبدأ القضاء على الاستعمار ، نكشف أقنعته المتعددة وصوره المتجددة ونقودها فى صراع عنيف مســتمرة ضده ؟

الرد فى غاية البساطة وله عناصر عدة أهمها : ـ

١ ـ معركتنا مع الاستعمار معركة حياة أو موت ، فاما نحن واما هو، والاستعمار لا يقنع منا بالسلام ، ولا يرضى للشعوب الا الاستسلام ، ولا يكف عن تدبير الفتن والمؤامرات ليسود ويثرى ، وتذل الشعوب وتفتقر ٠

٢ ـ ان رخاء العالم لا يتجزأ ، ولا رخاء بلا تحرر من السلب والنهب، لذا قامت سياستنا على مساعدة الدول للتحرر من قبضة الاستعمار انعكاسا لسياستنا الداخلية ونجاحنا فى جعل سياستنا الخارجية انطباعا لسياستنا الداخلية ، من شأنه أن يدعم مركزنا الدولى ، ويعزز موقفنا الاقتصادى ، ويغذى أسباب تقدمنا فى الداخل ٠

فلولا نجاح سياستنا الخارجية ، لما أمكننا بناء السد العالى ، ولمـا حصلنا على السلاح ، ولما كسرنا حصار القمح الذى أرادت أن تفرضـه علينا أمريكا فحصلنا عليه من روسيا والمكسيك والأرجنتين ، بل ومن الولايات المتحدة نفسها التى ظنت أنها تستطيع ان تضغط على أنفاسنا بالرغيف ، فنخر عند أقدام توجيهاتها صاغرين ٠

٣ ـ الاستعمار له مع مصر بالذات ، ومع الأمة العربية عامة ـ قصة

بدأت بأوضح صورها ، بالتستر فى ظلال الصليب ، ثم آلت الى التنكر فى ثياب الأفاقين من أبناء صهيون ٠٠ وستنتهى باذن الله حتما ـ بعد أن سقطت الاقنعة الى زوال الاستعمار وصوره ومواقعه ٠

منذ ضم مينا الوجهين القبلى والبحرى وأنشأ أول حكومة مركزية فى العالم ٠٠ منذ ٤٥٠٠ سنة وهى تتعرض لغارات القبائل الجائعة ، ثم تتطور الغارات بمرور الزمن الى غزوات الاستعمار المتلاحقة ، طمعا فيما أنعم الله به على أرض الكنانة :ـ

(أ) خيرات النيل ، فهو ثانى أنهار العالم ، وتبلغ كمية مياه اليوم الواحد من أيام التحاريق ١٢٠٠ مليون متر مكعب ، أى بما يماثل تصرف نهر الأردن وروافده السبعة فى سنة كاملة ٠

(ب) الطقس المعتدل الجميل ٠

(جـ) موقع جغرافى فريد ، واستراتيجى نادر ، يعتبر أهم مراكز القوى السياسية والتجارية والحربية فى العالم ٠

ومن الغريب أننا كنا دائما نستخدم هذا الامتياز فى الخير وفى الموقع كمنارة حضارية تنشر أضواء المدنية والتقدم على الدنيا بأسرها ، وكينبوع يتدفق منه العلم والمعرفة والقيم الروحية على مشارق الأرض ومغاربهـــا وبخاصة حينما كانت تتحد المنطقة كلها مثلما حدث فى عهد الامبراطورية الفرعونية ، ثم فى عصر الامبراطـــورية الاسلامية العظيمة فى حين أن الاستعمار كان فى حالات تفكك هذه الوحدة ، يستخدم هذا المركز لاذلال الشعوب وخنقها ، والسيطرة عليها ، ونشر الجوع والظلم والظلام فى ربوع العالم ٠

وهذا يوضح حقيقة هامة ، وهى أننا لم نكن مجرد هدف للاستعمار فحسب ، ولكن استعمار أراضينا كان وسيلة لاستعمار بلاد أخرى كثيرة وضمان وجودها فى قبضته ويزيد هذه الحقيقة اثباتا أن تحررنا بثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كان المقدمة التاريخية الضرورية التى أطلقت الشعوب من اسار العبودية ، وأدت الى تقلص الاستعمار ٠

والاستعمار نفسه كان يتوقع ذلك ، ويعد لهذا اليوم عدته منذ زمن بعيد ، وقد خطط له ، فماذا دبر ؟؟

من أطوار الاستعمار :

يمكن تقسيم تطور الاستعمار من حيث علاقته الى مرحلتين : ـ

١ ـ مرحلة سباق :

انقسم العالم منذ القرن السابع عشر الى دول تستعمر وأخرى مستعمرة . فكانت انجلترا ، وفرنسا ، وهولاندا ، وبلجيكا ، والبرتغال، وكلها دول أوربية ـ تستعمر أغلب آسيا وافريقية وكل استراليا ، وتم لها ذلك فى القرن التاسع عشر . حين ذاك تفشت شهوة مسعورة للاستعمار ، بدرجة أن المستعمرين كانوا يتسابقون نحو الجزر المهجورة المقفرة ـ كل منهم يسعي لأولوية رفع علمه على احدى رباها لاثبات حقه فيها .

ومن المهم أن نذكر انه ما انتهت الحرب الامريكية حتى حذت الولايات المتحدة حذو الدول الاوربية الاستعمارية الخمس لكن فى أمريكا الجنوبية ، وان ايطاليا وألمانيا جربتا حظهما فى لعبة الاستعمار فأخفقتا.

وكان الاستعمار يومئذ فى شكله التقليدى القديم ، ينزل الى البلاد العذراء بجيشه ، يستنزف ثرواتها المادية والبشرية .. الثروات المادية يغتصبها بثمن بخس أو بلا ثمن ، يصنعها ويعيدها الى نفس الدول ويفرضها بأثمان باهظة .. والثروات البشرية يستخدمها وقودا عماليا بأرخص الاجور تحت أقسى ظروف عمل ، أو وقودا لحروبهم الخاصة حتى قال المصريون فى ذلك خلال الحرب العالمية الثانية : «ان الانجليز يحاربون لآخر جندى هندى أو استرالى أو نيوزيلندى .. وان الفرنسيين يحاربون لآخر جندى سنغالى .. » .

٢ ـ مرحلة اتفاق :

وفى بداية القرن العشرين حدث اتفاق ودى بين دولتين من الدول الخمس ، وهما انجلترا وفرنسا . اتفقتا على ألا يصطدما فى افريقية وأن يقتسما هذه القارة مناصفة : لانجلترا القسم الشرقى ، ولفرنسا القسم الغربى وكانت الاولى تفخر بأن المسافر من القاهرة الى الكيبتون يخترق بلادا ترفع العلم البريطانى ، وكانت الثانية تتباهى بأنه فيما بعد البحر الابيض جنوبها .. من الجزائر حتى جنوب افريقية دول ترفع العلم الفرنسى .

حدث هذا الاتفاق الثنائى على تقسيم ما أسموها بالقارة السوداء الى منطقتى نفوذ عام ١٩٠٤ ٠٠ ولم يكن هذا الاتفاق الا بداية لاتفاق جديد بين الدول الاستعمارية الخمس الكبرى آن ذاك ٠ وهو اتفاق بالرمان عام ١٩٠٧ ٠ وهو اتفاق لو تعلمون خطير ٠٠ انه بالنسبة للاستعمار اتفاق ، أما بالنسبة لنا فهو حجر الزاوية فى المؤامرات الاستعمارية التى حيكت ضدنا ، والتى تناضل من أجل القضاء على آخر معقل لها ، فى فلسطين٠٠ فما مؤامرة بالرمان هذه ؟

اتفاق بالرمان عام ١٩٠٧ :

فى هذا العام اجتمعت لجنة فنية من مختلف علماء تلك الدول الخمس المتخصصين فى علوم الآثار ، والسياسة ، والاقتصـــاد ، والجغرافيا ، والتاريخ ، وعلم الاجنـــاس ، وكل ما من شأنه أن يخـــدم الفـــكرة الاستعمارية ٠ واستمر اجتماعهم فى لندن ثلاثة شهور متوالية يدرسون مستقبل الاستعمار ووسائل تحقيق أهدافه ، وتدعيم قوته وبقـــائه ٠ وافتتح «كاتيل بالرمان» الاجتماع الاول بما يلى :ــ

« أيها السادة ٠٠ ان الامبراطوريات تتكون ، وتتسع ، ثم تستقر الى حد ما ٠٠ ثم تنحل رويدا ، ثم تزول ٠٠ والتـــاريخ ملىء بمثل هذه التطورات ٠٠ وهو لا يتغير بالنســـبة لكل نهضة ولكل أمة : فهنـــاك امبراطوريات روما وأثينا والهند والصين ، وقبلهما بابل وآشور والفراعنة وغيرهم ٠

فهل لديكم ما يحـــول دون السقوط والانهيـــار ، أو تأخر مصير الاستعمار الاوربى ، وقد بلغ الآن دوره ، وأصبحت أوربا قارة قديمة ، استنفدت مواردها وشاخت معالمها ، على حين ان العالم الآخر لا يزال فى شبابه يتطلع الى مزيد من العلم والتنظيم والرفاهية ؟

هذه هى مهمتكم أيهـــا السادة ، وعلى نجـــاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا » ٠

بهذه الروح ، ولهذا الهـــدف اجتمعت لجنـــة بالرمان بجهـــابذتها وأساطينها ودرست ظروف الامبراطوريات الاستعمارية القـــديمة وعوامل سقوطها ، دراسة علمية تحليلية شاملة عميقة ، وخرجت بالنتائج الآتية:ــ

نتائج دراسة لجنة بالرمان :

١ ـ بالنسبة لآسـيا ، فانه لا يوجد خطر مبـاشر أو قريب على الاستعمار ، لانها ، على حد زعم الاستعمار ـ مقيدة بمشاكل خطيرة تربطها به عمرا طويلا وهي مشاكل التزايد الهـائل في عدد السكان ، والفقر المدقع ، وتعدد الاديان ، والعنصرية الحادة ، وقسوة المناخ .. ومع ذلك يمكن الاحتياط عن طريق تقسيم البلاد ، لاثارة الشقاق بين الشعوب .

٢ ـ بالنسبة لافريقية : فانها قارة مظلمـة ، عذراء ، لا تعلم ولا ثقافة ، ولذا فلن تستطيع النهـوض على قدميها ، ولن تنفك من رباط الاستعمار حتى لو منحت الاستقلال ، لما تقدم من أسـباب ، ولأسباب أخرى سياسية ومعنوية .

٣ ـ الخطر الوحيد على الاستعمار يكمن في منطقة البـحر الابيض المتوسط للأسباب الهامة الآتية :ـ

(أ) انها همزة الوصل بين الشرق والغرب .

(ب) انها مهد الأديان والحضارات .

(ج) يعيش في شواطئها الجنوبية والشرقية بوجه خاص ، شعب واحد توافرت له وحدة التاريخ والدين واللسان ، وكل مقومات التجمع والترابط والاتحاد .. فضلا عن نزعاته الثورية الطبيعية .

(د) اذا دخلت هذه المنطقة الوسائل الفنية الآلية الحديثة ، ومكتسبات الثورة الصناعية الاوربية ، وانتشر التعليم ، ودعمت الثقـافة ـ فستحل الضربة القاضية حتما بالاستعمار .

هذا هو تحليل لجنة « بالرمان » للشرق الاوسط .. للبقعة التي نعيش فيها . فماذا كان اقتراحها لرد القضاء والقدر ؟

اقتراح لجنة بالرمان :

ويتكون من نقطتين سوداوين :ـ

١ ـ أن تعمل الدول الاستعمارية ، ذات المصـالح المشتركة ، على استمرار تجزئة هذه المنطقة ، وتأخرها ، وابقاء شعبها على ماهو عليه من تفكك ، وتناقر ، وتأخر .

٢ ـ ضرورة العمل على فصل الجزء الافريقي من هذه المنطقة ، عن جزئها الآسيوى ، وذلك باقامة : « حاجز بشرى قوى ، وغريب ؛ يفصل الجسر البرى الذى يربط آسيا بافريقية ، ويربطهما معا بالبحر الابيض المتوسط ، بحيث يجب أن يعيش فى هذه المنطقة ، وعلى مقربة من قناة السويس ، قوة صديقة للاستعمار ‥ عدوة لسكان المنطقة ·

وهكذا انتهت علاقات الدول الاستعمارية الى اتفاق علينا · وانقضت نوبات الصراع التى تمثلت فى حرب الاسطول الانجليزى بقيادة نلسن لسفن الحملة الفرنسية على مصر فى أبى قير ‥ انهـا لم تتكرر فى التاريخ ‥ فتاريخهم كله اتفاق على أرواحنا وأموالنا وأقواتنا ‥ فى الحرب الصليبية دحرناهم ‥ وفى اليـونان تكالبوا على أسطولنـا ، وضغطوا على محمد على لترتد جيوشنا عن تركيا والشام ، لانهم جميعا يخشون وحدتنا وقوتنا ·

ويزيد المعركة اليـوم ضراوة ، أن وضعنا الاستراتيجى جعلنـا القابضين على عنق الزجاجة التى يتدفق خلالها كل ما تحتاجه أوربا من خبز وخامات فى الجيئة وسلع فى الذهاب ‥ ويزيد البترول الامر تعقيدا وخطورة ‥ ولم يعد الامر بالنسبة للاستعمار تباهيا برفع العلم على المستعمرات والجزر والقنصليات والسفارات والقطع البحرية، وما الى ذلك مما كان عن خرافة الامبراطورية التى لاتغرب عن أملاكها الشمس‥ ان قوتنا تشكل خطرا ساحقا على حيـاة الاستعمار ‥ لانه يحيا على امتصاص دم الشعوب ، وهذا يخالف مبادئنا فلا نرضاه ·

ولهذا تمخض مخطط «بالرمان» عن الاتفاق علينا ، وعن البحث عن الحاجز البشرى القوى الغريب ، الذى يمكن أن يقيمه الاستعمار ليفصل بين جزأى المنطقة : الافريقى والآسيوى ‥ وهنا تصافح الاستعمار مع الصهيونية وتحاضنا ‥ كيف كان ذلك ؟

ان الامر يدعونا الى العـودة الى الوراء ‥ الى الحديث عن طبيعة الصهيونية أيضا وخصائص اليهودية ·

لمحة عن تاريخ اليهودية :

اليهودية هى أقدم الديانات · سبقت المسيحية والاسلام ‥ وكان اليهود يعيشون فى كل بلاد العالم ‥ لكن الدين اليهودى أصابه تحريف

كامل بعد أن استعاضوا عن التوراة والتلمود البابلى ·· بالتلمود الاورشليمى الذى ينقسم الى جزأين : —

١ — المشنى :

وينظم أحوال اليهود من حيث الزواج والطلاق والارث والطقوس الدينية ·

٢ — الجمارة :

وينظم النواحى السياسية ·· وينص على مبادىء غريبة فاسدة ، من تحريف الحاخامات وتخريفهم ، يرجع اليها السبب فى كل ما يلاقيه اليهود من بعض الشعوب نتيجة لسوء طبيعتهم وخسة خصالهم وسلوكهم ·· فمن بين ما جاء بالجمارة مثلا :—

(أ) أن اليهود هم شعب الله المختار ، وماعداهم من الديانات الاخرى ·· حيوانات ·

(ب) « لا شغل لله فى الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة فى مدرسة السماء »

(ج) تحت عنوان «خطيئة الله» ·· الله يندم على تركه اليهود فى حالة من التعس ، حتى انه يلطم ويبكى كل يوم ، فتسقط من عينه دمعتان فى البحر ، فيسمع دويهما من بدء العالم الى نهايته ، وتضطرب المياه ، وترتجف الارض ، فتحصل الزلازل ·

(د) أرواح اليهود والنصارى : كل الارواح ، خلقت فى الايام الستة الاولى للخليقة ، ثم وضعها الله فى المخزن العمومى فى السماء · ويخرج منها كلما حملت امرأة — ولدا ، وخلق الليلة ٦٠٠ ألف تأويل ، وكل تأويل يختص بروح من هذه الارواح ، وتتميز أرواح اليهود عن باقى الارواح ، بأنها جزء من الله كما ان الابن جزء من أبيه ، ومن ثم كانت أرواح اليهود أعز على الله من باقى الارواح ·· لان أرواح غير اليهود هى أرواح شيطانية ·

(هـ) ان الاسرائيلى يعتبر عند الله أفضل من الملائكة ·· فاذا ضرب أممى اسرائيليا ، فكأنه ضرب العزة الالهية · (الاممى هو غير اليهودى) ·

(و) الفرق بين اليهودى والاممي هو الفرق بين الانسان والحيوان ٠

(ز) الارض ملك لليهود ٠

(ح) رد الاشياء المفقودة ممنوع على اليهود ٠

(ط) قتل غير اليهود مباح لليهود ٠

(ى) وغير ذلك فيما يتصل بالمرأة والربا وسفك الدماء مما حرفه الحاخامات ، ولا يمكن أن يكون دينا بأى حال من الأحوال ٠٠ وفيما يتعلق بالقتل مثلا فقد جاء في التلمود ما نصه :

« يقول يهوذا « الله » اذا دخلت مدينة ، لا يفتك أن تقتل سكانها بحد السيف ، وأن تستأصلهم ، وأن تبيد كل ما يكون فى تلك المدينة ، وأن تذبح حتى بهائمها » ٠

أين هذا من قول الله سبحانه وتعالى : « ادفع بالتي هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ٠ »

وقول أبى بكر في وصاياه لجيوش المسلمين ؟ « لاتخونوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ، ولا امرأة ، ولا ناقة ، ولا تحرقوا نخلا ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكل ٠٠ وسوف تمرون بأقوام فرغوا أنفسهم فى الصوامع ، وهم الرهبان والقسيسون ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له » ٠

وقول عمر بن الخطاب لأمان اهل القدس : « هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين لأهل الياس ٠٠ الامان لأنفسهم ، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم ، وصلاتهم ٠ لا تسكن كنائسهم ولا ينتقص منها ولا من غيرها ولا من شيء من أموالهم ٠٠ ولا يكرهون على دينهم ٠٠ ولا يضار أحد منهم ٠٠ ولا يسكن معهم أحد من اليهود » ٠

هذا هو الاسلام وتعاليمه ٠ فماذا عن تعاليم التلمود٠؟ وكيف يصف دخول اليهود مدينة أريحا بجنوب الاردن عام ١١٨٦ قبل الميلاد ؟

لقد نص التلمود فى سفر يشوع :ـ

« استولوا على أريحة ، وأحرقوها ومن فيها عام ١١٨٦ قبل الميلاد ، واهتكوا جميع ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ ، وحتى البقر

والغنم والحمير ، بحد السيف ، وأحرقوا المدينة وجميع من فيها بالنار٠٠ الا الذهب والفضة وآنية النحاس ، لانهم جعلوها فى خزانة الرب» ٠

التعصب الأعمى، وكراهية جميع الشعوب والاجناس غير اليهودية٠ الكبرياء والتعاظم والتقوقع فى أحياء وحارات خاصة أينما كانوا ، حتى فى نيويورك تجد « حارة يهود » خاصة بهم ، وفى لندن أيضـــا حيث يعيشون فى عزلة لا يختلطون بغيرهم لانهم يعتقدون أنهم الارقى٠٠ ولهذا تكرههم الشعوب وتطردهم فيعيشون مشردين فى الارض ٠

انجلترا طردتهم عام ١٢٦٥ وصادرت ثروتهم ولم تسمح لهم بالعودة الا عام ١٦٥٥ ٠

سكسونيا طردتهم عام ١٣٤٦ ٠

المجر طردتهم مرتين : عام ١٣٦٠ وعام ١٥٨٢ ٠

بلجيكا طردتهم عام ١٣٤٦ ٠

تشيكوسلوفاكيا طردتهم مرتين : عام ١٣٨٠ وعام ١٧٤٤ ٠

النمسا طردتهم عام ١٤٢٠ ٠

هولندا طردتهم عام ١٤٤٤ ٠

ليتوانيا طردتهم عام ١٤٦٥ ٠

البرتغال طردتهم عام ١٤٦٨ ٠

بلغاريا طردتهم عام ١٥٥١ ٠

ايطاليا طردتهم عام ١٥٤٠ ٠

روسيا طردتهم عام ١٥١٠ ٠

الدانمرك لم تسمح لليهود اطلاقا بدخول أرضها الا عام ١٨١٤ ٠

أسبانيا لم تطرد اليهود الا بعد خروج العرب منها ٠ وكان عددهم ٢٠٠ ألف ، هاجروا منها الى الشرق والمغرب العربى وتركيا واليونان ٠٠ طردوا من هذه الدول لانهم لا يتكيفون مع الشعوب التى يعيشون معها ولان مبادئهم وسلوكهم وأخلاقهم تسبب صداعا للدول التى ينزلون بها٠

عداؤهم للمسيحيين :

ان عداء اليهود للمسيحيين معروف ، ويرجع تاريخه الى عـــام ٢٧ الميلادى ، حين كان يبشر المسيح بتعاليم الدين الجديد • ووشى اليهود به عند الحاكم الرومانى «بيلاطى البونطى» بأنه يعمل ضد الدولة الرومانية، وضد كل التقاليد المعروفة ، ويحاول تحطيم النفوذ الرومانى فى القدس، وفى المنطقة كلها • وكان أحد تلاميذ السيد المســـيح الاثنى عشر وهو « يهوذا الاسخريوطى » قد وشى لدى الحـــاكم الرومانى فى ليلة العشاء الكبير ، فقبض عليه وسجنه مع مجرم خطير سفاح اسمه «باراباس» •

وكانت تقاليد الرومان تقضى باطلاق سراح أحد السجناء فى العيد الكبير ولم يكن بالسجن ليلتئذ الا السيد المســـيح والسفاح ، فكان من العدل ومن الطبيعى أن يطلق سراح السيد المسيح •• ولكن «الفريسيين» أى يهود القدس ، أصروا على اطلاق سراح السفاح واعدام المسيح •

ولذا حق عليهم ما جاء فى الاصحاح التاسع عشر من قول المسيح عنهم « انهم أولاد الأفاعى يدعون » •

والاصحاح ٢٧ من انجيل متى ينص على هذا الحادث بما يلى :ـ

« وكان الوالى معتادا فى العيد أن يطلق للجمع أسيرا واحدا من أرادوه •• وكان لهم حينئذ أسير مشهور يســـمى باراباس • ففيم هم مجتمعون ، قال له بيلاطى : من تريدون أن أطلق لكم ؟ باراباس أم يسوع الذى يدعى المسيح ؟ واذ كان جالسا على كرسى الولاية ، أرسلت اليه امرأته قائلة : اياك وذاك البار، لانى تألمت اليوم كثيرا فى حلم من أجله•• ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ صرخوا فى الجموع على أن يطلبوا باراباس، ويهلكوا يسوع فأجاب الوالى وقال لهم : من من الاثنين تريدون أن أطلق لكم ؟ فقالوا باراباس • قال لهم بيلاطس : فماذا فعل يسوع الذى يدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب ، ليصلب قال الوالى : وأى شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخا قائلين : ليصلب • فلما رأى بيلاطس انه لاينفع ، بل يحدث شغبا ، أخذ ماء ، وغسل يديه قدام الجميع قائلا انى برىء من دم هذا البار ، وأبصروا أنتم • فأجاب الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا من بعدنا •• حينئذ أطلق لهم بارباس ، وأما يســوع ، فجلده وأسلمه ليصلب » •

هذا نص دينى يدل دلالة واضحة على أخلاق اليهـــود وفســـاد

عقائدهم ·· ومن المعروف تاريخيا أن اليهود يحيون حفلاتهم بخطف شخص مسيحي وامتصاص دمه ·

وفي التلمود نص عن السيد المسيح هو : «أن يسوع موجود تحت لجات الجحيم بين القار والنار ، وأن مريم أتت به من العسكرى دندارا الرومانى بمباشرة الزنا ·· وأن الكنائس النصرانية هى قاذورات ، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة » ·

هذا هو رأى اليهود فى المسيحيين ·· أما رأينا فى المسيح رضى الله عنه فى سورة مريم فشرف ومعروف ·

وهذه هى طبيعتهم ولؤمهم ، وسر اضطهادهم فى جميع المجتمعات التى عاشوا فيها خلال القرون الماضية الى أن حدث حادث غريب عام ١٨٩٤ تمكن اليهود من استغلاله لعمل رأى عام قوى فى بلد كبير كفرنسا ·

وينبغى قبل أن نتعرض للنشاط الصهيونى ، والى حادث دريفوس، وما تلا ذلك أن نؤكد أن ظهور المسيح لم يكن له دخل فى اضطهاد اليهود، ولا كان لتأليبهم حاكم القدس الرومانى عليه أثر فيما تقابلهم به الشعوب والحكومات من اشمئزاز ونفور ·

فالثابت أن الرومان حينما احتلوا فلسطين ، شردوا من اليهود ٦٠٠ ألف · اتجه بعضهم مشرقا واستقروا فى مملكة بابل (العراق) وزحف بعضهم غربا الى مصر وشمال افريقية ثم عبروا مضيق جبل طارق وأسبانيا ومنها انتشروا فى أوروبا · والبعض الاخير هاجروا شمالا الى أرمينيا وجنوب روسيا ·

وحيثما حلوا جروا على أنفسهم المقت بعقائدهم العفنة وخاصة ما يتعلق منها بالكفر والتمييز العنصرى والشراهة فى جمع المال بأقذر الوسائل لتحقيق غايات دنيئة · وبرغم ما لوثوا به صفحات التاريخ من جرائم الغدر والخيانة واللؤم ، وما قابلوا به الدعوة الاسلامية من كيد — الا أن الحكم الاسلامى فى كل زمان ومكان كان يعاملهم أكرم معاملة ، لان الاسلام يدعو بطبيعته الى معاملة الاديان السماوية الاخرى بالحسنى والرعاية والذمة ، ولكن اليهود كانوا دائما يكونون جمعيات خاصة بهم ، يمارسون أنشطتهم المسمومة ، ويسعون الى التكتل والى البحث عن وطن قومى فى رقعة ما من كوكب الارض دون تحديد ·

تطور الحركة الصهيونية :

وقد أمكن لهذه الجمعيات اليهودية المتناثرة فى أوربا أن تعقد أول مؤتمر يهودى عام ١٨٨٤ فى مدينة أودسا على البحر الاسود برياسة الكاتب الروسى «بنسكر» وظلت مدينة أودسا مقرا لهذا الاتحاد اليهودى حتى لمع اسم الصحفى النمسوى «تيودور هارتسل» على أثر ذيوع شهرة كتابه «الدولة اليهودية» الذى كتبه عقب اعادة محاكمة الضابط الفرنسى اليهودى «دريفوسى» وتزعم «هارتسل» هذه الدعوة لأول مؤتمر صهيونى عالمى ، فانعقد بمدينة «بال» بسويسرا فى ١٨٩٧/٨/٢٩ ٠

جريمة دريفوس :

كان «دريفوس» ضابطا برتبة نقيب فى هيئة أركان حرب الجيش الفرنسى ، ضبط متلبسا بتسليم خطة الهجوم الفرنسى على ألمانيا ، الى المخابرات الالمانية ، واعترف بخيانته ، فحكم عليه بالاعدام ٠

غير ان اليهود كعادتهم ــ لجئوا الى قلب الحقائق ، وأثاروا الرأى العام الفرنسى ضد هذه المحاكمة ، بوساطة بعض مشاهير الكتاب ، وفى مقدمتهم «اميل زولا» الذى عمد الى نشر فضائح الحكام الفرنسيين تحت عنوان « مقالات جاكيوس ٠٠ انى أتهم » ٠

وتحت تأثير هذا الضغط وهذا التهديد أعيدت محـــاكمة المجرم المعترف ، وأمكن تبرئته عام ١٨٩٦ ٠ وهذا خلق رأيا عاما قويا لليهود فى فرنسا وحولها ، كما جعل اليهود يشعرون بقوة معنوية وقدرة على توجيه الرأى العام ٠

مؤتمر بال الصهيونى :

ولم يمض عام على هذا الحادث حتى دعا « هرتسل » الى مؤتمر صهيونى عالمى كبير فى مدينة «بال» بسويسرا حضره ٢٠٠ مندوب من جميع أنحاء العالم ، ومنهم مندوبان من مصر وباقى الدول العربية ٠

وكان الغرض من هذا المؤتمر هو وضع حجر الاساس لوطن يجمع شمل اليهود فقد افتتح هرتسل المؤتمر بقوله :

وانتهى المؤتمرون أو المتآمرون الى قرارات خطيرة أهمها :ـ

١ ـ العمل على تحقيق رغبة اليهود فى انشاء وطن قومى رسمى لهم٠

٢ ـ العمل على تقوية الروح العنصرية اليهودية بوسائل أهمها جعل اللغة العبرية (اليهودية) هى اللغة الموحدة التى يتحدث بها اليهود فى جميع أنحاء العالم بالاضافة الى لغاتهم المحلية ٠

٣ ـ تنظيم جمعيات اليهود في منظمات محلية ودولية أهمها «الكارين هايسود» أى صندوق السفر ، والغرض منه جمع اشتراك معين من كل يهودى استعدادا لترحيل الشباب الى الوطن القومى المنتظر ٠٠ وكذا «الكارين كابنت» أى صندوق شراء الاراضى لليهود من غير اليهود ٠

٤ ـ الاستفادة من علاقات التنافس والصراع بين الدول واستغلال التناقضات بينها لتحقيق أهداف الصهيونية ٠

٥ ـ اقرار تصميم العلم الصهيونى والنشيد القومى ٠

واختتم هرتسل المؤتمر بقوله : « اليوم أنشأنا الدولة اليهودية »

الاتجاه نحو فلسطين : من الواضح أن قرارات مؤتمر«بال»الصهيونى لم تحدد صراحة أرضا معينة للوطن القومى اليهودى المنتظر ٠٠ ولكن منذ ذلك التاريخ بدأ الحاخامات يعيدون الى الأذهان أسطورة جبل صهيون ، تلك الأغنية التى كان يرددها يهود العراق قديما بعد أن طردهم الرومان من فلسطين ٠

« هناك على أنهار بابل جلسنا وبكينا عندما تذكرناك يا صهيون ٠

وعلى أشجار الصفصاف علقنا أعوادنا ورفضنا أن نغنى لمن سبونا ٠
كيف نغنى أغنية الرب فى أرض غريبة ٠

لتنسينى يا يمينى اذا نسيتك يا أورشليم » ٠

وأضيفت هذه الاغنية الى ترانيم العبادات فى المعابد ، كما صارت عبارة « الى اللقاء فى أورشليم » هى التحية التى يتبادلونها ٠٠ وبدأ الحاخامات يعلنون شرائع تلمودية غريبة منها أن المرأة التى ترفض السفر مع زوجها الى فلسطين تعتبر طالقا كما أن العكس صحيح ٠

وظلوا فى مؤتمراتهم الصهيونية السنوية يبتدعون بروتوكولات شاذة رهيبة ، ان دلت على شىء ، فعلى أن هذه الطغمة الشريرة ، تدبر

جريمة دنيئة ، أساسها دفع البشرية بنذالة ووحشية الى حرب عالمية تشيع الخراب والدمار ٠٠ وفى سبيل ذلك تستخدم وسائل افساد الأخلاق ، والتشكيك فى القيم الدينية،وافساد النظم الادارية والسياسية والاقتصادية وتفتيت القوميات والتكتلات ، والقضاء على كل الاجناس غير الاسرائيلية ، ليخرب العالم ويبقون وحدهم على تله ، باعتبارهم شعب الله المختار كما يدعون ٠

وفيما يلى بعض بروتوكولات مؤتمراتهم : ــ

١ ــ الذهب هو القوة التى لا تقاوم ، به نشترى الضمائر الصلبة ، ونملأ صناديقنا بالذهب فنصبح أسياد الجميع ٠

٢ ــ علينا أن نفسد الشباب باحلال العقلية الرياضية والرغبات المادية الجسدية محل العقائد الدينية والخلقية ٠

٣ ــ لا بد أن نقضى على كل دين غير ديننا ، وان ظهور ملحدين معاصرين لا يتعارض مع أهدافنا ٠

٤ ــ علينا أن نبذر بذور الشقاق بين الشعوب غير اليهودية ، ونوجد التعارض بين المصالح الفردية والمصالح القومية عندهم ، ونثير الاحقاد الدينية ، والكراهية الجنسية العنصرية ، نغرسها وننميها فى قلوبهم ٠

٥ ــ نضلل عقول شبابهم ، ونفسد أخلاقهم ، بنظريات زائفة نختلقها ، ليتوهوا فى حيرة لا مخرج لهم منها ٠

٦ ــ اذا أشعنا فى غير اليهود الخلافات والخصومات والمنازعات والمجاعات ، وأرهقناهم أيقنوا ألا مخرج لهم من محنتهم الا بالالتجاء الى مالنا وقوتنا ٠ واضطروا الى تخويلنا سلطة دولية تيسر لنا الاستيلاء على جميع السلطات الحكومية فى العالم فنكون حكومة مثالية فوق مستوى الحكومات الأخرى ٠

واجتمع المؤتمر الصهيونى العالمى عشر مرات فيما بين عام ١٨٩٧ وعام ١٩٥٧ ينقل هذه المبادىء الجهنمية الهدامة الى حيز التنفيذ فى المحيط الدولى ٠ ثم يسفر مؤتمر بالرمان عام ١٩٠٧ عن أن الضمان الوحيد لاستمرار الاستعمار هو ايجاد قوى بشرية غريبة صديقة للاستعمار عدوة لشعوب الشرق الأوسط ، ووضعها لتعيش بجوار قناة السويس لتفصل المشرق العربى فى آسيا ، عن المغرب العربى فى افريقية ، وتقسم العرب

قسمين : عرب الشرق وعرب الغرب ، وتقسم المسلمين نصفين : مسلمى الشرق ومسلمى الغرب •

وما انفضت لجنة بالرمان حتى قال « حاييم وايزمان » جملته المشهورة : « لندن هى أقصر طريق الى فلسطين » •• ذلك أن أهداف الإستعمار والصهيونية أهداف مشتركة تتركز فى احتلال فلسطين والعداء نحو الشعوب العربية •

وايزمان والشيطان : وكان دكتور وايزمان هذا روسى المولد ترأس الحركة الصهيونية بعد هرتسل ، يتحالف مع الشيطان فى سبيل هدفه • فما أن انتهت لجنة بالرمان حتى انتقل ليعيش فى لندن واشتغل استاذا بجامعة مانشستر •• وأخذ يتعرف بكبار الشخصيات البريطانية البارزة أمثال : بلفور ، وادوارد جراى ، ولويد جورج ، وونستون تشرشل ، وغيرهم • وصار يحبب اليهم فكرة شغل هذه المنطقة باليهود ، ويؤكد لهم مزايا تضامن الاستعمار مع الصهيونية من ولاء ووفاء للاستعمار ولأهدافه ومخططاته •

وبدت نذر الحرب العالمية الأولى تلبد سماء العالم ، ولم يكن غير الله يعلم أى المعسكرين ينتصر فى تلك الحرب الوشيكة : انجلترا وفرنسا من جانب ، أم ألمانيا وتركيا فى الجانب الآخر •• ؟

ولم يضيع « وايزمان » الوقت فاتصل « بغليوم » امبراطور المانيا ، يطلب فيه وعدا بالتمكين للصهيونية من فلسطين فى حالة انتصار المانيا نظير ما يأتى : ـ

١ ـ أن تقف الصهيونية شوكة فى جنب بريطانيا فى الشرق الأوسط •

٢ ـ أن تساعد ألمانيا على مد الخط الحديدى الذى طالما تمنت ألمانيا مده الى بغداد •

٣ ـ ان تعمل على تدعيم الثقافة الألمانية فى الشرق العربى •

واقتنع غليوم فأرسل « الجنرال ليمان فون تاندرز » رئيس البعثة الألمانية فى تركيا ، مع دكتور وايزمان ، ليوصى السلطان عبد الحميد خيرا بآمال صهيون •• ودخل وايزمان بذقنه الطويل الى حيث السلطان •• وقبل الأرض خمس مرات عند أقدامه • وطلب من مقامه العالى بقعة أرض فى فلسطين نظير أن تؤدى له الصهيونية ما يأتى : ـ

١ ـ مليون دولار منحة ٠

٢ ـ أسطول بحرى لتركيا ٠

٣ ـ انشاء جامعة فى القدس يستعيض بها شباب العرب عن التعليم فى أوروبا ٠

هذا علاوة على عروض أخرى مما يعلمون أنها كانت تغرى السلطان عبد الحميد الذى كان قد أفرغ خزانته فى ملذاته وولعه بالنساء ٠٠ لكن السلطان لم يرقه شكل ذلك اليهـــودى ٠ فطرده ، ورده خائبا ، برغم ما ترتب على ذلك من استيباء صديقه غليوم ٠

الخدعة الانجلو فرنسية :

وقامت الحرب العالمية الأولى ، وما انتصف عام ١٩١٦ حتى ساءت حال انجلترا وفرنسا الى اقصى حد فى الميدانين الشرقى والغربى ٠٠ وبدأت بوادر الهزيمة محققة تحيق بهم ٠٠ فلم يجـــدوا مناصا من الاستغاثة بالعرب ٠٠ وتولى « هنرى مكماهون » المعتمد البريطانى فى مصر آن ذاك مهمة استنهاض العرب فى جانب انجلترا وفرنســا نظير اســتقلال الأمة العربية ٠

وتبادل مكماهون مع الشريف حسين أمير الحجاز آن ذاك ٠ وأبو جد الملك حسين ملك الأردن ١٠ رســائل بهــذا الشــأن انتهت الى وعد من الدولتين بالاستقلال الناجز التام للدولة العربية الاسلامية الكبرى التى تمتد من جبال طوروس شمالا ، الى الحدود الجنوبية للسودان جنوبا ، ومن الخليج العربى والمحيط الهندى شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ٠

وكانت رسائل مكماهونالانجليزى الىالشريف حسين العربى تنضح بالغش والخــداع والرياء والملق والنفاق ، وكان يتولى نقلهــا بين الاثنين جندى أريب من سلاح الطيران البريطانى اسمه «لورانس» رقى الى ضابط ووصفته الدعاية البريطانية بأنه بطل من أبطال القومية العربية ٠

ويبدو الخداع واضــحا فى الديباجة الآتية لاحدى الرســائل الانجليزية : ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الى ساحة ذلك المقام الرفيع، ذى الحسب الطاهر، والنسب الفاضل، قبلة الاسلام والمسلمين ، معدن الشرف ، وطيب المحتد ، سلالة نفحة الوحى المحمدى.. الشريف بن الشريف، صاحب الدولة ، السيد الشريف حسين بن على ، أمير مكة المعظم زاده الله رفعة وعلاء ـ آمين .

بعد ما يليق بمقام الامير الخطير من الاجلال والاحتشام ، وتقديم خالص التحية والسلام ، وتقبل الايام والاحترام .

وهكذا انخدع العرب ، وأعلنوا الجهاد المقدس ضد الأتراك ، وانفصلوا عن جيش جمال باشا وأنور باشا فى الشام ، وتنصلوا من خلافة آل عمثان ، ودفعوا ثمن الاستقلال والوحدة ، مالا ورجالا وقواعد ومواصلات .

وأمن الانجليز والفرنسيون شر الهزيمة فى الميدان الشرقى ، فنقلوا قواتهم الأساسية منه الى الميدان الغربى وانتصر الحلفاء بفضل ما أسداه الجيش العربى من خدمات ومن أمانة بالميدان الشرقى .

وجاء وقت الوفاء بالوعد ورد الجميل ، وفوجىء العرب بأن الجزاء لم يكن من نوع العمل . واكتشفوا أن انجلترا كانت تبذل لهم الوعود بوجه مكماهون ، على حين أنها قد عقدت فى نفس الوقت ، وبعده بقليل ، وثيقتين أخريين مضادتين مخيبتين للآمال .

معاهدة سايكس وبيكو :

فى نفس الوقت كانت انجلترا قد عقدت مع فرنسا معاهدة بتأكيد التحالف فى الحرب ، والاتفاق على أن يتم تقسيم الدول العربية بينهما بعد النصر بحيث ترزح سورية ولبنان تحت الحكم الفرنسى وتختص انجلترا بفلسطين والعراق . ووقع على الاتفاقية عام ١٩١٦ كل من مارك سايكس عن انجلترا ، وجورج بيكو عن فرنسا .

وعد بلفور :

وظل الزعيم الصهيونى فى بداية الحرب العالمية عام ١٩١٤ يوازن بين القوتين المتصارعتين ليعرف أى الكفتين ترجح ليقفز اليها .. وكان انضمام العرب الى الحلفاء ثقلا هاما يؤكد احتمالات نصر الانجليز

والفرنسيين .. فاعلن « وايزمان » انضمامه لجانب بريطانيا وتأييد اليهود للحلفاء.. ونالوا بذلك وعد بلفور المشئوم عام ١٩١٧ ـ وينص على منحهم وطنا قوميا فى فلسطين .

هذا الوعد عبارة عن خطاب من «آرثر بلفور» وزير خارجية بريطانيا الى البارون « ادمون روتشلد » رئيس الجمعية الصهيونية فى بريطانيا ومدير بنك روتشلد فى لندن يقول له ما نصه :

عزيزى اللورد روتشلد

يسرنى جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك ، بأن حكومة جلالته تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى فى فلسطين ، وستبذل أفضل جهودها لتسهيل بلوغ هذه الغاية مع التأكيد بعدم الاضرار بالحقوق المدنية أوالعرفية أوالدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية ، المقيمة فى فلسطين الآن ، ولا الحقوق والمركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى .

٢ نوفمبر ١٩١٧

خادمكم المطيع
آرثر بلفور

والواقع أن رسالة بلفور هذه من الناحية القانونية غير ذات قيمة ، لأن الأوطان لا تعطى بخطابات بين أفراد ولو كانوا أباطرة .. والحق أن ابرع ما يصور لنا تلك الحالة ، هو قول الرئيس جمال عبد الناصر :

« لقد أعطى من لا يملك ، وعدا لمن لا يستحق ، ثم استطاع الاثنان: من لا يملك ومن لا يستحق ـ بالقوة والخديعة ـ أن يسلبا صاحب الحق حقه فيما يملكه وفيما يستحقه » .

تنفيذ المؤامرة :

وما ان انتهت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ حتى قامت اجراءات اغتصاب القطعة المقدسة من الوطن العربى ـ على قدم وساق . وسارت الاجراءات على خطين متوازيين .

١ ـ تدعيم الكيان اليهودى وحقهم فى اقامة وطن قومى فى فلسطين على الصعيد الدولى :

(أ) حصل اليهود على منشور بتوقيع « جورج الخامس » ملك بريطانيا يتضمن الاعتراف بتأسيس وطن قومى لليهود فى فلسطين بالتدرج ··· عام ١٩١٨ ·

(ب) فى نفس العام تمكن الصهاينة من الحصول على تأييد لوعد بلفور من ·· فرنسا وايطاليا وأمريكا واليابان ·

وحتى هذه السنة لم يظهر من أمريكا ما يؤكد اشتراكها فى المؤامرة أو استجابتها ·· ذلك أن الرئيس ويلسون استهجن هذا الاتجاه فى خطاب ألقاه فى يوليو ١٩١٨ جاء فيه النص التالى :

« ان الاماكن التى هى أكثر تقديسا عند المسيحيين هى مالها علاقة بالمسيح ·· والأماكن التى يقدسها المسلمون ، غير مقدسة عند اليهود بل مكروهة ·· اذن فلا يستطيع المسيحيون والمسلمون وضع تلك الأماكن تحت اشراف اليهود ·· ثم هناك أماكن أخرى لها فى نفوس المسلمين مثل هذا الشعور · ولما كانت هذه الأماكن كلها مقدسة ومحترمة لدى المسلمين ـ كانت وصايتهم عليها فيما مضى أمرا طبيعيا·· فالذين ، يطلبون ضرورة فلسطين يهودية ، لم يحسبوا للنتائج حسابها ، ولا للشعور العدائى ضد الصهيونية فى فلسطين وفى جميع أنحاء العالم ·· يجب العدول بتاتا عن الخطة التى ترمى الى جعل فلسطين دولة يهودية » ·

ولكن هذا الرأى لم يعمر طويلا ولم تلبث أمريكا أن ساندت الصهيونية ·

(ج) تقدم ممثلو الصهيونية العالمية الى مؤتمر الصلح فى ١٩١٩/٢/٣ بمذكرة يطلبون فيها :

١ ـ الاعتراف بالحق التاريخى لليهود فى فلسطين ، وحقهم فى اقامة وطن قومى لهم فيها ·

٢ ـ وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى ·

٣ ـ الاعتراف بوعد بلفور والعمل على تحقيقه ·

(د) فى ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ وقع الحلفاء مع تركيا معاهدة « سيفر » ونصت المادة ٩٥ منها على أن يعهد الى بريطانيا بالانتداب على فلسطين ومسئوليتها عن تنفيذ وعد بلفور تنفيذا لأحكام ميثاق عصبة الأمم ·

(هـ) فى ٢٤ يوليو سنة ١٩٢٢ صادقت عصبة الأمم على مشروع القرار السابق على أن ينفذ اعتبارا من ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ ٠٠ والحقيقة أن التنفيذ كان قد بدأ منذ خمس سنوات مضت ٠٠ منذ وضعت الحرب أوزارها بالنسبة للعالم ،لتقوم ضد الشعب العربى الأعزل فى فلسطين ٠

٢ ـ عملية تهويد فلسطين داخليا :

بدأ ذلك بمنشور « جورج الخامس » ملك بريطانيا الذى استيقظ الشعب العربى فى فلسطين ذات يوم من أيام عام ١٩١٨ ليجده ملصقا على جميع المنازل ودور الحكومة ومحطات السكك الحديدية،مكتوبا بثلاث لغات هى : العربية ، والعبرية ، والانجليزية يعلن أن فلسطين ستحول تدريجيا الى اسرائيل ٠

كيف تم هذا ؟

كيف يمكن تحويل بلد عربى يسكنه شعب عربى الى بلد يهودى يحكمه اليهود ؟

(أ) عينت بريطانيا مندوبا ساميا يهوديا لها فى فلسطين هو « سير هربرت صومويل » ويكفى أن نذكر أنه قال فى محاضرة له فى قسم الدراسات العليا بجامعة لندن ما نصه :

« ان الادارة البريطانية فى فلسطين ستعمل على **تشجيع الهجرة اليهودية** ، الى فلسطين حتى يكون لليهود أمرهم بأنفسهم » ٠

وبالفعل نفذ « هربرت صومويل » سياسة الاستعمار البريطانى والصهيونية العالمية ٠ بدأ الانتداب البريطانى ونسبة عدد اليهود فى فلسطين الى مجموع السكان العرب ٦٪ ٠٠ فاذا بهم عام ١٩٤٨ يمثلون ٣٥ ٪ ٠ كان عدد العرب مسلمين ومسيحيين ٦٥٠ ألفا عام ١٩١٨ بينما اليهود ٥٥ ألفا فقط ومن الطبيعى أن صندوق التهجير (الكارين هايسود) لم يكن الا احدى الوسائل مما سيأتى ذكره بعد ٠

(ب) كانت ملكية أرض فلسطين عام١٩١٨ موزعة على الوجه الآتى:

٥٢ ½ ٪ للعرب

٤٥ ٪ للدولة

٢ ½ ٪ لليهود

فأعطت حكومة الانتداب البريطانية للوكالة اليهودية ما للدولة وقدره ٤٥٪ فصار اليهود يملكون ٤٧٪ ٪ ثم بدأت ترغم العرب على بيع أراضيهم لليهود بطرق اقتصادية جهنمية تقوم على اشاعة الافلاس بينهم، ومن ذلك :

١ ـ رفع معدل الضرائب فى حالة القحط مع امتناع البنوك عن اقراض العرب ، والمعروف أن الزراعة فى فلسطين تقوم على المطر وتخضع لظروفه ٠

٢ ـ منع تصدير المحصولات فى حالة الرواج بقصد بوارها ٠

٣ ـ تحريم منح تراخيص اقامة مصانع للعرب وقصر هذا الحق على اليهود وحدهم ٠

وبذلك تسربت غالبية الأرض الى اليهود بأرخص الأثمان ولعب « الكارين كايتت » دورا كبيرا فى ذلك ٠

(جـ) أصدرت حكومة الانتداب الاستعمارية قرارا بتشكيل **الوكالة اليهودية** ، وهى حكومة تتولى شئون اليهود ، بوساطة دوائر أو وزارات، تمثل حلقة الوصل بين اليهود وحكومة الانتداب ٠ ولم يسمح للعرب بتكوين حكومة مماثلة ٠

(د) صدر قرار بأن اللغات الرسمية للبلاد ثلاثة هى على الترتيب : العبرية لغة أولى ثم الانجليزية لغة ثانية ، فالعربية لغة أخيرة ٠٠ واستخدمت اللغات الثلاثة منذ عام ١٩١٨ وليس من عام ١٩٤٨ ـ على النقود ، وطوابع البريد ، وأسماء الشوارع ٠٠ وكانت العملة والطوابع تحمل اسم فلسطين باللغة العربية و Palastine بالانجليزية واسرائيل بالعبرية ٠

(هـ) **تم تدريب اليهود على حرب العصابات** بوساطة اخصائيين بريطانيين كما تم تسليحهم ،فى حين كان يحاكم بالاعدام وسط أهله وقريته ، كل عربى يضبط معه ولو طلقة رصاص ٠

وبهذا الاسلوب تمكن اليهود من أن يحكموا حلقات المؤامرة بأن جندوا فى عام ١٩٣٩ حينما قامت الحرب العالمية الثانية ـ فيلقا يهوديا ، قوامه ٨٠ ألف مقاتل من بينهم ٢٥ ألف امرأة ، انضموا لقوات الحلفاء ، واكتسبوا خبرة حربية ممتازة ٠

ولما انتهت الحرب عام ١٩٤٥ لم يسلموا السلاح ولم يعودوا الى أوطانهم المتفرقة، وانما توجهوا بأسلحتهم وذخيرتهم، على أسطول بريطانى الى فلسطين ، حيث استقروا جيشا مدربا منظما كاملا ، قسم الى ثلاث فرق :

١ ـ الهاجانا ٠

٢ ـ الأرجون زوفاى ليومى ، ، وهى فرقة منتقاه ٠

٣ ـ شتيرن ، وهى خلاصة الخلاصة المنتقاه ٠

ولم يقتصر تهجير اليهود المسلحين عند هذا الحد ، ولكن الاستعمار أرسل ١٠٠ ألف آخرين فيما بعد ٠ تأكيدا لما قاله «وايزمان» في يومياته:

« لا أذيع سرا اذا قلت اننا وصلنا الى اتفاق مع بريطانيا العظمى ، على أساسه تسلمنا فلسطين خالية من العرب قبل نهاية الانتداب » ٠

I do not diclare any secret in saying that we came to an agreemet with Great Britain in order that the British deliver to us Palestine rid of Arabs, before the termination of their mandate.

وبدأت عملية ابادة الفلسطينيين العرب بدعوة صريحة الى سفك الدماء وجهتها الوكالة اليهودية عن طريق الصحف ٠٠ ومن ذلك ما جاء بصحيفة « دور هايوم » العبرية ونصه :

« على اليهود أن يطهروا وطنهم من مغتصبيه ٠ ٠وليذهب السكان المسلمون فى فلسطين الى الحجاز أو الصحراء ، وليذهب المسيحيون الى لبنان » ٠

ودارت مذابح تقشعر لهولها الأرض، ويسود لبشاعتها وجه التاريخ، مما لم يحدث له مثيل حتى فى أضل ظروف البشرية الموغلة فى التوحش٠ ومن أمثلة ذلك ما حدث فى قرية « دير ياسين » ٠٠ اذ حاصرها اليهود نهارا ، وأخرجوا السكان من ديارهم الى ساحة القرية ٠٠ وقسموهم الى رجال ونساء ، وأمروا الرجال بأن يحفر كل منهم حفرة مساحتها متر × مترين ، ثم أطلقوا عليهم الرشاشات وهم يرفعون عقيرتهم بالضحك والبهجة ٠ أن كل عربى وقع فى لحده ٠٠ أما النساء فقسموهن وبقروا بطون الحوامل يتراهنون على نوع الأجنة ومن لم تمت منهن ألقيت حية فى بئر القرية ٠

الضمير العالمى :

على هذه الصورة البشعة جرت عملية الابادة الوحشية ، لعرب فلسطين على يد كل من الاستعمار والصهيونية ٠

وفى ذلك يقول « أرنولد توينبى » المؤرخ البريطانى :

« لقد مهدت بريطانيا ، بالتعامى المقصود ، الجدير بالادانة ، الى استيلاء اليهود على عناصر القوة والمال والأرض والهجرة والسلاح ، حتى تمكنوا من امتلاك الأرض ، وتفاقم — عددهم من عشر السكان الى الثلث ، وحصلوا على السلاح ، فتيسر لهم ولعصاباتهم مباغتة العرب العزل ٠٠ أخرجوهم من ديارهم ، ودفنوا الاطفال والشيوخ أحياء ، وملئوا بجثثهم الآبار ، واقترفوا من المجازر والمغادر ما جعل مأساة جرائم اسرائيل والصهيونية أخطر شأنا من مأساة جرائم المانيا النازية » ٠

ثم يستطرد ارنولد توينبى فيقول عن اليهود :

« هم الكابيون ، فكلمة متعصب لا تعنى مجرد ظالم ، بل من يضطهد شعبا من غير دينه ، بسبب اختلافه عنه فى الدين والعقيدة والعادة ٠٠ لقد أجبروا أدوم والجليل على اعتناق اليهودية بالقوة ، فمهدوا لأن يكون هيرود والمسيح يهوديين ٠٠ ان نتيجة التعصب تأتى أحيانا بالسخرية المحزنة ، وانه لمحزن حقا أن تكون مجرما بالتعصب ٠٠ وكان اليهود مجرمين بالتعصب منذ القرن الثانى قبل الميلاد ٠٠ وان مأساة التاريخ اليهودى الحديث هى أنهم بدلا من أن يتعلموا من مصائبهم وآلامهم،صنعوا بالعرب ما صنعه النازيون بهم » ٠

وهكذا شرد وقتل مليون عربى فى أبشع جريمة دولية ٠٠ جريمة اغتصاب وطن بأكمله وتشريد أهله ٠

أمريكا ترفع قناع الغدر :

أشرنا قبل ذلك الى تصريح ويلسون عام ١٩١٨ المعارض لتوطين اليهود فى فلسطين وظل حسن الظن بأمريكا قائما فى أذهان العرب حتى عام ١٩٤٦ حينما أعلنت عن تأييدها للصهيونية ٠٠ وطلبت الجامعة العربية من الحكومة الأمريكية بتاريخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٦ — بايعاز من الملك عبد العزيز آل سعود ، الذى كان يعتبر نفسه صديقا حميما لروزفلت — أن تتراجع عن تأييدها للصهيونية ٠ فماذا كان رد أمريكا ؟

كان الرد كما يلى فى ١٧ يناير سنة ١٩٤٧ :

« ان الحكومة الامريكية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى قد أيدت فكرة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين حكومة وشعبا • فتصرفها اليوم جاء مطابقا لسياستها التقليدية عندما تدعو الى اتخاذ التدابير الرامية الى ابراز هذه الفكرة الى حيز الوجود •• اما بشان تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين من مناطق الاحتلال الامريكية فى أوروبا •• فان الكثير من هؤلاء المضطهدين يتطلعون اثر ما أصابهم من اضطهاد الى فلسطين كملجأ •• »

أمريكا مطية الصهيونية :

وهكذا ظهرت حقيقة الولايات المتحدة الأمريكية كحليفة أصيلة للصهيونية • وهذا أمر غير مستغرب • فقد ذكر السناتور أجنيز الأمريكى فى احدى مقالاته الصحفية عن علاقة أمريكا بالصهيونية ما نصه :

« ان حكومة الولايات المتحدة لها رئيسان وحكومتان : احداهما ظاهرة معروفة والأخرى تختفى خلف الحكومة الظاهرة : لها أعضاؤها فى الكونجرس ، والمحكمة العليا ، والمكتب التنفيذى ، وفى دوائر الحكومة •• وهى تراقب وسائل الاعلام ، والمؤسسات التعليمية ، والكنائس ، وكل ما يؤثر على الرأى العام ، أو يؤثر فى تخطيط سياسة الحكومة الرسمية •• أما هذه الحكومة السرية فهى : « اللجنة اليهودية الأمريكية » تساعدها ١٦ منظمة يهودية •

فلن نستغرب أن تكون أمريكا دمية فى يد اسرائيل ، وأن تكون ألمانيا الغربية من ثم لعبة فى يد الصهيونية ، وأن كلتيهما وغيرهما تنساق الى الحظيرة التى دخلت اليها من قبلها بريطانيا لتنفذ مخططها الاستعمارى ضد الامة العربية ووحدتها وحريتها وتقدمها •

فالثابت أن ايزنهاور أعلن ماأسماه بمشروع ملء الفراغ عام ١٩٥٧ ليحمى اسرائيل مدفوعا بضغط وسائل الاعلام التى تسيطر عليها الصهيونية كما تسيطر على الرأسمالية الامريكية •

والثابت أن الانتخابات الأمريكية تسيرها الصهيونية والأموال الصهيونية • ووسائل الاعلام الصهيونية حتى على مركز رئاسة الجمهورية الامريكية •• فاذا تعرضنا لضغط ما من أمريكا سواء بما يسمى بالمساعدات الأمريكية أو غيرها • فان هذا أمر طبيعى من دولة هى فى الواقع مطية للصهيونية •

ان خطاب الولايات المتحدة المذكور يتضمن مغالطة مفضوحة٠٠ذلك أن اليهود المشردين من ألمانيا أيام النازى ، خليق بهم أن يعودوا الى ديارهم فى ألمانيا لأن فرضهم على شعب فلسطين لا يحل المشكلة وانما يؤدى الى خلق أتون جديد من الاضطهاد لهم وزجهم بين شقى رحى عربية هائلة تطحنهم مهما طال الزمن ٠

لعبة التقسيم :

وزاد التأييد الأمريكى للصهيونية وضوحا حينما بذلت قصارى جهدها للتأثير على الدول الأعضاء فى هيئة الامم المتحدة ليصوتوا فى صالح قرار تقسيم فلسطين ٠ وكانت حملة الضغط هذه تتخذ أحيانا وسائل اعلامية أمريكية ٠ وأحيانا أخرى تتخذ وسائل الاتصالات الدبلوماسية٠ ومن ذلك أن « هارى ترومان » رئيس الولايات المتحدة أيقظ رئيس شركة فايرستون بالتليفون ليلا ، وكلفه أن يتصل برئيس جمهورية ليبريا ليضمن صوته فى صف مشروع التقسيم مستخدما قوة شركته وسيطرتها الاحتكارية على ليبريا ٠

ويرجع مشروع التقسيم الى أن بريطانيا ادعت أنها لا تستطيع حل المشكلة وحدها فعرضتها على الأمم المتحدة ، وتلك بدورها شكلت « لجنة التحقيق » التى تكونت من ١١ دولة ٠٠ وسافر أعضاؤها أواخر عام ٤٦ الى فلسطين ليعاينوا الموقف على الطبيعة ٠٠ وبالرغم من أنها تأكدت من أن الاستعمار والصهيونية لم ينجحا فى تحويل فلسطين عن عروبتها فى أى مظهر من المظاهر فان ثمانية أعضاء من اللجنة نادوا بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود جغرافيا ، مع جعل مدينة القدس منطقة دولية ، على أن يتحد العرب واليهود فى السياسة الخارجية والدفاع والشئون الاقتصادية ٠

وكان الأمل كبيرا فى أن الضمير الدولى لن يرضى بهذا المشروع الذى حدد للتصويت عليه يوم ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ٠٠ ولذا فان أمريكا لعبت دورها فى تأجيل التصويت على القرار الى اليوم التالى حتى يتم لها الضغط على الدول لتأييد التقسيم كما سبق أن وضحنا وكان لها ما أرادت ٠

تسليم الفريسة :

وما جاء يوم ١٣ مايو سنة ١٩٤٨ الا وكان الاستعمار قد نجح فى تجريد عرب فلسطين من كل مقومات الدفاع عن النفس ضد الخطر

الصهيونى ·· ويومئذ أعلنت بريطانيا أنها ستنهى الانتداب البريطانى على فلسطين صباح ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ · لتسلم العرب عزلا كفريسة لليهود ·

وفى الساعة الرابعة بعدظهر يوم١٤ مايو ١٩٤٨ أعلن «بن‌جوريون» من مبنى البلدية بتل أبيب أمام أعضاء المجلس الوطنى اليهودى انشاء دولة اسرائيل اعتبارا من صباح اليوم التالى ·

وفى اليوم التالى تحركت جيوش العرب تحاول انقاذ فلسطين الحبيبة ·· لكن الحكومات العميلة كانت غير جادة فى تخليص فلسطين ·· كان الاستعمار قد مزق حكومات العالم العربى وغرس فى نفوس حكامها الأنانية والنفعية والتنافر والبغضاء ، ودفعوا بالشباب الوطنى الغيور الى معركة لم يعد لها ·· وطعن من الخلف غدرا وهو على مشارف تل أبيب ·· وكانت الفالوجا حيث نضجت خطط ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ·· وكانت اتفاقية الهدنة بين الدول الأربع المحيطة باسرائيل وبين اسرائيل ·

اسرائيل جسر للاستعمار :

وصل الاستعمار الى تحقيق توصيات « لجنة بالرمان » فأوجد القوة البشرية الغريبة عن المنطقة ، المعادية للعرب ، الموالية للاستعمار ، التى تشطر الأمة العربية شطرين : شرقى وغربى ، وتحول دون وحدتها ، تأمينا لمصالح الاستعمار ·· وفى ذلك قال الميثاق :

« ان قطعة من الأرض العربية فى فلسطين ، قد أعطيت من غير سند من الطبيعة أو التاريخ ، لحركة عنصرية عدوانية ، أرادها المستعمر لتكون سوطا فى يده ، يلهب به ظهر النضال العربى اذا استطاع يوما أن يتخلص من المهانة وأن يخرج من الأزمة الطاحنة كما أرادها المستعمر فاصلا يعوق الأرض العربية ، ويحجز المشرق عن المغرب » ·

ولذا فان الاستعمار يغدق عليها المعونات المالية والفنية، وهى بدورها تحول المعونات والمساعدات لبعض الدول الآسيوية والافريقية لحساب الاستعمار تنفيذا لأسلوب الاستعمار الجديد الذى تحدثنا عنه فى فصل سابق ، والذى يهدف الى استبدال الأغلال الحربية بأغلال اقتصادية تقيد بها الدول الى عجلة الاستعمار ، فيستنزف موارده ويتحكم فى مقدراته ·

خطر التوسع الصهيوني :

وأطماع الصهيونية لا تقف عند حد ، ولكنها تتحين الفرص للانقضاض على العالم العربي لتلتهمه قطعة قطعة ، تثب الى الرقاب ، تقتل من تقتل ، وتحول من يبقى من شعوبنا العربية الى قطعان من اللاجئين في ليبيا والسودان وأرمينيا .

ان زعماء الصهيونية يعلنون ذلك صراحة .. ولقد قال الحاخام « يهودا ميمون » وزير الأديان الاسرائيلي في كلمة القاها بمؤتمر الكيرين كينيت يوم ٨ أغسطس سنة ١٩٥١ .

« ما تزال أمامنا أعمال عظيمة .. ان دولة اسرائيل كلها أمامنا .. وان حدود هذه الدولة تمتد من النيل الى الفرات » .

ولم تكن هذه العبارة الخطيرة مجرد زلة لسان صدرت عن مستوزر مخرف .. فان الدكتور « أريك التمان » أحد زعماء الكنيست قال في خطاب له في القدس يوم ٣٠ مارس سنة ١٩٥٣ ما نصه :

« ان اسرائيل العظمى . الممتدة من العراق حتى السويس هي الدولة القوية التي تستطيع تأمين السلام والاستقرار في الشرق الأوسط .. في الداخل والخارج .. ان اسرائيل بحشدها اليهود من أنحاء العالم وتكتيلهم بسرعة وكثافة ،من شأنها أن تخلق حدودا لها من العراق الى السويس ، فتصبح حصن الديمقراطية في هذا الشرق الذي أفلست فيه سياسة بريطانيا وفرنسا .

وقد قال بن جوريون أيضا عام ١٩٥١ :

« الآن فقط ، وبعد سبعين عاما من كفاح الرواد . استطعنا أن نصل الى أول استقلالنا في جزء من وطننا الصغير » .

ثم يقول عام ١٩٥٢ :

« لقد أعطى القسم الشرقي من وطننا القومي على الضفة الأخرى للأمير الهاشمي . (يقصد الملك عبد الله) .

هذه تصريحاتهم الرسمية . بل ان خريطة اسرائيل كما تدرس لتلاميذهم يحددون عليها أرض اسرائيل على المساحة ما بين الفرات وفرع دمياط .

ولكن هذا التوسع يحتاج الى قوى بشرية استعدادا للغزو ، ومن أجل

عدا يستعدون لتوطين ½ مليون مهاجر يهودى جدد فى النقب • وفى سبيل ذلك يحولون مياه نهر الأردن الى صحراء النقب لاستصلاحها •

ولقد علمتنا تجربة العدوان الثلاثى ، ومبادرة اسرائيل باعلانها ضم سيناء اليها أن اسرائيل لا تتوانى عن التوسع على حسابنا اذا سنحت لها فرصة •

وأهم الاسلحة التى تستخدمها اسرائيل والاستعمار فى معركتها ضد العرب هو تمزيق شمل العرب ، والحيلولة دون وحدة العالم العربى شرقه وغربه •• لذلك فان أهم أسلحتنا فى حربنا ضد الاستعمار والصهيونية هو تحقيق القومية العربية •• هو السعى الحثيث نحو الوحدة العربية ، وتذليل كل العقبات المصطنعة التى تعرقل تنفيذها •

أهمية الوحدة العربية :

ان قضية فلسطين لعبت دورا خطيرا فى مصير الدول العربية وتاريخها المعاصر • فبالرغم من آثارها السالبة ، فانه من الانصاف أن نقرر انه كان لها دور ايجابى فى التعجيل بقيام ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ •

ولذلك فان الثورة المصرية اهتمت أبلغ اهتمام بقضية فلسطين ، لا بالمواقف العاطفية ، ولا بترديد الشعارات •• ولكن بالعمل البناء والمواجهة الصريحة وحل المشكلة من جذورها •• جعلت الوحدة هدفا مقدسا من أهدافها كعلاج أساسي لحل مشكلة فلسطين ، وتعقبت الاستعمار والصهيونية بالحرب السياسية والاقتصادية فى كل أرض •• وجعلت من تقدمها الداخلى علميا وحربيا منطلقا للضربة القاضية باذن الله •

ولا يفتأ الرئيس جمال عبد الناصر بين الحين والحين يبصر الملوك والرؤساء بالاخطار المحدقة ، وبوجوب جعل قضية فلسطين فوق أى خلاف عربى •• وكانت آخر هذه الحركات المباركة دعوته لعقد مؤتمر القمة العربى الاول فى يناير سنة ١٩٦٤ ، والذى تم فيه اتخاذ قرارات ثلاثة هى :ـ

١ ـ استغلال مياه نهر الاردن لصالح الدول العربية التى فى أعلى النهر •

٢ ـ انشاء القيادة العربية الموحدة لحمــاية مشروعات التحويل ، ووضع خطط تحرير فلسطين ٠

٣ ـ انشاء منظمة التحرير الفلسطينية لابراز الكيان الفلسطيني ٠

واجتمع مؤتمر القمة الثاني بالاسكندرية في سيتمبر سنة ١٩٦٤ ، وتلاقت أفكار العرب ٠٠ واذا كان الاستعمار قد تلاقى عام ١٩٠٧ ليدرس على منهـــج علمي كيف يقضى على العرب : فان العرب قد تلاقى عزمهم وفكرهم في شخص رؤسائهم ودرسوا على منهج علمي أيضا كيف يقضون على الاستعمار ويزيلون ربيبته اسرائيل من الوجود ٠

وها هوذا مؤتمر القمة الثالث بالدار البيضاء ، يؤكد وحدة الهدف ووحدة العمل ولم تفلح محاولات «بورقيبه» ولا انحرافاته في ايجاد ثغرة تؤثر على وحدة العمل العربي ٠

ولقد علمتنا التجارب أن نعمل حسابا لأسوأ الاحتمالات حتى نصل الى أفضل النتائج ٠٠ وكذلك بالنسبة لقضية فلسطين ٠٠ ولقد وضح الرئيس جمال عبد الناصر مراحل العمل خلال خطبته في ٣١ مايو سنة ١٩٦٥ كما يلي :ـ

١ ـ العمل في نطاق جامعة الدول العربية كخطوة أولى وهو محدود بأوضاع معينة ٠

٢ ـ العمل في نطاق مؤتمرات القمة ومجالاتها ، وهي خطوة أكبر لكنها قد لا تحقق المطلوب ٠

٣ ـ العمل العربي الثوري ٠٠ عمل الشعوب العربية، وهو السبيل الموصـــل الى اعادة فلسطين ٠ فان فلسطين لا ترد بالسياسة وانمـــا بالحرب ٠٠ بالقتال ٠٠ ونحن أقدر ما نكون عليها برا وبحرا وجوا ٠٠ نحن نعرف ذلك ٠٠ ونعرف أيضا أن معركتنا ليست مع اسرائيل ، وانما مع من يتقنعون باسرائيل ٠

ولذلك قال الرئيس :ـ

« اننا نحن الذين يجب أن نحدد مكان المعركة وزمانها ، ولن نسمح اطلاقا بأن يقع ما حصل عـــام ١٩٤٨ مرة ثانية ، وما دمنا نبني قوتنا الذاتية فنحن واثقون تماما من نتيجة المعركة » ٠

نحن ننظر لهذه القضية بوصفنا احدى الدول العربية ، وبوضعنا الخاص بنا ، الواثقين من أنها معركة مصيرنا .. معركة حياة أو موت ، فلا مكان فى المنطقة لاسرائيل ، ولا بد أن تزول ، ولابد أن تعود فلسطين عربية ، ويعود أهلها الى ديارهم ، ويعود السلام الى ربوعه .. فانى لأكاد أرى الارض المقدسة وقد تحولت مستعمراتها اليهـــودية الى مقابر تفغر أفواهها لتبتلع أشلاء اليهود الغاصبين،فتنطوى صفحة من التاريخ سوداء بدأت عام ١٩٤٨ ، وتنتهى أغرب قضية عالمية ، باعدام من سرقوا وطنا كاملا بعد أن قتلوا وشردوا أصحابه الشرعيين .

انى لأرى بيارات البرتقال تدنو قطوفها ، وتفرد أغصانها، وتفرش ظلالها ـ بعد طول شوق وحنين ـ للعائدين المنتصرين ، يؤازرهم اخوانهم من كل فج عربى ، يقودهم أغرودة الزمن وأنشودة المجد ، القائد العربى العبقرى الذى فجر ثـــورة يوليو ١٩٥٢ وآلى على نفسه أن يطهر أرض العرب من غير العرب ـ جمال عبد الناصر ـ وفقه الله .

◆ السياسة الخارجية
للجمهورية العربية المتحدة

السياسة الخارجية لدولة ما هى : علاقتها بالدول الأخرى ، وقد ظلت العلاقات الدولية الى عهد قريب تحرك خيوطها أصابع رجال المال والأعمال وكبار التجــار ، من أقبية البنوك والبورصـات والشركات الاحتكارية ، وقصور الأباطرة من الطغاة ·· وكان أصحاب الملايين بوجه خاص يسيطرون على الحكم ، ويتحكمون فى مصير الشـعوب ، ويدفعون حفنة من قطع الشطرنج الآدمية فى دهاليز وزارات الخارجية وعلى العروش نحو الوجهة الدبلوماسية التى تخدم أغراضهم التجارية العالمية ، وتروى ظمأ جشعهم وشراهتهم للمال ·

وكانت العلاقات الدولية على هـــذا النحو تتميز بأنها علاقات بين أفراد هم رؤساء الدول وسفراؤهم ، بغض النظر عن رأى الشعوب ·· غير أن التقدم العلمى والآلى الحديث ، الذى بدأ بالثورة الصـناعية فى أوربا ·· قد قضى على هذا المفهوم الدبلوماسى الأنانى الاسـتبدادى ، وطواه الى الأبد · وأدى الى آثار هامة منها ما يلى :ـ

آثار التقدم العلمى والفنى على السياسة الخارجية :

١ ــ تكتيل الرأى العام العالمى ضد الحروب :

كانت الحروب فيما مضى لا تكاد يعنى أمرها من شعوب العالم الا الطرفين · أو الأطراف المتحاربة · فلما اكتشفت الأسلحة النووية ، وتحقق البشر من هولها ، انتشر شعور انسانى عام ، بأن اندلاع حرب مهما كانت صغيرة ، فى أية بقعة من بقاع العالم مهما كانت قاصية ــ انما يمثل خطرا شاملا يعرض الانسانية كلها ، بحضارتها ووجودها ، للدمار والزوال ·· وما زالت مأساة هيروشيما وناجازاكى ماثلة للأذهان كشبح مفزع يمكن أن يتكرر بصورة تجعل من الكرة الأرضية أتونا ملتهبا وقطعة من الجحيم ·

وزاد الأمر خطورة انقسام العالم الى قوتين ذريتين مروعتين تتمثلان فى المعسكر الشيوعى ، والمعسكر الرأسمالى ·· كل من القوتين تملك من وسائل الفناء ، ما يمكن لو اصطدمتا أن تحولا بزرين من موسـكو وواشنطن ــ فى ثوان قليلة ــ الكرة الارضية الى ذكرى حياة تلفها الغازات والنيران ·

لذلك فان كل فرد من أى شعب يتابع سير الأحداث ، وأنباء المنازعات بين الدول مهما كانت صغيرة ، ويناقش وسائل حلها بحمية وغيرة على السلام لأن مصيره ومصير حرثه ونسله مرتبط بكل ما يجرى فى أنحاء العالم ، وما يسود الدول من علاقات التآزر أو التنافر ·

هذا هو السر فى أن العالم كله يقف مكتوم الأنفاس حينما تثار مشكلة دولية فى كوبا أو فرموزا أو فيتنام أو الكنغو أو برلين ، وحينما يقوم تصادم على الحدود بين الهند والصين أو بينها وبين الباكستان .. نتتبع أخبار النزاع وتطوراته السلمية أو المسلحة .. فى الصحف والاذاعات ، بذعر وهلع ، يحدونا الأمل والرجاء . ونجعلها مادة نقاشنا فى بيوتنا ومنتدياتنا ومركبات المواصلات .

ولم يكن ذلك شأن آبائنا وأجدادنا . كانوا يتلون أخبار الحرب بلا انفعال أو اكتراث ، وما كانوا ليتأثروا بها الا بمقدار ما نتأثر نحن بمشاهد القصص المسلية ومواقفها .. فما عرفوا القنبلة الذرية ولا الصاروخ الذرى عابر القارات .. أما اليوم فان مصير البشرية أصبح مترابطا ضد أخطار الحروب فصارت الانسانية كلها متضامنة فى درء خطر الحرب .. ولم تعد طبيعة العصر تسمح بالعزلة . وأصبح العمل المتعاون ضد الحرب هو جوهر الرأى العام العالمى .

٢ ـ وحدة الشعور بالملكية البشرية للتراث الانسانى العام :

كان اختفاء المسافات بين الدول والقارات ، وسقوط الحواجز التى كانت تفصل بين الدول ، الطبيعية منها والفكرية ـ من نتائج التقدم العلمى الهائل فى انتاج المواصلات البرية والجوية والبحرية السريعة ، وفى انتشار التعليم وتبادل الثقافات واجادة اللغات الأجنبية .. وترتب على ذلك أن ازداد الترابط بين البشر أفرادا وجماعات ودولا .

وازداد النشاط الانسانى فى ميدان تبادل المعلومات والخبرات الفنية والعلمية والأدبية والثقافية عن طريق الاذاعات والمطبوعات والزيارات الشخصية المتنوعة الاشكال .. وساعد على ذلك أن عصر السرعة جعل جولة حول الكرة الأرضية أسرع وأخف مشقة من رحلة بين اقليمين فى دولة واحدة منذ قرن مضى .

هذه الامكانيات الآلية الحديثة فى التواصل ، أدت الى تداخل وامتزاج التراث الانسانى العام ، والى الشعور العالمى بضرورة الحفاظ عليه ، والعمل على تنميته ، عن طريق تأكيد العلاقات الطيبة بين الشعوب ، من أجل التقدم الانسانى ، ورخاء البشرية وأمنها .. والى الايمان بأن التراث الانسانى ملك لشعوب العالم أجمع . ونتيجة لكفاح فكرى عالمى ، ساهمت فيه كل الأمم عبر التاريخ .. ولذا فقد نص الميثاق على : « أن احتكار العلم يهدد البشرية بنوع جديد من السيطرة الاستعمارية » .

٣ ـ انعكاس السياسة الداخلية على السياسة الخارجية :

نتيجة للعاملين السابقين أصبحت الشعوب لا ترضى بترك أقدارها تحت رحمة الرؤساء والتجار وأصحاب الأموال والأعمال ، يوجهونها وفق هواهم ونزواتهم ولو على حساب فناء البشرية وزوال المدنية والعمران .

وأصبحت السياسة الخارجية للدول انعكاسا لآمال الأمم ، تحكمها رغبات الشعوب في السلام وتبادل المنافع الاقتصادية من تمويل وتموين، وفي التبادل العلمي والثقافي من خبرة وخبراء ووسائل .

وأخليت أروقة وزارات الخارجية من ذوى الياقات المنشـــاة الذين يجيدون ـ على الأكثر ـ الرقص ، وتزويق حفلات الكوكتيل ، وتحقيق الرغبات الشاذة لذوى النفوذ .. وحل محلهم ممثلون حقيقيون للشعب ، يراقبون ويحركون السياسة الخارجية في الخط الذى تسير فيه السياسة الداخلية ، وفق أغراض الشعب ومصالحه .

وفي ذلك يقول الميثاق : « ان السياسة الداخلية لا بد أن تجد لها صدى في المجال الخارجي ، وبعبارة أخرى ، ان السياسة الخارجية لدولة ما هي انعكاس لأوضاعها الداخلية » .

هذه هي القاعدة . السياسة الخارجية انعكاس للسياسة الداخلية .

ففي أمريكا مثلا : نظام حكم يسيطر عليه أصحاب الملايين مبـاشرة عن طريق التمثيل النيابي الرأسمالي في الكونجرس ، بل وفي رياســة الجمهورية .. ومن ثم فالسياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية تحمى رءوس الأموال الأمريكية واستثماراتها وأسواقها بقوة السلاح ،وبالقواعد، وبالأسطولين السادس والسابع وغيرهمـــا ، وبغواصـــات بولاريس ، وباستعراض العضلات الحربية في الفضاء الخارجي ، وبالاشـتباك المسلح بين الحين والحين .

والاتحاد السوفيتي : يؤمن بدكتاتورية البلوريتاريا .. بمبـادىء ماركس ولينين التى تؤكد ضرورة تولى عمال العالم حكم العالم .. ولذا كانت سياســة روسيا ترمى الى مســاعدة الدول الأخرى للتحرر من الرأسمالية والامبرالية ، تمهيدا لسيطرة البلوريتاريا العالمية على الدول التى يتم تحريرها كما حدث في دول شرق أوروبا .

وفى الجمهورية العربية المتحدة :

يقوم نظامنا الداخلى على الاشتراكية .. على الديمقراطية السياسية .. والديمقراطية الاجتماعية .. فنحن نستهجن دكتاتورية البلوريتاريا ، ونزدرى الرأسمالية المسيطرة .. ديمقراطيتنا السياسية هى حكم الشعب بالشعب لصالح الشعب ، وديمقراطيتنا الاجتماعية هى الكفاية والعدل.. فالشعب كل الشعب له جميع الحقوق ، ولا حقوق لأعداء الشعب .. هذه هى سياستنا الداخلية .. فمن الطبيعى أن تنعكس مبادئنا الداخلية هذه على سياستنا الخارجية .. وأن يكون عداؤنا واضحا صريحا للاستغلاليين والانتهازيين والاستعماريين وأذنابهم وأنصارهم من سماسرة الاستعمار تجار الشعوب .. لماذا ؟ لأنهم أعداء الشعوب .. وأعداؤنا أيضا لأننا أصحاب رسالة بالحق والعدل .. فنحن لا يقتصر سلوكنا على عدم التعامل معهم .. بل يمتد الى النضال من أجل اسقاطهم ودك حكمهم وازالة تسلطهم على الشعوب .

. ولذا فان الميثاق ينص على أن أول خطوط سياستنا الخارجية هى : « الحرب ضد الاستعمار والسيطرة ، بكل الطاقات والوسائل ، وكشفه فى جميع أقنعته ، ومحاربته فى كل أوكاره » .

والشق الآخر من سياستنا الداخلية : أننا نقيم تحالفا بين قوى الشعب العاملة على أساس من تذويب الفوارق بين الطبقات .. فمن الطبيعى أن نحقق هذا الاتجاه فى سلوكنا العالمى على شكل مجموعة دول عدم الانحياز ، ودول التضامن الافريقى الآسيوى ، ومجموعة الدول الافريقية ، والوحدة العربية التى ارتبطنا بها قدرا ومصيرا فحق علينا مساعدة كل الحركات التقدمية فيها المتحررة من حكم العملاء والرجعية .

الخطوط الرئيسية لسياستنا الخارجية :

جاء الميثاق بهذه الخطوط الرئيسية لسياستنا الخارجية معبرة لواقعنا وظروفنا وقيمنا الداخلية ، أبلغ ما يكون التعبير ، وحصرها فى ثلاثة خطوط هى :

١ ـ الحرب ضد الاستعمار والسيطرة .

٢ ـ العمل من أجل السلام .

٣ ـ التعاون الدولى من أجل الرخاء .

أولا : الحرب ضد الاستعمار :

لقد وضحنا ، وسنوضح ، فى غير هذا المكان ـ أن زوال الاستعمار هو حجز الأساس لاقامة صرح سلام عالمى موطد الأركان • والظاهر للعيان أن الاستعمار بدأ ينكمش ويتكوم فى جحره ، ويتوارى ، أمام الضربات القوية التى كالتها له الشعوب فى السنين الأخيرة • والحقيقة ان ما اختفى منه ليس الا أعلامه وجيوشه المحتلة فقط •• نكست الأعلام ، وسحبت الجيوش ، واستبدلتها بمعاهدات صورية وأحلاف عسكرية تضمن مناطق النفوذ والسيطرة والاستغلال وانشاء القواعد لضمان المصالح الاقتصادية الاستعمارية ، والأوضاع الاستغلالية الاغتصـابية للموارد الطبيعيـة والبشرية والمواقع الاستراتيجية • أى أن الاستعمار بان بأسلوب جديد ، واسم جديد ، وفى ثوب جديد •

وفى ذلك قال الميثاق : « ان الاستعمار الذى ما زال متمسكا بأهدافه غير أسلوبه » •

ومن أساليبه التى يستخدمها الآن فى بقـاع أخرى من العالم • ما اتبعه فى مصر حينما اضطر عام ١٩٢٣ الى طبخ استقلال صورى تقوم عليه حكومة وبرلمان مظهرى يحكم زورا باسم الشعب ، وما كان الأمر والنهى الا للمندوب السامى الذى يسير من قصر الدوباره الملك والأحزاب نحو الأهداف الاستعمارية وأهمها الحصول على القطن بأبخس الأثمـان ، وابقاء القاعدة البريطانية على ضفة القناة ، وتسخير الطرق والمواصـلات الحديدية لخدمة الجيش المحتل •

كذلك الحال فى بلاد أخرى ، تحكمها فئة معينة ، ترتبط مصـالحها بمصالح الاستعمار ، فتخدع شعوبها باستقلال زائف ، يبقى على نفس الأوضاع والأهداف الاسـتعمارية ، التى تطلق يد الاجنبى فى أقوات الشعب وتراثه ليزداد الاستعمار تقدما ، وتزداد الشعوب تأخرا •

وهذا لا يتفق مع سياستنا الداخلية ، ومن ثم مع سياستنا الخارجية لذلك ننادى بالقضاء على الاستعمار وأعوانه فى كل بقاع العـالم ، بكل صوره القديمة والجديدة •• والا أصبحنا منافقين وغير منطقيين مع أنفسنا ومع الآخرين •

ومن الطبيعى أن تطبيق هذا المبدأ ، يختلف قدره ومداه على حسب قوة علاقتنا بهذه البلاد ، وعلى حسب قربها أو بعدها الجغرافى منا • وعلى أى حال فان التمـكين للقوى المتحررة المـكافحة من أجل التخلص من

الاستعمار ـ هو أحد خطوط سياستنا الخارجية الهامة التى تمليها علينا ظروفنا الذاتية وطبيعة أيدولوجياتنا وعقائدنا وقيمنا الدينية ٠

ثانيا : العمل من أجل السلام :

ان فكرة السلام ـ فى الواقع ـ تعتبر الينبوع الأصيل الذى تتدفق منه خطوط سياستنا الثلاثة ٠ وذلك الاهتمام البالغ باقرار السلام تفرضه علينا عوامل تاريخية وروحية ، وذاتية تجعلنا من أشد الشعوب التزاما بالسلام ودعوة له ٠

١ ـ العامل التاريخى :

من الثابت تاريخيا أن شعب النيل شعب مسالم ٠٠ سبق العالم كله الى احتراف الزراعة ، وما يترتب على ذلك من استقرار ، وعمران ، وحضارة منذ ٥٠٠٠ عام ، وانصرف الى العمل والاستثمار ، وكان ثراؤه وقناعته من عوامل تطبعه بالسلام وعدم التجائه الى التوسع أو نزوعه الى الغزو والفتح ٠ والمعروف أن الجوع أو الخوف هما أسباب الحروب ٠

لذلك لم يعرف التاريخ عن شعب مصر أنه نظم صفوفه ، وخرج عن حدوده الا حينما كان يضطره عدوان خارجى الى أن يقاتل ليطهر أرضه من رجس المهاجمين القادمين من آسيا أو ليبيا أو من الجنوب ، أو لينقل المعركة خارج حدوده ليؤدب الطامعين أو يدمر مراكز وثوبهم وغاراتهم ويفض تجمعاتهم المتحرشة ٠

وفى كثير من الأحيان كان يضطر الى الحرب أيضا شعورا بمسئوليته نحو منطقة الشرق الأوسط كلها كجزء مكمل لمصر وأمنها وسلامتها من البغاة ٠

٢ ـ العامل الروحى :

ان قيمنا الروحية تفيض بأضواء السلام ٠٠ فكلمة اسلام تعنى : اسلام الوجه والأمور الى الله سبحانه وتعالى دون غيره مهما بلغت قوته وجبروته شخصا كان أو جماعة ٠

وما حارب محمد صلى الله عليه وسلم لكى يبسط سلطانا ، وانما ليهدى المشركين لكلمة الحق بعد أن أعيته وسائل الحسنى ، فاضطر الى الحرب ليخضعهم لكلمة الله لتبقى هى العليا ٠

واتصفت التطبيقات الاسلامية المختلفة مع الدول المفتوحة بالتسامح. تدل على ذلك المواثيق التى أبرمها الرسول ، والتى عقدها الخلفاء الراشدون والتى خلفها لنا العهد الاســـلامى الأول ، قبل أن تتناول تراثه الأيدى المفسدة التى ظهرت فى المراحل التاريخية المظلمة • ومن أمثلة هذه المواثيق السمحة وثيقة عمر بن الخطاب فى معـــاملة أهل ايليا أى المقدس بعد فتحها •

والمسيحية أيضا قامت على التسامح والتمادى والمبالغة فى السلام ، ويتضح ذلك فى قول المسيح عليه الســـلام : « لاتقاوموا الشر ، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك ، فاترك له الرداء أيضا ، ومن ســـخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين » •

وقوله عليه الســـــلام : « ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجبا الحكم » •

وقوله : « اترك هناك قربانك قدام المذبح ، واذهب أولا اصطلح مع أخيك وحينئذ تعال ، وقدم قربانك • كن مراضيا لخصمك سريعا ما دمت معه فى الطريق ••• » •

وبالرغم من ذلك فان التطبيقات المســـيحية فى أوربا لم تتوخ قيم التسامح والسلام التى نادى بها عيسى بن مريم ، وأشعلوا حروبا توسعية باسم الصليب ، كالحروب الصليبية ، وحروب المائة عام ، وحرب الثلاثين، وكان البابوات يوقدون فتيلها ويباركون خرابها ودمارها ووحشيتها •

أما نحن فنلتزم بالســـلام التزاما بقيمنا الروحية التى عبر عنها الميثاق بقوله : « ان شعبنا يعتقد فى السلام كمبدأ ، ويعتقد فيه كضرورة حيوية •• ». •

٣ ـ **العامل الذاتى الحيوى** : يستطرد الميثاق عن ضرورة الســـلام فيقول « ان شعبنا يعرف قيمة الحياة ، لأنه يحاول بناءها على أرضـــه •• ان صدق دعوته للسلام ، تنبع من حاجته الماسة اليه •• ان السلام هو الضمان الأكيـــد لقدرته على الاستمرار فى معركته المقدســـة من أجل التطوير » •

فالســـلام ضرورى لنا لنتمـــكن من بناء التقدم وانجـــاز التنمية الاقتصادية والانعاش الاجتماعى •• فلا يمكن فى جو الحرب أن نستطيع اقامة مجتمع الكفاية والعدل •

لكن أى سلام يا ترى ؟

نوع السلام العربى :

حتى نوع السلام تفرضه علينا قيمنا الدينية فى قوله تعـــالى : « النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص » ·· وقوله تعالى فى سورة البقرة : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » ·· ثم قول أعدل العادلين : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فسادا ، أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » ·· وقوله : « وان طائفتـــــان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فان بغت احداهما على الأخرى ، فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله ، فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا » ·

ذخيرة ثمينة من أسس السلام التى توضح أبعاده واتجـــاهاته فى معاملة المؤمنين وفى نوع السلوك الذى ينبغى اتخاذه مع غيرهم ·· وهكذا نعرف طريق السلام وأسلوبه فى مختلف المجالات المحلية والاقليميـــة والدولية ·

سلام لا يقبل الاستسلام ·· سلام يكفل الحرية والكرامة والحق فى حياة عزيزة أبية لا يشوبها قسر ولا ضغط ولا سيطرة ولا ظلم ·· سلام لا يقبل الارهاب ، أو الاذلال ·· سلام يقوم على العدل وعلى الحق وعلى الحرية وعلى أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ·· « خـــير أمة أخرجت للناس » ·

وما قواتنا المسلحة الا لتعزيز جانب هذا الســـلام ·· تحمينا من الاستسلام للقوى الشريرة المتربصة ، التى يســـيل لعابهـــا للاغتصاب والسلب وتدمير مقومات تقدمنا ·

لقد علمتنا غارة اسرائيل على غزة عام ١٩٥٥ ضرورة حماية سلامنا بقوة السلاح · وعلمنا رفض أمريكا تزويدنا بالسلاح آن ذاك ، كيف نلجأ الى تشيكوسلوفاكيا وغيرها لنشتريه بأوفر مما كنا ننوى طالما هناك من يحمى اسرائيل ، بل والى ضرورة تصنيعه محليا ، فأمكننا أن ننتج الصواريخ المتعددة المراحل ·

وعلمنا العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ بعد أن أممنـــا القناة أن نزداد صلابة وعنادا واصرارا ، وأن نقبل مواجهة أية معركة مسلحة ضد أية قوى زاحفة مهما كانت جرارة ·

تعلمنا أن لابد للسلام من قوة بشرية ومادية ومعنوية تحميه ··

فالسلام لا يعنى الاستسلام ، ولا بد لكى يستقر ويستمر ويسود ـ من أن يقوم على أساس من العدل والحق ٠

فنحن لا نعترف بالسلام العفن القائم على الظلم ، المبنى على خرافة الأمر الواقع كما هو الحال فى فلسطين ٠

أى سلام هذا الذى يقوم على السماح لعصابة تسرق دارا من أهله ، وتلقى بأهل الدار على قارعة الطريق ٠٠ ليسكنوا الخيام ١٧ عاما ، ثم تجد العصابة من ينادى بتركها وما سرقت باسم السلام وباسم الأمر الواقع ؟

ان المحافظة على السلام واقراره يستدعيان زوال أوضاع ظالمة جائرة تستند على القوى الغاشمة والى خرافة الأمر الواقع ٠٠ فباسم السلام نحارب الأحلاف ، ومناطق النفوذ ، وكل مظاهر الاستبداد والتسلط والسيطرة ٠

ثالثا : التعاون الدولى من أجل الرخاء :

نص الميثاق على : « أن الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة ٠ كما أنه أصبح فى حاجة الى التعاون الجماعى لتوفيره » ٠

ذلك أن الشعوب اذا ما تحررت من الاستعمار ، تركها فى حالة من التخلف أشبه ما تكون بفريسة انقض عليها وحش رهيب ، ثم انفض عنها بعد ان امتص من جسدها عصارة الحياة ، وتركها بين الحياة والموت ، فى حاجة الى نقل دم ٠

فازالة الاستعمار وهدمه ليست الا مقدمة لبناء المجتمع واقامة نظم ومشروعات جديدة تحقق للشعب ارادته ، وتبنى تقدمه ومستقبله ٠ ومن المحزن أن ثلثى البشرية يعيشون فى تخلف اقتصادى واجتماعى ، وبمعنى آخر فى فقر وبؤس وجوع وجهل ومرض ٠٠ ويزيد الأمر سوءا أنها تفتقر الى الموارد والامكانيات اللازمة لبناء تقدمها ٠٠ فهى فى حاجة الى جهود لا يستطيعها كل شعب منها على حدة ٠

ومن هنا تأتى أهمية « التضامن الدولى من أجل الرخاء » ٠٠ التضامن الدولى من أجل البناء الداخلى لكل شعب ، واقامة مجتمع الكفاية والعدل فيه ٠٠ والا فاننا اذا تركنا الحال على ما هو عليه بلا تعاون، ازدادت الدول المتقدمة ثراء ٠ وازدادت الدول المتخلفة فقرا ، وصرنا ولا مورد لنا

الا الاستعمار ، يحتكر التعامل ويزداد بطشا وتحكما في مصائر الشعوب ·· وهذه الظاهرة المؤسية تنتشر بين الشعوب الملونة في آسيا وافريقية وأمريكا اللاتينية ــ والتمييز العنصرى الذى هو احدى الخصال الرئيسية للؤم الاستعمارى ، مسئول أكبر المسئولية عن تأخر هذه الدول واستنزاف ثرواتها ·· وفى هذا يقول الميثاق : « ان الاستعمار في واقع أمره هو سيطرة تتعرض لها الشعوب من الأجنبى بقصد تمكينه من استغلال ثرواتها وجهدها ·· وليس التمييز العنصرى الا لونا من ألوان استغلال ثروات الشعوب وجهدها » ·

وعلى الشعوب ــ للوقاية من هذا الخطر ، والتخلص من آثار التخلف ــ أن تتحد ضد الاحتكارات الأجنبية ، وضد قوى السيطرة الاستعمارية ، حتى تحصل على ما يلزمها من مساعدات للبناء ·

فما كان بوسعنا أن نحرز ما أحرزناه من تقدم الا تطبيقا لهذا المبدأ ، مبدأ التضامن والحصول على المساعدات والقروض الأجنبية ·· ولكننا نقبل القروض والمساعدات غير المشروطة وحدها · بل نحن نشترط حينما نقبلها ألا تنال من استقلالنا أو كرامتنا أو حريتنا في العمل وفق مبادئنا على طول الدنيا وعرضها ·

نحن ننادى أن تقدم الدول المتقدمة مساعدتها غير المشروطة للدول النامية ·· وأن تساعد كلتاهما الدول المتخلفة ·· فان تحرر بلد يساعد على تحرر غيرها ·· وتقدم شعب يقضى على تخلف غيره ·· والتعاون الدولى هو الفضيلة الانسانية المحققة لذلك ·· وهنا ينص الميثاق : « ان التعاون الدولى من أجل الرخاء من جانب الدول المتقدمة هو التفكير الانسانى الذى يشترك فيه المسئولون وغير المسئولين عن العصر الاستعمارى » ·

لهذا فنحن نتبادل المساعدات مع الغير ، وما دمنا نأخذ فاننا نعطى ، والا لما وجدنا من يعطينا ومن يثق فينا ·

تلك هى خطوط سياستنا الخارجية التى تعبر تعبيرا صادقا لسياستنا الخارجية وكلاهما ينبع أصلا من تاريخنا وديننا وظروفنا ومصالح جماعتنا ·· ليس فيها ما هو مستورد أو مفروض أو مدسوس من المذاهب السياسية العالمية ــ التاريخية أو المعاصرة ·

ونحن نلتزم بأهداب هذه المبادىء المستوحاة من قيمنا ـ فى المجالات الستة التى تدور فيها سياستنا الخارجية : ـ

١ ـ مجال الامم المتحدة

٢ ـ مجال دول عدم الانحياز

٣ ـ مجال الدول الافريقية والآسيوية

٤ ـ المجال الاسلامى

٥ ـ المجال الافريقى

٦ ـ المجال العربى

١ ـ مجال الامم المتحدة :

ان الامم المتحدة • ومكاتبها ، وأروقتها ، ومؤتمراتها ، ومنظماتها ولجانها المختلفة ـ هى أكبر مركز تجمع عالمى أمكننا أن نغرس فيه عمل مبادئنا الداعية الى السلام وتحرير الشعوب •• بل هى أحسن حلقة نصارع عليها الاستعمار ، ونحشد للقضاء عليه الأعوان والانصار ، وهى أنسب منتدى ندعو فيه الى التضامن الدولى •• فهناك أمكن للرئيس جمال عبد الناصر أن ، ينادى علانية بتصفية الاستعمار ، فى خطابه التاريخى •

هناك تقدم باقتراح يطلب رصد أموال التسليح من أجل التنمية الاقتصادية • •وفى هذا قال الميثاق : « ان شعبنا الذى شارك فى الجهود الانسانية العظيمة المكرسة لتحريم التجارب الذرية ، وشارك ايجابيا فى العمل من أجل نزع السلاح ، انما كان يصدر عن ايمان مطلق بالسلام •• لأنه يؤمن ايمانا مطلقا بالحياة » •

ان مكافحة التخلف والقضاء عليه في كل بقاع العالم ، يحتاج الى ١٤ مليار دولار •• فى حين أن ماينفق على التسليح من جانب روسيا وأمريكا وحدهما ١٨ مليار دولار ، أى بزيادة ٤ مليارات من الدولار عما يكفى لأن تحيا البشرية كلها حياة رخاء وسعادة ورفاهية •

لذلك فان سياستنا « تشمل الدعوة الى توجيه الذرة للسلام ، حتى تستطيع أن تخدم قضية التطوير وتضىء جوانب التخلف المظلم •• والتبشير بفكرة توجيه المبالغ الطائلة ، التى توجه الى صنع الأسلحة النووية » لتخدم الحياة ، بدلا من أن تترصد لها وتتبربص بها » •

٢ ـ مجال دول عدم الانحياز :

وهذا مجال أضيق من دائرة الأمم المتحدة ، نربط به ٠٠ فقد كان ، رئيسنا عبد الناصر أحد الأقطاب المؤسسين لهذه الفكرة ، ثم أكدها في مؤتمر باندونج ٠

وتنبع فلسفة عدم الانحياز من ايمان بأن انقاذ البشرية من الدمار ، يتوقف على امكان القضاء على الأحلاف العسكرية بوجه عام ، والتربص المؤدى لذلك القائم بين المعسكرين الشرقى والغربى بوجه خاص ، وما يملكان من وســـائل الدمار ، وما يجنـــدانه من أحلاف : الاطلنطى ، ووارسو ، وجنوب شرق آسيا ، والحلف المركزى ـ لتطوق كل منها الأخرى بالقواعد الذرية والأساطيل ، مما يعصف بالسلام العالمى ٠ ففكرة عدم الانحياز موجهة ضد الاحلاف ، وضد التجمعات ٠٠ العدوانية الغاشمة التى تحاول فرض الحلول بالقوة والتهديد واستخدام السلاح ولا يضر بالفكرة ٠ أن بعض دول عدم الانحياز ــ مرتبطة حاليا ببعض الاحلاف فان هذه الدول تسعى للتخلص من ارتباطاتها بها ٠

٣ ـ المجال الافريقى الآسيوى :

تختلط فى هذا المجال دول من المجالين الســابقين ، أو من مجــال الأحــلاف ولســنا منه ٠٠ وما يهمنا أنها تشترك معنا فى جــزء هام من سياستنا الخارجية وهو الاتفاق على مبدأ وهدف واحد هــو « محــاربة الاستعمار بجميع صوره » ٠

فالصين مثلا عضو فى التضامن الآسيوى الافريقى ، برغم انحيازها ضد الولايات المتحدة ، ولكنها تشترك معنا فى محاربة الاستعمار ، وقد أثبتت الحوادث الدولية أنها من أفضل الدول الايجابية الجادة فى اتباع هذا المبدأ ٠

كذلك روسيا ، تسير معنا على نفس المبدأ ضد الاستعمار الغربى ٠ ولذا نؤيد دعوتها فى المؤتمر القادم للدول الافريقية والآسيوية ٠

٤ ـ المجال الاسلامى :

ذلك المجال لا يعرف تحديدا دوليا،وارتباطنا به وليد فروض دينية روحية ، عاطفية ، اسلامية ، تربطنا بشعوب مسلمة ، وأفراد مسلمين أينما كانوا ٠

وتستند سياستنا فى هذا المجال على نصوص من قوله تعالى :
« يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » .

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

وعلى هذا فنحن نؤمن بالأخوة الانسانية ، فلها علينا حق الهداية ، وعلينا لها واجب التبشير بدين الله . غير أن الأحق أن يتبع أن نبدأ بالأقربين .. فنبذل المساعدة لهم عن طريق الأزهر ، ليزدادوا قدرة على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتفهم أصول دينهم والحفاظ على مقدساته ونشره بين الناس .

ونحن نفرق فى ذلك بين الشعوب والحكومات ، فمن الشعوب المسلمة ما تسيطر عليها حكومات غير مسلمة ، أو حكومات مسلمة بالاسم ، تتخذ من دون الله وليا ، تتخذ من الغرب وليا ونصيرا دون الله . فنحن لا نساعدها . لأنها تخلت عن العزة التى جعلها الله للمؤمنين .

فتركيا فى صراعها مع القبارصة اليونانيين المجاهدين للتحرر من النفوذ البريطاني وقاعدته التى ضربتنا منها عام ١٩٥٦ ، لا تعاون معها حتى تفىء الى أمر الله .

المهم أن علاقتنا ونشاطنا فى المجال الاسلامى مفتوح الى أبعد مدى مع الشعوب ، ومع الحكومات التى ترعى الاسلام ، وترعى الله فى سياستها الخارجية والداخلية ، ومع الأفراد المتطلعين الى التزود من بحر العلم ومن أصول الدين ، المتحمسين الى نشر الهداية فى العالمين .

وفيما عدا ذلك فنحن فى حل من الاحتفاظ بالعلاقات الودية مع حكومات تبتعد عن روح الاسلام وتعاليمه .

٥ ـ المجال الافريقى :

ويرجع اهتمامنا بالدائرة الافريقية الى أن افريقية هى مصدر الحياة ، والأمان لنا .. من وسطها ينبع نيلنا الخالد العظيم . وأكثر

مشاكلنا الاقتصادية والسياسية تحل في افريقية وهى فوق ذلك القارة الأم ، فنحن افريقيون ٠

وقد أضيف الى ذلك عامل جديد ٠٠ فمعركتنا مع اسرائيل تتجه الى افريقية بعد أن ضيقنا عليها الحصار الاقتصادى بالمقاطعة وقفل قناة السويس فى وجه سفنها ، وفرضنا عليها التهديد المباشر ٠٠ هذا جعلها تتجه الى افريقية لتفتح فيها منافذ اقتصادية تؤمن جانبها ، وتدعم اقتصادياتها استعدادا للاستغناء تدريجيا عن المساعدات الأجنبية التى ستنقطع عنها حتما بعد أن تخسر موقعها فى فلسطين وتجلو عنه ٠

وكانت اسرائيل قد اتجهت بهذه المحاولة من قبل الى آسيا : فى بورما وماليزيا ، ولكنها طوردت بعد أن أدركت الشعوب أن اسرائيل ليست الا قناعا يخفى وجه الاستعمار الجديد ٠

ويرجع تغلغل اسرائيل فى افريقية الى أن الاستعمار الانجليزى والفرنسى والبلجيكى ، كان اذا أرغم على ترك بلد ، عاد اليها فى صورة تاجر مستغل جديد ، وكانت اسرائيل دائما هى القناع الذى يعود به الاستعمار الى تلك الدول بعد اعلان استقلالها ٠٠ يروج لها الدعايات الطنانة ، ويقول : انها غنية ومتقدمة برغم احاطة الدول العربية بها والمحاولة المستمرة للقضاء عليها ٠٠ تعطى القروض والمعونات وتبنى التقدم لمن يمد يده اليها من الافريقيين ٠

ودورنا فى افريقية أن نبصر الشعوب بحقيقة اسرائيل ونواياها ٠٠ ومصادر أموالها وأهدافها فى خدمة سيدها الاستعمار لتمكن له من رقاب الشعوب ، وتحصل على السمسرة ٠

٦ ـ المجال العربى :

ان هذا المجال مجال حيوى ، يحتاج الى بحث منفرد ، ولا غرابة فقد خصه الميثاق بباب بأكمله ٠٠ البعض يرى أن المجال العربى خارج عن السياسة الخارجية ، والبعض يصر على أن هذا المجال لا ينفصل عن السياسة الخارجية الى أن تتحقق الوحدة العربية ، فتصبح السياسة العربية ضمن سياستنا الداخلية باذن الله غدا ، وان غدا لناظره قريب ٠

وباختصار ٠٠ فاننا نعيش فى عالم التكتلات والتجمعات ٠ وان القومية العربية ووحدتها ، لهى أولى هذه الآمال فى عالم متكتل متضامن متعاون ، فان الوحدة العربية هى حقيقة وجودنا ٠

لقد طرحت أوربا الحروب والتناحر بين دولها ، واتحدت أغلبها ايمانا بأن عالم اليوم لا يمكن أن تنعزل عنه دولة بنفسها وتعيش فى سلام ، فاننا نعيش فى عالم العمالة الذى لا حياة فيه للأقزام ٠

أمريكا ، ما كانت لتصل الى هذه القوة لو بقيت كما كانت خمسين دويلة لا يضمها اتحاد متكامل ٠

الاتحاد السوفيتي تكمن قوته الحقيقية فى أنه دولة ضمت عدة دول تشكل شبه قارة عظيمة ٠

الصين ٠٠ دولة السبعمائة مليون نفس ٠

ولكى يكتمل بناء الجمهورية العربية المتحدة لا بد أن يمتد هذا الكيان العملاق من الخليج الى المحيط ٠

هذا هو دورنا وواجبنا ، دورنا فى العراق ، وفى اليمن ، وفى المحميات ، وفى الجنوب المحتل ، وفى كل مكان من الوطن العربى شرقا وغربا ، مهما كانت التضحيات ٠ فانها أرخص من الأهداف المجيدة ٠

وعلى الله التوفيق ٠

المراجع

١ ـ الميثاق

٢ ـ محاضرات الدورة التدريبية الأولى للقيادات بلجنة محافظة القاهرة الآتى بيانها :

محاضرة التنمية المصرية	**للسيد زكريا محيى الدين**
العمل السياسى	**للدكتور حسين خلاف**
الصهيونية وعلاقتها بالاستعمار	**للسيد حسن صبرى الخولى**
رسالة الدعاة	**للسيد كمال الدين الحناوى**
الديمقراطية	**للدكتور سليمان الطماوى**
القيم الروحية والاشتراكية	**للدكتور أحمد كمال أبو المجد**
الاجتماعات وفن المناقشة	**للسيد أمين عز الدين**
بعض أوجه التقدم فى الاقتصاد المصرى	**للدكتور لبيب شقير**
السياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة	**للدكتور أحمد القشيرى**

٣ ـ العلاقات العامة والاعلام	**للدكتور محمد طلعت عيسى**
٤ ـ التخطيط الاجتماعى	**للدكتور محمد طلعت عيسى**
٥ ـ الاشتراكية العربية والاشتراكيات العالمية	**للدكتور محمد طلعت عيسى**
٦ ـ الارشاد الاجتماعى	**للدكتور أحمد الخشاب**
٧ ـ الضبط الاجتماعى	**للدكتور أحمد الخشاب**
٨ ـ نظريات ومذاهب سياسية	**للدكتور مصطفى الخشاب**

٩ ــ علم الاجتماع التربوى	**للدكتور عبد العزيز عزت**
١٠ ــ السلطة فى المجتمع	**للدكتور عبد العزيز عزت**
١١ ــ علم النفس الصناعي	**للدكتور عثمان نجاتى**
١٢ ــ الدعاية السياسية والاستعلام	**للدكتور مصطفى الحفناوى**
١٣ ــ فى الطـــريق الى الحـــرية ــ والاشتراكية والوحدة	**للدكتور محمود الجوهرى**
١٤ ــ ثورتنــا وقصـــة فلســطين (العدد ٢٨ من المجلة المصرية للعلوم السياسية)	**للدكتور يحيى الجمل**
١٥ ــ التوعية القومية ــ الوسائل والتطبيق ــ حلقة دراســـية عقدتهــا محافظة القــاهرة فى ١٩٦٣/٢/١٦	
١٦ ــ مقــال خطــير ... لآرنولد توينبى	**اصدار جامعة الدول العربية**
١٧ ــ مقاطعة اسرائيل	**اصدار جامعة الدول العربية**
١٨ ــ المطامع اليهودية	**اصدار الهيئة العربية العليا لفلسطين**

فهـرس

الدار القومية للطباعة والنشر

الدار القومية للطباعة والنشر



العدد ٣٣٦

ص

الثمن ٢٢

١٩٦٦/٥/٢٤